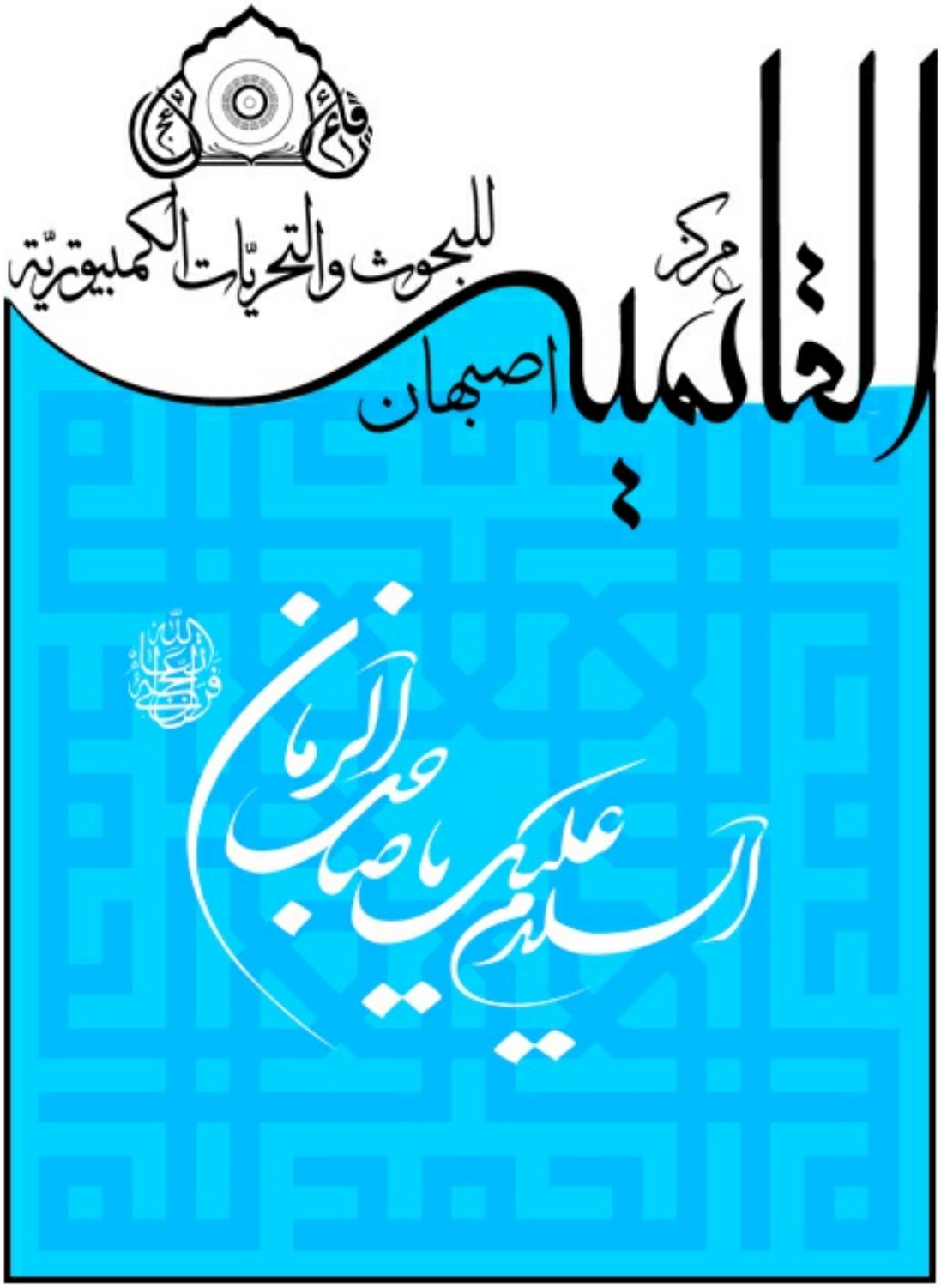

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأمل المهدي
والظواهر القرآنية

دراسة وتستعرض الحركات الإصلاحية عبر التاريخ
من خلال الرؤية القرآنية ومقارنتها مع
حركة الإمام المهدي (ع)

تأليف
سماحة الشيخ محمد السند

تقديم وتحقيق
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (ع)

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام المهدى عليه السلام و الظواهر القرآنية

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

سعيد بن جبير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام المهدی علیه السلام و الظواهر القرآنیه ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۰
مقدّمه المرکز: ----- ۱۲
مقدّمه المؤلّف: ----- ۱۴
التمهید: الاستدلال بالظواهر القرآنیه المستعرضه لسیره الأنبیاء علیهم السلام ----- ۱۶
الظاهره الأولی: الإمام المهدی والنبی موسی علیهما السلام ----- ۲۶
اشاره ----- ۲۶
أوجه الشبه بین الإمام المهدی والنبیّ موسی علیهما السلام: ----- ۲۹
علّه اختفاء النبیّ موسی علیه السلام عن قومه: ----- ۳۱
الخفاء أدلّ علی الحجّیه: ----- ۳۴
العنف والاضطهاد ضدّ الإمامین العسکریین علیهما السلام: ----- ۳۵
الوحی الإلهی لأُمّ موسی علیه السلام: ----- ۳۶
سرّ استعراض القرآن الکریم عبراً اعتقادیه ذات مغزی عظیم: ----- ۳۷
سرّ استعراض تفاصیل خفاء ولاده موسی علیه السلام: ----- ۴۲
خفاء النبیّ موسی علیه السلام بعد نبوّته فی بنی إسرائیل: ----- ۵۰
إیجابیه صفه الخوف عند الأنبیاء علیهم السلام: ----- ۵۳
الغیبه الثانیه لموسی علیه السلام: ----- ۵۳
لقاء موسی بشعیب علیهما السلام: ----- ۵۴
تلاؤم حجّیه النبیّ موسی علیه السلام نبیّاً مع غیبته: ----- ۵۶
إعلان الدعوه الموسویه: ----- ۵۸
ظاهره اختفاء وغیبه الأنبیاء علیهم السلام سُنّه إلهیه: ----- ۵۹
الخوف والترقّب عند موسی علیه السلام: ----- ۶۵

الظاهره الثانيه: الإمام المهدى والنبيّ يوسف عليهما السلام ---- ۶۸
اشاره ---- ۶۸
ظاهره النبيّ يوسف عليه السلام وارتباطها بالمصلح الإلهى: ---- ۷۰
ظاهره النبيّ يوسف عليه السلام وشبهها بغيبه الإمام المهدى عليه السلام: ---- ۷۶
حجّيه الإمام مع غيبه شخصه: ---- ۹۴
الجهل بالغيبه على مستوى النظريه والتطبيق: ---- ۱۰۲
اللقاء بين يوسف عليه السلام وأخيه: ---- ۱۰۴
معنى التشرّف برؤيه الإمام الغائب عليه السلام: ---- ۱۰۶
هل يفيد اللقاء بالإمام نوعاً من الحجّيه ؟ ---- ۱۰۷
عرض الأعمال على وليّ الله: ---- ۱۱۰
الغيبه والتدبير الإلهى: ---- ۱۱۱
طول الغيبه مدعاه لليأس عند ضعاف القلوب: ---- ۱۱۲
دروس تربويه من سوره يوسف: ---- ۱۱۹
الظهور بعد الغيبه للنبيّ يوسف عليه السلام: ---- ۱۲۰
الأسباب الملكوتيه: ---- ۱۲۳
الظواهر القرآنيه وسنن الله عز وجل فى الغيبه: ---- ۱۲۶
الظاهره الثالثه: الإمام المهدى والخضر عليهما السلام ---- ۱۳۲
اشاره ---- ۱۳۲
ضمان بقاء الدين: ---- ۱۳۵
ظاهره الخضر عليه السلام وصلتها بضمان ظهور الدين وبقائه: ---- ۱۳۸
خلاصه ما سبق: ---- ۱۴۱
ظاهره رجال الغيب: ---- ۱۴۲
هويه رجال الغيب: ---- ۱۴۴
لقاء موسى بالخضر عليهما السلام: ---- ۱۴۷
ما هو العلم اللدنّى ؟ ---- ۱۵۰
العلم اللدنّى وارتباطه بغيبه أولياء الله: ---- ۱۵۱

دور الإمام المهدی علیه السلام لیس فردیاً فی الغیبه: ---- ۱۶۴
هل یمکن ادّعاء شخص أنّه من رجال الغیب ؟ ---- ۱۷۳
الأدوار الثلاثه للخضر: ---- ۱۷۸
طبیعه الأدوار فی ظاهره الخضر ومجموعته الخفیّه: ---- ۱۷۹
الحسین علیه السلام وأصحاب الکهف: ---- ۱۸۷
حقیقه العلم اللدنّی والشریعه الباطنه: ---- ۱۹۰
العلم اللدنّی وعلم التأویل عند الإمام المهدی علیه السلام: ---- ۱۹۲
الراسخون وعلم التأویل: ---- ۱۹۴
العلم اللدنّی وعلم التأویل فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام: ---- ۱۹۵
التطبیق الإلهی للشریعه: ---- ۲۰۰
صله الأمّه الإسلامیّه بالعلم اللدنّی: ---- ۲۰۴
الظاهره الرابعه: الإمام المهدی علیه السلام وأصحاب الکهف ---- ۲۰۸
اشاره ---- ۲۰۸
المهمّه الأولی: الثبات والإیمان: ---- ۲۱۱
المهمّه الثانیه: الغیبه والخفاء: ---- ۲۱۱
وجود الخلیفه فی الأرض: ---- ۲۱۳
لماذا تکابد البشریه المصائب وبید الخلیفه إصلاحها؟ ---- ۲۱۵
الانقطاع عن الخلیفه وأثره فی الإیمان: ---- ۲۱۷
عاقبه أصحاب الحقّ والإیمان: ---- ۲۱۸
الثبات علی الإیمان والفیض الإلهی: ---- ۲۲۰
الاعتزال عن المجتمع الظالم: ---- ۲۲۲
العنایه الإلهیه فی الحفاظ علی حجج الله: ---- ۲۲۳
التشابه بین غیبه أصحاب الکهف والإمام الحجّه علیه السلام: ---- ۲۲۴
إنکار الغیبه أسباب ونتائج: ---- ۲۲۴
الأسباب الکونیه فی خفاء الحجج: ---- ۲۲۶
التقیّه ودورها فی الحفاظ علی أولیاء الله: ---- ۲۲۸

البناء على القبور: ----- ۲۳۰
ظاهره أصحاب الكهف ودورها فی حفظ الدين: ----- ۲۳۱
الإيمان بالحقيقه المهدويه من مصاديق الغيب: ----- ۲۳۲
ظاهره أصحاب الكهف والإيمان بالحقيقه المهدويه: ----- ۲۳۳
حقيقه الرجعه بين القبول والرفض: ----- ۲۳۴
الوعد القرآنی فی ظهور الإمام الحجّه عليه السلام: ----- ۲۳۶
المتّقون والإيمان بالغيب: ----- ۲۳۷
الظاهره الخامسه: الإمام المهدی عليه السلام وذو القرنين ----- ۲۴۰
اشاره ----- ۲۴۰
التوحيد والحاكميه السياسيه فی مدرسه أهل البيت عليهم السلام: ----- ۲۴۸
كيفيه الخفاء والاستتار مع المحافظه علی الدين: ----- ۲۵۴
أنواع الحكومه الخفيّه والمعلنه: ----- ۲۵۷
الظاهره السادسه: الإمام المهدی والنبیّ عيسی عليهما السلام ----- ۲۶۴
اشاره ----- ۲۶۴
دور عيسی المسيح فی الإصلاح العالمی: ----- ۲۶۹
المحطّه الأولی: إنكار البراهين اليقينيه يستلزم انتكاس القلوب: ----- ۲۷۱
المحطّه الثانيه: مفارقات فی الغيبه: ----- ۲۸۱
المحطّه الثالثه: الحراسه الإلهيه لولیّ الله: ----- ۲۸۳
المحطّه الرابعه: التأكيد علی بقاء عيسی عليه السلام حيّاً: ----- ۲۸۵
هل يدعو القرآن للسفسطه ؟ ----- ۲۸۹
الأدلّه والمعطيات الحسّيه فی ولاده الإمام المهدی عليه السلام: ----- ۳۰۵
المحطّه الخامسه: الهجره عن الفساد: ----- ۳۱۲
الظاهره السابعه: الإمام المهدی عليه السلام وهجره الأنبياء وغيبتهم ----- ۳۱۴
اشاره ----- ۳۱۴
الهجره والغياب الحسّی عن المجتمعات الفاسده: ----- ۳۱۸
جهه الاشتراک بين الهجره والغيبه: ----- ۳۲۷

الفوارق بين الهجره والغيبه: ---------- ٣٢٨
الفتره بين الأنبياء والحجج: ---------- ٣٣١
تأخّر إنجاز الوعد الإلهي: ---------- ٣٣٤
الخاتمه: ---------- ٣٣٨
مصادر التحقيق ---------- ٣٤٢
تعريف مركز ---------- ٣٤٦

الامام المهدی علیه السلام و الظواهر القرآنیه

اشاره

سرشناسه : سند، محمد، ۱۳۴۰-

عنوان و نام پدیدآور : الامام محمدبن الحسن المهدی علیه السلام/ محمد سند

مشخصات نشر : قم: سعیدبن جبیر، ۱۳۸۴، = ۲۰۰۵م، = ۱۴۲۶ق.

مشخصات ظاهری : ۳۳۶ ص.

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ ق.-- سرگذشتنامه

موضوع : محمد بن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۶ق-

موضوع : محمد بن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۶ق- - قرآن.

رده بندی کنگره : BP۵۱/م ۸الف ۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۹

ص :۱

اشاره

مقدّمه المركز:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاه والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين.

إنَّ المنهج العقلى فى إرفاد الفكر الإنسانى ثقافياً وعقائدياً وسلوكياً وإن كان صحيحاً وضرورياً إلَّا أنَّ قاعده الاستقطاب عنده محدوده إلَّا للثلّه القليله من الناس، وهذه لا تشكّل أساساً اجتماعياً عريضاً ومع ذلك فقد دعى إلى هذا المنهج القرآن الكريم حيث قال: (قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَهٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّهٍ إِنْ هُوَ إِلّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ) (سبأ: ۴۶)، وذلك لتأسيس أدلّه عقليه وأسس برهانيه على كلّ مطالبه الاعتقاديه.

ولكن القرآن لم يكتف بهذا، بل استخدم أساليب أخرى أجدى نفعاً وأكثر شموليه فبدلاً من تحميل الفكره على الذات الإنسانيه من خلال استعمال القياسات المنطقيه والأرسطيه بادر القرآن إلى استنطاق الوجدان الإنسانى ومحاوله خلق الفكره فى الذات الإنسانيه عبر فتح المنافذ لتحرّك الوجدان وتعبيد الطريق من أجل بيان المسار الصحيح، فلا يبقى للإنسان إلَّا الالتفات إلى نداء الوجدان ليرى الحقيقه ساطعه أمامه سطوع الشمس فى رابعه النهار.

ومن الواضح أنَّ الوصول والانفتاح إلى عالم الوجدان أسرع وأيسر من الوصول إلى عالم العقول والاستنتاجات الأرسطيه التى قد تكبو وتنحرف فى مقدّماتها بتأثير العقل الجمعى ومحاكات الآخرين، ولهذا فقد أكثر القرآن

الكريم من استعمال هذا الأسلوب لأنَّه الأقدر على الإمساك بزمام الأمور والأقدر على التأثير على النفس الإنسانيه، فالأسلوب القرآنى المتَّبع ـ ونستطيع أن نصطلح عليه بالأسلوب الوجدانى ـ هو من أنجح الأساليب فى استحكام العقيده فى النفوس البشريه.

ومن هنا يمكن أن ننفتح على العقيده المهدويه وكيفيه الاستدلال عليها فى القرآن الكريم، حيث يجد القارئ الكريم فى هذا المؤلَّف واحده من أروع صور المنهج الوجدانى فى القرآن الكريم، فاستطاع المؤلّف سماحه الفقيه المتضلّع الشيخ محمّد السند أن يُحكم رباط الآيات بعضها ببعض مع استجلاء واستكشاف من التاريخ والمأثور الدينى الروائى لتكوين صياغه استدلاليه وجدانيه رائعه تُبين العقيده المهدويه وأنَّها أمر قد تصادقت وتعارفت عليه الأمم السابقه.

وبالاختصار فالكتاب طرح بكر ورؤيه قرآنيه جديده محكمه، ودراسه موضوعيه فى الفهم المجموعى للآيات واستنطاق الظواهر القرآنيه فى سيره المصلحين والحجج الإلهيين، للتدليل على واحده من أهمّ مفاصل العقيده الإسلاميّه، بل الإنسانيه ألا وهى إمامه الحجّه ابن الحسن عليه السلام وغيبته وظهوره المشرق الذى يملأها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

والمركز إذ يشكر المؤلّف على هذا العطاء الفذّ والجديد فى نوعه فإنَّه يعتزّ بما يقدّمه للمكتبه العقائديه وللقارئ الكريم، سائلين المولى تعالى أن يجعلنا وإيّاهم من أنصار الإمام وأعوانه والمستشهدين بين يديه.

مدير المركز السيّد محمّد القبانچى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمه المؤلّف:

الحمد لله الذى لا يخلف وعده وهو ناصر رسله ومضت إرادته أن يمنَّ على الذين استضعفوا فى الأرض ويجعلهم أئمّه ويجعلهم الوارثين، ثمّ الصلاه والسلام على الرسول الشاهد على خلقه المبشّر بأنَّ المهدى من ذرّيته، وعلى خلفائه من أهل بيته الموعودين باستخلافهم فى الأرض وتمكين الدين ليظهروه رغم كره الكافرين الجاحدين لهم.

وبعد..

فإنَّه تعالى قال: (وَ لَقَدْ صَرَّفْنا لِلنّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً) (الإسراء: ٨٩)، فلا يخلو الكتاب العزيز من الإجابه عن أىّ سؤال تحتاجه البشريه فى مسير هدايتها إلاَّ وقد ذكره وبيَّنه من خلال مثل لكنَّه تعالى أشار أنَّ تلك الأمثال تحتاج إلى قراءه عقليه بأداه علميه لتظهر الإجابه حيث قال عزَّ اسمه: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ) (العنكبوت: ۴۳)، وقال: (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: ٢١)، فالأمثال القرآنيه جواب يُقرأ بالتفكّر، ومن تلك الأمثال قصص الأنبياء عليهم السلام فهى (عِبْرَهٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَىْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ١١١)، ففى قصصهم عبر وأمثال يفصَّل منها الإجابه على كلّ شىء.

ومن تلك الأسئله المطروحه على ساحه العقيده الإيمانيه غيبه

المهدی علیه السلام وما یلفّ حولها من تداعیات لاسیّما وأنَّها العقیده الرکن فی راهن الإیمان الحاضر بالإمامه الإلهیه، فکانت الإجابه عن التساؤلات الدائره حولها لا محاله نجدها فی الأمثال والقصص القرآنیه المستعرضه لحال الأنبیاء والأولیاء المصطفین السابقین.

فکانت هذه السلسله حول الظواهر القرآنیه وارتباطها بالغیبه للمهدی علیه السلام، کیف لا وها هو القرآن ینادینا بأنَّ قصصهم لا یتوقَّف عندها کسطح ظاهر فی أشخاص الأنبیاء والأصفیاء، بل یعبر منها عبور مثل للوصول إلی حقائق أخری، فصحَّ أنَّه لم یستعرض القرآن قصَّه لنبیّ من السابقین إلاَّ مثلاً وعبرهً لعقیده وحکمه راهنه أرادها من المسلمین والبشر أن یعقلوها فی ظرفهم الحاضر من دین الإسلام.

فکان هذا البحث خطوات فی هذا الطریق والمنهاج الذی دعانا إلیه القرآن، لاستخراج أجوبه القرآن عن تساؤلات غیبه المهدی علیه السلام وموقف الکتاب تجاه هذه العقیده والحقیقه الراهنه.

وأقدّم جزیل شکری لسماحه الفهّامه البحّاث ابن بجده هذا الباب السیّد محمّد القبانچی دام توفیقه فی هذا المیدان مدیر مرکز الدراسات التخصّصیه فی الإمام المهدی علیه السلام علی ما بذله وفریق مساعدیه من جهود فی تنقیح وتقویم متن هذا الکتاب، داعیاً المولی سبحانه أن یوفّق للمزید ویجعل الجمیع أهلاً لنصره ولیّه المنتظر عجَّل الله تعالی فرجه المبارک لإسعاد البشر.

محمّد السند/ النجف الأشرف (۲۸ جمادی الأوّل/ ۱۴۳۱ه-)

التمهيد: الاستدلال بالظواهر القرآنيه المستعرضه لسيره الأنبياء عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العالمين والصلاه والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين وعجّل الله فرجهم وفرجنا بهم، اللّهمّ اكشف هذه الغمّه عن هذه الأمّه بظهور الحجّه عليه السلام.

فى الحقيقه إنَّ الاستدلال بسير الأنبياء السابقين التى استعرضها لنا القرآن الكريم فى دعواتهم الإصلاحيه ونهوضهم بالبرنامج الإلهى، وكون سلسله منهم من الموعود بهم وبشَّر بهم، للقيام بعمليه الإصلاح، هو ممَّا يستعرضه لنا القرآن الكريم من سيرهم، وفيه أبعاد عديده، وممَّا لا ريب فيه أنَّ أحد تلك الأبعاد هو الإيمان بهم وبما جرى عليهم وبما ذكره القرآن من سيرتهم، وهذا بلا ريب هو من الإيمان بكتب الله ورسله وملائكته.

والبعد الآخر وهو الذى يعنينا أيضاً فيما يتَّصل بعقيدتنا بخلفاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء الاثنى عشر لاسيّما الثانى عشر منهم الإمام المهدى عليه السلام وحاله الغيبه، أو حاله الخفاء هى عقيده قرآنيه، إسلاميّه، وإيمانيه أصيله.

البعد الثانى فى سير الأنبياء هو كون ما جرى عليهم من مواقف

ومحطّات وتقادير وأقضيه إلهيه بمثابه عِبر وعظات عقائديه، وأمثال ضربها الله فى القرآن الكريم، كى نبصر ونستبصر ونُبصّر بها فى مجال المحاور العقائديه التى كُلِّفنا بها، وافتُرض علينا الإيمان والتصديق بها فى دين الإسلام.

ها نحن نقرأ فى القرآن الكريم فى موارد عديده حول الأنبياء، مثلاً: ما فى آخر سوره يوسف عندما يستعرض لنا القرآن الكريم السنن والتقادير والأقضيه الإلهيه التى جرت على يعقوب ويوسف، ويخبرنا القرآن الكريم: (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ) بصوره الجمع، أى إنَّها لجميع الأنبياء، بل هذا فى الحقيقه قالب ومعادله قرآنيه عامه لكلّ الأنبياء عليهم السلام، (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) (يوسف: ١١١)، إذن ليس هو الإيمان والتصديق بالأنبياء فقط وفقط، بل هناك بُعد آخر مهمّ جدَّاً، وهو أن نعتبر بما استعرضه لنا القرآن الكريم من قصصهم، وسيرهم وأحوالهم، وسنن الله عز وجل فيهم، أن نعتبر ونتَّعظ فيما يفترضه علينا القرآن الكريم، وتفترضه علينا الديانه الإسلاميّه من عقائد، لأنَّ المفروض أنَّ الذى استعرضه لنا القرآن الكريم هو محطّات عقائديه فى الأنبياء، حيث نريد أن نستخلص منها عبره، هى ليست عبره فى فروع الدين، وإنَّما هى عبره فى أصول الدين، وعبره فى عقائد الدين.

إذن معنى العِبره أن يُعتبر من هذه العقيده كَمَثَل لعقيده أخرى راهنه إسلاميّه معاصره. وهى آخر الأمم مبعثاً. فالعبره فى الواقع عبور من شىء إلى آخر موازٍ ومكافئ ومعادل له، حيث إنَّ ما جرى فى الأنبياء عموماً وغالباً، وجُلَّ ما يستعرضه لنا القرآن الكريم من الجانب العقدى

والاعتقادی(۱)، هی مواقف ومحطّات عقائدیه واعتقادیه فی الأنبیاء وهی لیست محلّ نسخ بین الشرائع، لأنَّ العقیده واحده، والدین واحد، وهو دین الإسلام المتقوّم بحوزه ودائره أصول الدین، هذه الدائره یستعرضها لنا القرآن الکریم مؤکّداً فی جمله من السور وجمله من الآیات أنَّ هذه المحطّات یجب أن نعتقد بها، مثل کتب الله ورسله وأنبیائه وملائکته، إلی جانب کونها عِبَراً یعبر المکلَّف من هذه المحطّه العقائدیه إلی محطّه عقائدیه أخری راهنه، ثمّ ینتقل بها إلی المحور العقائدی الاعتقادی الراهن فی الأمّه الإسلامیّه. فهناک قاعده قرآنیه محکمه أصیله شریفه مفادها ومؤدّاها (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ) ، فی قصص الأنبیاء والرسل والحجج الإلهیه السابقه (عِبْرَهٌ) ، أی مضافاً إلی وجوب الإیمان والتصدیق بهم هناک عبره، أی إلی جانب کونه ذا بصمهٍ ولون ومسحه عقائدیه هو أیضاً عبره لأمرٍ عقائدی آخر.

فهنا نستلهم من القرآن الکریم ونستبصر منه أنَّ کلّ ما جری فی الأنبیاء السابقین سیجری فی محاور اعتقادیه عقدیه فی هذه الأمّه. انظر هذا البیان التیّر من القرآن الکریم وهو بصائر لأولی الألباب (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْ ءٍ) ، إذن لیست هی مسودّه قلمیه کتابیه مکتوبه لروایه رومانسیه یسردها وینسجها الخیال والوهم والتحلیق فی عالم الأوهام وعالم دعابه المخیّله، کلاَّ، إنَّما هی حقائق قد جرت فی أنبیاء الله السابقین، وستجری فی الحجج والأوصیاء فی هذه الأمّه.

۱- (۱) وإن کان یستعرض أیضاً جانباً من الأعمال وسنن الفروع، ولکن فی الدرجه الأولی - سیّما الذی هو لیس محلّ النسخ - هی المحطّات العقائدیه فی الأنبیاء.

إذن قصصهم فيها تفصيل كلّ شيء، وبالتالى ستبتلى به الأمّه، ولا ريب فى أنَّه من البنى الركنيه المحوريه الأساسيه فيما استعرضه لنا القرآن الكريم من قصص الأنبياء السابقين، ومواقفهم ومحطّاتهم ومقاماتهم العقائديه والسنن.

فالقرآن الكريم يؤسّس لنا عقائد معرفيه معارفيه اعتقاديه، وهى: أنَّ ما جرى فى الأنبياء والرسل السابقين مضافاً إلى وجوب الاعتقاد والتصديق به، هو أيضاً معبر يعبرون منه، وينتقلون منه، ليكن الانعكاس منه كمرآه لِما يجرى عليكم ولِما يفترض عليكم فى هذا الدين وفى هذه الشريعه الخاتمه الخالده الباقيه.

هذا تعليم قرآنى اعتقادى أصيل، بأن نستلهم الأجوبه لما نبتلى به من أسئله عقائديه فى هذه الأمّه، وفى هذه الشريعه، نستلهمه ممَّا قد جرى فى قصص الأنبياء السابقين، فهى دعوه من القرآن الكريم لاتّخاذ هذا المنهج لحلّ معضلات الحياه فكرياً وعقائدياً.

ونحن نعيش فى ظلّ هذا العهد الراهن وهو عهد الاعتقاد بالإمام المهدى وطول حياته وغيبته، فكما أنَّه محور وركن عقدى واعتقادى هو أيضاً محلّ حديث واسع فسيح بين الفِرَق الإسلاميّه، مضافاً إلى أنَّ سُنّه الله التى جرت فى الحجج السابقين لن تتبدَّل (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: ۴۳)، والتاريخ يُعيد نفسه كما تفيدنا آيات أخر من القرآن الكريم، فبالتالى هذه إضاءه أخرى من القرآن الكريم تدفعنا وتحثّنا لمتابعه الجواب عن أكبر عقيده احتدم حولها السؤال فى الساحه الإسلاميّه، بل وفى الساحه البشريه، ألا ـ وهى العقيده بالإمام المهدى عليه السلام وغيبته وحياته وإعداده للظهور والإصلاح الشامل،

وهـل نجـد إجـابه عن الإثارات التى تـدور حول هـذا الموضوع فى القصـص والسـنن التى جرت فى أنبياء الله عز وجل وأوصـياء الأنبياء، وفى حجج الله، فإنَّها سوف لن تتحوَّل، وهى سُـنّه جاريه إلى يوم القيامه، زد على ذلك ما ثبت فى الحديث النبوى الذى روى عن الفريقين من أنَّ ما جرى فى الأمم السابقه سيجرى فى هذه الأمّه. قال النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم: (لتركبنَّ سُنّه من كـان قبلكم حـذو النعـل بالنعـل، والقـذّه بالقـذّه، ولا تخطؤون طريقتهم، شبر بشبر، وذراع بـذراع، وباع بباع، حتَّى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضبّ لدخلتموه)(1)، فالسنن إذن جاريه فى اللاحق كما جرت فى السابق.

هنـا قـد نتساءل: هل هـذه القراءه للآيات القرآنيه وظواهر القرآن الكريم تُعـدّ من التأويل، أو من الاسـتظهار والتمسّك بمؤدّيات الألفاظ؟ فنقول: فى الحقيقه إنَّ هـذا الاسـتظهار يـدعو إليه نفس القرآن الكريم فى توصـيات عديـده كقوله تعالى: (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر: ١٧)، (أَ فَلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) (محمّـد: ٢۴)، فنجد الحثّ على التدبّر والتذكّر وعلى الاتّعاظ والعبره.

هناك أوامر وتوصـيات مشـدَّده من القرآن الكريم للبشـريه بالقيام بالتأمّل والتبصّـر فى خضم وغمرات هـذا القرآن الكريم، وإلاَّ فليس هدف نزوله أن نقرأه للبركه، ولقلقه تتردَّد نغماته على الحناجر، بل آياته فى الحقيقه مرتّبه ومعدّه ومقدّمه لأجل أن نغوص فى بحـار معانيهـا. فقـد دعانـا القرآن الكريم لأـن تكون هناك عبره (لَقَـدْ كانَ فِى قَصَصِـهِمْ عِبْرَهٌ ...)، أى يجب الاعتبار ويجب الاتّعاظ، ولا

١- (١) أنظر: تفسير القمى ۴١٣ :٢؛ بحار الأنوار ٢۴٩ :٩.

ریب أنَّ المعـانی لاـ تظهر من ظواهر الألفـاظ بمجرَّد الاسترسـال العفوی، وبنظره أولی فاحصه تظهر غزاره معانی الآیات الکریمه من طافـح الآیـات، وإلاَّـ لو کـانت درر المعـانی تظهر بمجرَّد الاسترسـال فی القراءه لمـا احتاج القرآن الکریم أن یوصـینا ویأمرنا بالتـدبّر، فالتـدبّر یعنی نوعاً من الاتّعاظ والتأمّل والتمعّن والتحلیل والنظر والأخذ والإحاطه بالمعنی وتقلیبه فی جهات عدیده، إلی أن یتنفَّس ویحصحص نور المعنی.

لذا احتاج المسـلمون فی کلّ عصر إلی مفسّرین متخصّصین فی أحد العلوم الإسلامیّه الشامخه، وهو علم التفسیر، وهناک جمهره کبیره من علمـاء المسـلمین فی کـلّ الفِرَق الإسـلامیّه انبروا للتخصّـص وإلی اعتلاء مـدارج هـذا العلم، بما یـدلّل علی أنَّ تفسـیر القرآن یحتاج إلی موازین وإلی قواعد یجب أن یستلهمها ویحیط بها المسلم عندما یرید أن یتدبَّر القرآن الکریم.

إنَّ تفسـیر معانی القرآن الکریم فی حین أنَّه لا بـدَّ أن یسـتند إلی أصول اللغه العربیه وأصول القواعد الاسـتظهاریه، إلاَّ أنَّ إعمال هذه القواعد والاسـتفاده منها لا یظهر فی الوهله الأولی بشـکل عفوی، وإنَّما یحتاج إلی نوع من الإمعان ونوع من الدرایه العلمیه، ونوع من التحلیل العلمی، ونوع من التجارب العلمیه، ونوع من الأخـذ والعطاء العلمی، وبالتالی تکون النتیجه موزونه إذا اسـتندت إلی شواهد وإلی دلالات تقرّها قواعد علوم اللغه العربیه وقواعد الشـریعه والقواعد العقلیه الفطریه البدیهیه، فتظهر وتتَّضح النتیجه. ولربَّمـا کانت النتیجه للسامعین فی البادئ نظریه أو متوّغله فی النظریه ولیست بـدیهیه، ولکنَّنا بالتأمّل والتـدبّر إلی حلقات القواعد وترامیها وتولیدها للنتیجه سوف تظهر لنا

النتيجه ناصعه يانعه بيّنه شعشعانيه ظاهره، وأمَّا النتيجه المبتيّه على الهوس والقريحه والذوق والتخرّص فلا يُعوَّل عليها، ولا هى بنافعه أىّ قارئ يتدبَّر القرآن الكريم إذا أراد أن يستبصر هداه ونوره.

فلا تكون النتيجه صحيحه ومثمره إلاَّ إذا استندت إلى سلسله شواهد وحلقات، نظير أىّ استنتاج رياضى، فلربَّما تتوقَّف المعادله على مرحله من إجراء المعادلات، أو مرحلتين، أو ثلاث، أو أربع، أو عشر، لكنَّها تصل بعدئذٍ إلى النتيجه السليمه، مستنده إلى هذه الحلقات، فالعمده إذن وجود سلسله قواعد وشواهد توصلك إلى النتيجه الصحيحه، والقرآن الكريم فى الحقيقه ينبئ عن تدريجيه المعانى فيه وتراتبيّتها، وإلاَّ فلو كان المعنى يتلقَّفه القرّاء للقرآن الكريم من طفح السطح الظاهر لما احتاج القرآن الكريم إلى التأكيد على التدبّر وعلى أخذ العبر والاتّعاظ، وأن يعبر الإنسان من معنىً إلى معنى.

القرآن الكريم يحثّ على عدم الوقوف والجمود، ويحثّ على الاتّعاظ والعبور من معنى إلى آخر ومن محطّه إلى أخرى بشكل موزون على سكّه مقرَّره مشروعه رسميه، هذا هو معنى العبور (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ...)، أى لا تقِفوا عندها، بل تجاوزوها إلى محطّه أخرى، وإلى محور وركن عقدى واعتقادى آخر، وقد ورد فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام أنَّ كلّ ما استعرضه القرآن الكريم ممَّا جرى على الأنبياء السابقين هو مثال لما يجرى على محمّد وآل محمّد عليهم السلام.

وقد نتسائل: هل هذه القراءه بمنأى عن سُنّه النبىّ وأهل بيته عليهم السلام، وهل هو من باب تفسير القرآن بالقرآن، أم تفسير القرآن بالسُنّه؟

فنقول: فی الحقیقه لن یکون هـذا من القراءه القرآنیه البعیـده عن الثقل الثانی، لأنّنا امرنا بأن نتمسّک بالثقلین، ومن غیر الصـحیح حینئذٍ أن نقول: (حسبنا کتاب الله)(۱)، بل القرآن الکریم یقول: (وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْم) (آل عمران: ۷)، فالآیه تـدعو إلی معیّه الثقلین، کمـا هو الحـال فی سوره (الواقعه: ۷۹ ـ ۷۷): (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ*فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ*لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) ، والمطهَّرون هـم أهـل آیه التطهیر(۲)، فهنـاک آیـات عدیـده فی القرآن الکریم هی آیات الثِقْلَین فی الواقع، ومعیّه الثقلین، أمَّا هـذه الـدعوه التی ربَّمـا تطالعنا فی الآونه الأخیره (تفسیر القرآن بالقرآن) فهی لیست تفسیر القرآن بالقرآن، بل هی تفسیر القرآن

۱- (۱) القوله المشـهوره التی أطلقهـا عمر بن الخطّاب فی أخطر مرحله مرَّت بها الـدعوه الإسـلامیّه، ألا وهی انتقال النبیّ الأکرم صلی الله علیه وآله وسـلم إلی الرفیق الأعلی، فقـد روی معظم محدّثی العامّه والخاصّه عن ابن عبّاس، قال: لمَّا احتضـر رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم وفی البیت رجال منهم عمر بن الخطّاب، قال النبیّ صـلی الله علیه وآله وسلم: (هلمَّ أکتب لکم کتاباً لا تضلّون بعده) فقال عمر: إنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قد غلب علیه الوجع وعندکم القرآن (حسبنا کتاب الله). فاختلف القوم واختصـموا، فمنهم من یقول: قرّبوا إلیه یکتب لکم کتاباً لن تضـلّوا بعـده، ومنهم من یقول: القول مـا قاله عمر، فلمَّا أکثروا اللغو والاختلاف عنده صلی الله علیه وآله وسلم قال لهم: (قوموا)، فقاموا فکان ابن عبّاس یقول: إنَّ الرزیه کلّ الرزیه ما حال بین رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وبین أن یکتب لکم ذلک الکتاب. (شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۵۵ :۲). وفی روایه أنَّه قال: (إنَّ النبیّ یهجر!!). (أضواء علی السُـنه المحمّـدیه/ محمود أبو ریه: ۵۵). یقول السـیّد شرف الدین: وهذا الحدیث ممَّا لا کلام فی صـحَّته ولا فی صدوره، وقد أورده البخاری فی عدّه مواضع من صـحیحه، وأخرجه مسـلم فی آخر الوصایا من صحیحه أیضاً، ورواه أحمد من حدیث ابن عبّاس فی مسـنده، وسائر أصحاب السنن والأخبار، وقد تصرَّفوا فیه إذ نقلوه بالمعنی، لأنَّ لفظه الثـابت: (إنَّ النبیّ یهجر)، لکنَّهم ذکروا أنَّه قـال: إنَّ النبیّ قـد غلب علیه الوجه تهـذیباً للعبـاره، وتقلیلاً لما یُسـتهجن منها. راجع: (المراجعات: ۳۵۳).

۲- (۲) وهی قوله تعالی: إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً (الأحزاب: ۳۳).

باجتهاد المجتهد فی القرآن، بمنأی عن الروایات، وهی تفسیر بجهد بشری بالاستعانه بالقرآن، وإلاّ فالقرآن إنَّما یفسّر نفسه علی لسان القرآن الناطق، وهم النبیّ وأهل بیته علیهم السلام.

فی الحقیقه (تفسیر القرآن بالقرآن) قد یکون عباره عن شعار مخادع، إذ لا تعنی هذه المقوله تفسیر القرآن بنفسه من دون الحاجه إلی السُنّه، إذ أنَّ السُنّه هی تفسیر القرآن بالقرآن وسُنّه المعصومین، وأمَّا تفسیر المجتهد أو الفقیه أو العالم فهو فی الواقع جهد بشری لتفسیر القرآن بالاستعانه بالقرآن ولکن بقدره بشریه محدوده لا یمکن أن تحیط بمنظومه القرآن التی لا تنفد بمنأی عن السُنّه، والاقتصار علی هذا المنهج خطأ واضح.

وقد یرفع هذا الشعار فی کثیر من الموسوعات التفسیریه ویجعل عنواناً للتفسیر وهو عنوان مخادع من الناحیه العلمیه، لأنَّه لیس تفسیراً للقرآن بالمنظومه الهائله للقرآن، بل بنتاج جهد بشری فی فهم القرآن، ولا ینطبق علی حقیقه المنهج الصحیح.

* * *

الظاهره الأولى: الإمام المهدى والنبى موسى عليهما السلام

اشاره

ص:۱۷

اهتمَّ القرآن الكريم باستعراض عدّه من الحُجج والمصلحين الإلهيين المنصوبين من قبله تعالى، وقد تضمَّنت حالاتهم وخصائصهم ما تتضمَّن خصائص وحالات الإمام المهدى عليه السلام نظير ما استعرضه لنا القرآن الكريم فى النبىّ موسى عليه السلام، والنبىّ عيسى عليه السلام، والنبىّ يوسف عليه السلام، وكذلك صفى الله الخضر، وغير ذلك من نماذج.

إنَّ هذا الاستعراض من القرآن الكريم لخصائص حجج الله المنصوبين والمبعوثين لنجاه البشريه، وللإصلاح البشرى وإصلاح الفساد فى الأرض له مغزىً وحكمه إلهيه باهره وبارعه، ليدلّ المسلم والمؤمن المعتقد بالقرآن الكريم إلى أنَّ شؤون الحجّه الإلهيه تمرُّ بمثل هذه الحالات، وتمرُّ بمثل هذه الأدوار. وهو من باب (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) (يوسف: ١١١)، كما فى ذيل سوره النبىّ يوسف.

إنَّ قصص الأنبياء والأوصياء والحجج الذين استعرضهم القرآن الكريم ليس لأجل الإثراء فى الخيال، ودعابه الحسّ للذاكره وما شابه ذلك، بل هو عبره، فإن كان الأمر الذى استُعرض أمراً عقدياً اعتقادياً، فهو عبره للمسلمين وللمؤمنين فى أبعاد عقيدتهم ومسائلهم العقائديه، وإن كان فى بُعد الآداب والأخلاق فى السنن فهو أيضاً عبره، لاسيّما وإنَّ العقائد فى بعثات الأنبياء لا تنسخ، والذى ينسخ هو فروع المسائل وفروع تفاصيل الشريعه، وأمَّا العقائد والمعارف فهى على نسق واحد، وما يرتبط بالحجج والأنبياء فهو أمر واحد ومتَّفق عليه، لأنَّ (إِنَّ الدِّينَ

عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ) (آل عمران: ۱۹)، بُعث عليه آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، نعم تنسخ شريعه النبيّ بشريعه نبيّ آخر (لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَهً وَ مِنْهاجاً) (المائده: ۴۸)، وأمَّا الدين فهو فى دائره العقائد والمعارف وأركان الفروع فتلك ثوابت مستمرّه.

فبهذه المقدّمه وهى التى تختصّ بالقرآن الكريم، فهى تشكّل حقائق يعتبر بها _ حينئذٍ _ المؤمن والمسلم القارئ للقرآن الكريم، وما نشاهده من شجون فى هؤلاء الحجج يكوّن داعياً واضحاً من الله عز وجل لأبناء هذه الأمّه، ليتخطّوا هذه الشاكله والسُنّه الإلهيه فى الحجج.

أوجه الشبه بين الإمام المهدى والنبيّ موسى عليهما السلام:

هناك عدّه سور قرآنيه تناولت حياه النبيّ موسى عليه السلام بدءاً من ولادته، وحتّى قبل ولادته وخفاء ولادته، ثمّ ترعرعه ونشأته فى الخفاء، ثمّ غيبته عن بنى إسرائيل، وفى الحقيقه فإنَّه غاب عن بنى إسرائيل منذ ولادته، وكان قومه يتطلَّعون إليه كمنج ومغيث لهم من الفراعنه حيث إنَّهم قاموا باستعباد بنى إسرائيل. فقد كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم، كما فى قوله تعالى: (وَ إِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِى ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) (الأعراف: ۱۴۱)، فتطلّع بنى إسرائيل وانتظارهم للنبيّ موسى كنبيّ وكإمام مُنج ومصلح لهذا الفساد والظلم والضيم الذى يعيشون فيه هو محلّ عِظه وعبره يسطّرها لنا القرآن الكريم، وهو أنَّ فى أدوار تفشّى الظلم والفساد تأتى سُنّه الله عز وجل، وهى بعثُ المصلح وربَّما تغيب وتخفى ولاده المنجى والمصلح الذى هو حجّه من الله، بل حتَّى ما بعد الولاده

يمكن أن تخفى حاله، كما جرى فى النبيّ موسى وغيبته، ثمّ مجيئه بعد الغيبه، وإنجائه لبنى إسرائيل وما رافق ذلك، فهنالك فى الواقع عدّه محاور يمكن استعراضها بشكل تفصيلى، وإنّما ذكرت ذلك إجمالاً الآن فى حياه النبيّ موسى، لأنّها مشابهه جدّاً لما مرَّ به الإمام المهدى عليه السلام، وهو الثانى عشر من الخلفاء الذين وعد بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أنّهم (كلّهم من قريش)(۱)، أو (من بنى هاشم)(۲)، كما روى ذلك جمهور المحدّثين، ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ هناك آيات عديده تناولت موضوع إمامه

۱- (۱) من ذلك ما روى عن جابر بن سمره السوائى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى حجه الوداع: (إنَّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتَّى يمضى من أمّتى اثنا عشر خليفه)، قال: ثمّ تكلَّم بشىء لم أفهمه، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: (كلّهم من قريش)؛ وفى حديث آخر عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى حجه الوداع: (لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتَّى يمضى من أمّتى اثنا عشر أميراً كلّهم...)، ثمّ خفى من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: وكان أبى أقرب إلى راحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منّى، فقلت: يا أبتاه ما الذى خفى من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: يقول: (كلّهم من قريش). أنظر: مسند أحمد ۸۷ :۵؛ صحيح البخارى ۱۲۷ :۸؛ صحيح مسلم ۳ :۶ و۴؛ سنن أبى داود ۳۰۹ :۲؛ سنن الترمذى ۳۴۰ :۳؛ مستدرك الحاكم ۶۱۷ :۳، رووه بألفاظ مختلفه ومعناها واحد. ومن ذلك ما روى عن عون ابن أبى جحيفه، عن أبيه، قال: كنت مع عمّى عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (لا يزال أمر أمّتى صالحاً حتَّى يمضى اثنا عشر خليفه)، ثمّ قال كلمه وخفض بها صوته، فقلت لعمّى وكان أمامى: ما قال يا عمّ؟ قال: قال: يا بنى (كلّهم من قريش). (مستدرك الحاكم ۶۱۸ :۳؛ المعجم الكبير ۱۲۰ :۲۲).

۲- (۲) روى عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمره، قال: كنت مع أبى عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول: (بعدى اثنا عشر خليفه)، ثمّ أخفى صوته، فقلت لأبى: ما الذى قال؟ قال: قال: (كلّهم من بنى هاشم). (ينابيع المودّه ۳۱۵ :۲).

أهل البيت، ولكن نحن فی صدد بحث الخصائص الخاصّه بحالات وشؤون العقيده بالإمام المهدی عليه السلام.

علّه اختفاء النبیّ موسی عليه السلام عن قومه:

عند قراءه سوره القصص، وهی إحدی السور التی تستعرض حياه النبیّ موسی بدءاً وانتهاءاً، يقول تعالی: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*طسم*تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ*نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسی وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (القصص: ٣ ـ ١)، نجد أنَّ الله عز وجل قد قصَّ قصّه حُجّهٍ من حُججه، وليس هو نبیّ ومرسل من آحاد أو أوساط المرسلين، بل هو نبیّ من أولی العزم، فما يتلوه القرآن وينبئنا به من حديث النبیّ موسی وفرعون هو إنباء بالحقّ وليس إنباءاً بالكذب والباطل، فكلّ ما يستعرضه لنا القرآن الكريم هو حقّ (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ، وهذه التلاوه والإنباء من الله عز وجل عن ظاهره النبیّ موسی وفرعون هی ظاهره يتلوها وينبؤها القرآن الكريم لقوم يؤمنون بوجود مثل هذه السنن الإلهيه فی حججه، ويؤمنون بهذه السنن الإلهيه فی الحُجج المنصوبين لنجاه البشريه ولإصلاح الوضع البشری. إنَّ فرعون هو الظاهره الأوليه التی استدعت بعثه النبیّ موسی كمنج ومصلح، (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَهً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِی نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ۴).

وفی الحديث: ذكر رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم بلاءاً يصيب هذه الأمّه، حتّی لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، (فيبعث الله رجلًا من عترتی من أهل بيتی فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)(١).

١- (١) العمده: ۴۳۶/ ح ۹۱۸؛ بحار الأنوار ١٠۴ :٥١.

أنظر وقع السنن الإلهيه، هی نفس السنن، الظهور بالعدل والقسط بعد ما تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، هنا القرآن الكريم أيضاً يذكر لك قاطره هذه السنن يتلو بعضها بعضاً، هذه الحلقه الأولى، فالظلم والفساد تفشّى فی الأرض فی حقبه الفراعنه، وفی حقبه فرعون أو فرعون الفراعنه، حينئذٍ تأتی السنن الإلهيه، وذلك عندما يتفشّی الفساد وينتشر الظلم. ولنا وقفه مليّه عند هذه السنن الإلهيه إن شاء الله تعالى باستعراض أبعادٍ عديده، ولكن إلى أن نصل إلى خفاء ولاده النبیّ موسى، (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ) (القصص: ۵)، فهل هذه الإراده الإلهيه هی إراده جزئيه خاصّه استثنائيه ببنی إسرائيل أو ما واكب تلك الحقبه، أو أنّها فی الحقيقه سُنّه إلهيه دائمه؟ هذه فی الواقع محطّه يجب على المؤمن والمسلم عند قراءته القرآن الكريم أن يتمعَّن فيها، إذ هی فی الواقع إراده مستمرّه وسُنّه دائمه، (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: ۴۳)، سنن الله عز وجل هی سنن واحده، على إراده واحده، على شاكله واحده، فلذلك جاءت الإراده الإلهيه فی جعل المستضعفين أئمّه وهذه سُنّه دائمه، وسنخوض فيها مليّاً ونُشبعها لأجل تبيان هذه المشاكله فی الظاهره القرآنيه مع الإمام المهدی عليه السلام، فی الدعاء: (حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ _ أو فی بعض ألفاظ الدعاء: وتمكّنه _ فِيهَا طَوِيلاً)(۱)، (وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ) يعنی النهج الفرعونی نهج الظلم نهج الاستعباد نهج الاستعمار، (وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ

۱- (۱) مصباح المتهجّد: ۶۳۱/ ح (۸۵/۷۰۹).

ما كانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص: ۶)، وهنا تبدأ البيئه التى بُعث فيها النبىّ موسى لأجل الإنجاء والإصلاح، وهى بيئه تفشّى الظلم والفساد فيها، وبالمقابل تأتى السُنّه الإلهيه، لكى تكون العاقبه للإصلاح.

نعم، ظاهره خفاء ولاده النبىّ موسى عليه السلام الذى كان يترقّبه بنو إسرائيل كمنج ومصلح لهم، وإن كنّا لم نستوف تمام الكلام عن سُنّه الله فى الإصلاح بعد تفشّى الفساد والظلم كما تشير إليه الآيه السابقه، ففى كلّ زمان ومكان بعد تفشّى الفساد والظلم فيه، هناك إراده وسُنّه إلهيه فى جعل المستضعفين أو من المستضعفين أئمّه وارثين متمكّنين فى إداره وتدبير الأرض.

لكن فى البدء المستهل فى خفاء ولاده النبىّ موسى عليه السلام أنظر كيف يستعرضها لنا القرآن الكريم، وما هى أسباب خفاء ولاده هذا المنجى، كأنَّ تلك السُنّه أو تلك السنن تتكرَّر وتعاود الوقوع الفينه بعد الأخرى، وهذا هو مغزى استعراض القرآن الكريم لذلك. فالنبىّ موسى رغم أنَّه هو المنجى الموعود لبنى إسرائيل فى تلك الحقبه، وهو المصلح لهم، وهو المنقذ لهم من استعباد الفراعنه وإفسادهم فى الأرض، جعل الله ولاده هذا المنجى وهذا المصلح فى خفاء وغيبه وسرّيه، ليس فقط عن فرعون والفراعنه والجهاز الحاكم على البلاد الباطش فى العبيد والبشر، بل فى خفاء حتَّى عن مريدى النبىّ موسى والمؤمنين به والمتوقّعين لظهوره وإنجائه وإصلاحه، فجعل ولادته فى خفاء، ورغم هذا الخفاء لم يخل ذلك باعتقاد المؤمنين من بنى إسرائيل فى كون النبىّ موسى هو حجّه من قِبَل الله تعالى موعود منصوب لنجاتهم وإنقاذهم من براثن الفساد والظلم الفرعونى.

إذن هـذه أوّل أدبيّه قرآنيه، أو حقيقه قرآنيه يستعرضـها لنا القرآن الكريم، وهى أنَّ خفاء ولاده الحُجج لا يتصادم ولا يتقاطع مع الاعتقاد بحجّيتهم، وبحجّيه ذلك المنجى المتوقَّع ظهوره أبداً.

الخفاء أدلّ على الحجّيه:

بل هـذا الخفاء أدلُّ برهانٍ على حجّيه الموعود للإنجاء، لماذا؟ لأنَّ الحجّه بطبيعته سيصـطدم مع قوى الظلم ومع سـطوه وسـلطات المفسـدين فى الأـرض، ومن الواضـح أنَّهم سوف يقعون فى معترك وتصادم معه، ومن الطبيعى أنَّهم سيضـعون برنامجاً لتصـفيه ذلك المصـلح. وعليه فمن الطبيعى أن يكون فى برنامـج العنايه الإلهيه ومخطَّط القدره الربّانيه إخفاؤه بدءاً من الولاده، أنظر ماذا يقول لنا القرآن الكريم فى ظاهره النبىّ موسـى عليه السـلام: (وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لاـ تَخافِى وَ لاـ تَحْزَنِى إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَـلِينَ) ، حيث يكشف لنا من خلال هـذه الآيه عن جوّ مليئ بالإرهاب والخوف، وأنَّ المصـلح ومنـذ بـدوّ تولّده ولأـنَّه موعود بإصـلاح قومه ونجاتهم من براثن الفساد والظلم، ومن ثَمَّ فإنَّ قوى الظلم وقوى البطش تريد أن تحيق به عن طريق الإعدام والإباده من بدء الولاده، ومن ثَمَّ تكون هناك عنايه إلهيه فى خفاء الولاده.

فإخفاء الولاده ليس أمراً أسطورياً فى الحجج، بل هو حقيقه يستعرضها لنا القرآن الكريم، وهى أنَّه قد يكون نبىّ مرسل من أولى العزم موعوداً بكونه هو المنجى وهو المصـلح وهو المنقـذ لبنى إسـرائيل من براثن الظلم والفسـاد فى الأـرض، ومع ذلـك تُخفى ولادته، لماذا؟

لأنَّ ذلك أمر طبيعى يتعقّله العقل الإنسانى فى أنَّ بشائر ذلك المصلح الموعود المنجى الذى تنتظره قلوب المؤمنين فى تلك الحقبه، سوف تُعبّأ ضدّه إراده الظلمه والأنظمه.

العنف والاضطهاد ضدّ الإمامين العسكريين عليهما السلام:

أنظر إلى حياه الإمام على الهادى والإمام الحسن العسكرى عليهما السلام، حيث استُدعيا من المدينه المنوَّره مدينه جدّهما من قِبَل أكبر دوله عظمى آنذاك فى الكره الأرضيه وفى البشريه وهى الدوله العبّاسيه، وجُعلا سجينين عسكريين، إذ كانت سامراء والتى تسمّى ب- (سُرَّ من رأى) أكبر قاعده عسكريه ربَّما فى الكره الأرضيه لدوله عظمى لما يقارب من ثلاثين أو أربعين دوله فى الوضع الراهن من ناحيه المساحه، إذن هى دوله بهذا الاتّساع وبهذه القوّه وبهذا البطش وهذه السطوه، والقاعده العسكريه لهذه الدوله كانت سُرَّ من رأى، ولمَّا يُسجن الإمام الهادى والإمام الحسن العسكرى عليهما السلام فى مدينه عسكريه ذات أهمّيه كهذه يتَّضح جلياً أنَّ النظام العبّاسى كان عنده تعبئه واستنفار وخوف خاصّ واصلٌ إلى درجه تعبويه قصوى يجعل من ذلك الطرف ليس سجيناً مدنياً وليس سجيناً سياسياً فحسب، بل يجعله سجيناً عسكرياً، وهذا خوف مسلَّم به من ذلك الشخص، والمحاكمه التى يحاكم بها محاكمه عسكريه وليست محاكمه سياسيه ولا محاكمه مدنيه، لأنَّها لا تخضع لقوانين ولا لأصول، ما السبب فى ذلك؟ وهذا أوّل دليل وأكبر شاهد تاريخى فى سيره المسلمين عرفه المسلمون عن تخوّف السلطه العبّاسيه من ولاده المهدى عليه السلام. وهو أنَّ الإمام على الهادى والإمام الحسن العسكرى سُجنا فى أكبر معسكر على وجه الأرض فى ذلك الوقت، وجُعلا سجينين عسكريين تحت رقابه

الحكم العسكرى، وإنَّ هذا الاستنفار التعبوى فى درجته القصوى يشبه إلى حدّ التطابق تلك التعبئه التى اتّخذها فرعون تجاه المصلح وهو النبىّ موسى عليه السلام، هنا تشاكلت السنن بين حجج الله.

إذن خفاء ولاده الإمام المهدى عليه السلام وما أنِسَه وعرفه المسلمون والمؤمنون من أمرها فى ظلّ تلك الظروف التى استدعى فيها الإمام الهادى وهو الإمام العاشر من أئمّه أهل البيت عليهم السلام، وما كان ذلك إلَّا لِتَحسُّب الدوله العبّاسيه آنذاك من ظهور هذا المصلح الموعود الذى روى الفريقان فيه ما يقرب من اثنى عشر ألف حديث، كما رصدته إحدى المؤسسات التحقيقيه العلميه فى الحوزه العلميه عندنا(۱).

إذن الحديث متواتر فى ذهنيه المسلمين، فى أنَّ هناك مظهراً مصلحاً منجياً منقذاً للبشريه عموماً، وهذا محور آخر عسى أن نوفَّق لنستعرض الوعود القرآنيه الدالّه على ظهور الإمام المهدى عليه السلام وأنَّه هو الذى يُظهر الدين على أرجاء الكره الأرضيه كافّه.

الوحى الإلهى لأُمّ موسى عليه السلام:

هنا الآيه الكريمه تقول: (وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى ...) وهذا مقطع لطيف، فما معنى هذا الوحى؟ فأُمّ موسى ليست بنبىّ وليست برسول، هذه ظاهره قرآنيه واضحه، وهو أنَّ هناك من الأوصياء ومن الحجج الإلهيين غير الأنبياء وغير الرسل يوحى إليهم، هذه الظاهره القرآنيه لا تفسّرها غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ امّ موسى أوحى إليها (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لا

۱- (۱) أنظر: كتاب معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام، الصادر عن الهيأه العلميه فى مؤسسه المعارف الإسلاميّه.

تَخافِی وَ لاـ تَحْزَنِی إِنّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ) (القصص: ۷)، هذا لیس وحیاً _ کما یقال _ تکوینیاً أو غریزه تکوینیه، کلاّ وإنّما أمر (أَنْ أَرْضِعِیهِ) ، والأمر یعنی وحیاً إنشائیاً، لکن لیس وحی نبوّه، ولیس وحی شریعه، وإنّما هو وحی إنشائی فی الحجج الإلهیه، وسنستعرض فیما یأتی بقیّه تفاصیل خفاء ولاده الإمام المهدی علیه السلام، وبقیّه تفاصیل ولاده النبیّ موسی المشاکله والمشابهه لخفاء ولاده الإمام المهدی علیه السلام وأنّها عِظه وعِبره قرآنیه کبری سطّرها القرآن الکریم للمسلمین وللبشریه إلی یوم القیامه عند تلاوتهم لسوره القصص والسور القرآنیه الأخری.

سرّ استعراض القرآن الکریم عبراً اعتقادیه ذات مغزی عظیم:

إنَّ ما یستعرضه القرآن الکریم لنا من قصص الأنبیاء هی عِبر کما نصَّ علیه القرآن الکریم فی ذیل سوره النبیّ یوسف: (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ) (یوسف: ۱۱۱)، فهی فی الواقع سنن إلهیه تُستعرض لکی یتَّعظ بها المسلمون والمؤمنون، لاسیّما فی الجانب العقدی والاعتقادی، وقد ورد أیضاً فی القرآن الکریم أنَّ سُنّه الله لا تتحوَّل ولا تتبدَّل، وهی سنن دائمه متکرّره فی الأدوار والحقب البشریه إلی یوم القیامه، مع ما ورد عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من أنَّ هذه الأمّه ستنتهج ما نهج فی الأمم السابق تحذو حذوهم حذو القذّه بالقذّه والنعل بالنعل(۱)، وما شابه ذلک، وربَّما

۱- (۱) وهو قوله صلی الله علیه وآله وسلم: (لتسلکنَّ طریق من کان قبلکم حذو القذّه بالقذّه، وحذو النعل بالنعل لا تخطئون طریقهم). (مستدرک الحاکم ۴۶۹ :۴). وعن أبی عبد الله علیه السلام، قال: (إنَّ سنن الأنبیاء علیهم السلام بما وقع بهم من الغیبات حادثه فی القائم منّا أهل البیت حذو النعل بالنعل والقذّه بالقذّه). (کمال الدین: ۳۴۵/ باب ۳۳/ ح ۳۱).

فيه إشاره إلى بعض الآيات الكريمه حيث تؤكّد (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ) (الانشقاق: ١٩).

إذن هـذه السـنن التى تُسـتعرض فى القرآن الكريم للمصـلحين والمنجين المبعوثين لإصـلاح ونجـاه البشـريه، والبشـريه فى تلك الحقب والأدوار تتوقّع وتنتظر ظهورهم، وما يسـتعرضه القرآن الكريم من تفصـيلات متشـعّبه عن أحوالهم، إنَّما هو بيان وتـذكره لسنن اعتقاديه عقديه للمسلمين وللمؤمنين فيما تكون فيه السنن الإلهيه فى هذه الأمّه أيضاً.

نعود إلى خفاء النبىّ موسى عليه السلام هذا النبىّ الذى كانت تتوقَّعه بنو إسرائيل وتنتظره كمصلح ومنج، وقد انتشرت بشائره إلى أسـماع السـلطه الحاكمه الباطشه آنذاك وهى سلطه الفراعنه، فحاولت تصفيه نسل بنى إسرائيل للحيلوله دون تولّد هذا المصلح، وشاكل ذلك ما مارسـته السـلطه فى الـدوله العبّاسـيه فى تلك الحقبه من اسـتقدام الإمام الهادى على بن محمّد النقى العسـكرى عليه السـلام إلى القاعده العسـكريه آنذاك، وتحت رقابه عسـكريه فى مدينه عسـكريه مدجَّجه بالفِرَق العسكريه، فكأنَّما هم فى حـاله اسـتنفار وتعبئه عسـكريه، وليست حـاله تعبويه سياسـيه، وكأنَّما هناك نوعاً من التيّار الجارف الـذى يُمهِّـد له الإمام الهادى والإمام الحسن العسـكرى عليهما السـلام لظهور ابنهم الإمام الثانى عشـر، سيّما وقد نصَّ النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم على أنَّ الأـئمّه الخلفـاء من بعـده اثنا عشـر وكلّهم من قريش، وفى بعض الروايات: من هـذا البطن من بنى هاشم ــ كما مرَّ سابقاً ــ، وقد سمعوا بتلـك الأحاديث المتواتره، حينئـذٍ هـذه الـذاكره المليئه بالأحاديث النبويه والبشائر النبويه، بل والقرآنيه تجعل السـلطه فى حاله استنفار

تعبوی عسکری، هذا الذی شوهد فی التاریخ بنحو قطعی واستعرضته کلّ کتب المسلمین من سجن الإمام الهادی والإمام الحسن العسکری فی تلک القاعده العسکریه التی تدعی ب- (سُرَّ من رأی) والتی تدعی الآن: (سامراء) وهی مثوی الإمامین الشریفین علیهما السلام هناک.

نعم، هذه هی الحاله التی واکبت ولاده الإمام المهدی علیه السلام بالضبط، وهی التی یستعرضها لنا القرآن الکریم عندما واکبت مصلحاً سابقاً فی الأدوار والأحقاب البشریه السابقه، بنفس الشاکله، أنَّ ولادته کانت بالخفاء من السلطه وإرهاب السلطه وبرنامجها التصفوی، حیث یقول القرآن الکریم: (وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی أَنْ أَرْضِعِیهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ ...).

إذن کانت هنالک حاله خوف ورعب عند ولاده هذا المصلح (فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ وَ لا تَخافِی وَ لا تَحْزَنِی إِنّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ) ، وهذه الآیه الکریمه فیها محطّه بیّنه لطیفه تصبّ فی بیان ما تنتهجه مدرسه أهل البیت علیهم السلام، وهو نهج أصیل قرآنی، من تقریر أنَّ هناک حججاً إلهیین لیسوا بأنبیاء ولیسوا بمرسلین، ولکن لدیهم وحی وعلم لدنّی وإن لم یکن وحیاً نبویّاً، وإن لم یکن وحی الرساله، وإنَّما هو علم لدنی، (آتَیْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الکهف: ۶۵)، فالعلم من لدن الله عز وجل، وکذلک قوله تعالی: (وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی) ، إذن امّ موسی صدّیقه ومصطفاه کمریم علیها السلام وانتخبت لولاده هذا النبیّ المرسل من أولی العزم، ومن ثَمَّ کانت الرابطه والارتباط بینها وبین السماء، حیث قالت الآیه: (وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی أَنْ أَرْضِعِیهِ) وهذا أمر ولیس إیعازاً وإلهاماً تکوینیاً، (فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ) وهذا أمر آخر، (وَ لا تَخافِی) وهذا طلب ثالث، (وَ لا تَحْزَنِی) طلب رابع، (إِنّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ) إخبار عمَّا سیقع،

وإنباء بالمستقبل، إذن هناك حجج من الله ليسوا بأنبياء ولا رسلاً يأمرهم بأوامر خاصّه تطبيقاً للشرائع السابقه، وينفّذون برامج من قِبَل البارى تعالى، يزقّون العلم اللدنّى، وأنباء المستقبل (وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) إنباء عن مقام عقدى مستقبلى وهو رساله للنبىّ موسى عليه السلام.

إذن ستّه أمور فى هذا الوحى استعرضها لنا القرآن الكريم فى مضامين الوحى وطيّاته التى ذكرت فى الآيه الكريمه، فى الوحى الذى كان على ارتباط واتّصال بأُمّ موسى.

إنَّ الظاهره القرآنيه فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام يُفهم منها أنَّ مقام الحجج لا يقتصر على الرسل والأنبياء، بل هناك الأئمّه، وهناك الحجج الذين هم أيضاً ليسوا بأئمّه ولا أنبياء ولا مرسلين كمريم عليها السلام، فمريم لم تكن إماماً، ولم تكن نبيّاً، ولم تكن رسولاً، ولكنَّها كانت مصطفاه مطهَّره معصومه من الزلل والخلل، وكان بينها وبين السماء ارتباط، ثمّ إنَّ ظاهره مريم وأُمّ موسى ليستا استثنائيتين، بل هما سُنّتان إلهيتان دائمتان لا تجد لهما تفسيراً عقدياً واعتقادياً فى مناهج الاعتقاد فى مدرسه من مدارس أهل السُنّه وغيرها، إلاَّ فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، حيث الاعتقاد بمقام النبوّه ومقام الرساله بالإضافه إلى الاعتقاد بمقام الإمامه ومقام الحجّيه، وأيضاً مقام الاصطفاء والطهاره والعصمه، كما هو الحال فى فاطمه الزهراء عليها السلام.

إذن هذه ظاهره مهمّه يركّز عليها القرآن الكريم، وهى ظاهره خفاء ولاده النبىّ موسى الذى كان مصلحاً ومنقذاً ومنجياً تنتظره البشريه الأكثريه فى تلك الحقبه، وفيها أمر عجيب وهو أنَّ قدره الله ليست محدوده ولا متناهيه، ويستطيع سبحانه وتعالى أن يحفظ وليّه وحجّته فى

أحضان عدوّه، إذ قال تعالى: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ) (القصص: ٨).

إذن ما الذى تستبعده البشريه فى ولاده الإمام المهدى عليه السلام فى حين كان أبوه وجدّه عليهما السلام محاصَرَين فى قاعده عسكريه تدعى ب- (سُرَّ من رأى) سجنوهما كسجينين عسكريين، أى إنَّ الدوله متّخذه ضدّهما التعبئه والاستنفار العسكرى، والنظام إذا كان يتوجَّس من انقلاب عسكرى فإنَّه سيعلن حاله الطوارئ العسكريه والاستنفار العسكرى، والدوله العبّاسيه طيله حياه الإمام على الهادى الذى هو جدّ الإمام المهدى عليه السلام، وطيله حياه الإمام الحسن العسكرى عليه السلام كانت تعيش حاله تعبئه واستنفار عسكرى، هذا ما سجَّله لنا التاريخ وكتب الروايات إذ أنَّ خلفاء بنى العبّاس كانوا آنذاك يستعرضون العسكر والجيوش أمام الإمام الهادى عليه السلام(١)، ليقولوا له: ليكن فى حسبانك أنَّ أىّ انقضاض على

١- (١) من ذلك ما روى أنَّ المتوكّل - وقيل: الواثق - أمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسُرَّ من رأى أن يملأ كلّ واحد مخلاه فرسه (أى: ما يجعل فيه العلف ويعلَّق فى عنق الدابه) من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض فى وسط بريه واسعه هناك، ففعلوا. فلمَّا صار مثل جبل عظيم صعد فوقه، واستدعى أبا الحسن عليه السلام واستصعده، وقال: استحضرك لنظاره خيولى، وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجافيف (وهو شىء يترك على الفرس يقيه الأذى، وقد يلبسه الإنسان) ويحملوا الأسلحه وقد عرضوا بأحسن زينه، وأتمّ عدّه، وأعظم هيبه، وكان غرضه أن يكسر قلب كلّ من يخرج عليه، وكان خوفه من أبى الحسن عليه السلام أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج على الخليفه. فقال له أبو الحسن عليه السلام: (وهل تريد أن أعرض عليك عسكرى؟)، قال: نعم. فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكه مدجَّجون، فغشى على الخليفه، فلمَّا أفاق قال أبو الحسن عليه السلام: (نحن لا ننافسكم فى الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخره، فلا عليك شىء ممَّا تظنّ). (الخرائج والجرائح ۴۱۴ :١/ باب ١١/ ح ١٩).

نظام الـدوله العبّاسـيه فسـيكون أمامك أرتال وفِرَق تملأ الأفق من العسـكر، وهم يظنّون أنَّ هذه هى القدره وهذه هى القوّه، لأنَّ المنطق عندهم هو منطق القوّه المادّيه الظاهريه لا غير.

إذن التعبئه العسـكريه كـانت موجوده كمـا هو فى حـاله النبىّ موسـى، وأنَّ آل فرعون رغم تعبئتهم ورغم اسـتنفارهم لاستئصـال وذبـح كـلّ نسـل بنى إسـرائيل إلاَّ أنَّ آل فرعون التقطوه ليكون لهم عـدوّاً وحزناً، (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) (القصص: ٨)، لأنَّ قدره الله تحفظ وليّه وحجّته والمبعوث مصـلحاً ومنجياً فى أحضان عدوّه بحمايه الله، النبىّ موسى كان يترعرع وينمو وينشأ فى أحضان العدوّ وعلى بساط النظام الغاشم الظالم، لكن مع ذلك لم يكن يعرف هويه النبىّ موسـى، هذه الغيبه من النبىّ موسـى وخفاء ولادته ونشوئه وترعرعه ليست غيبه مقابل حضور، بل هو حاضر لديهم، إنَّما هى غيبه هويه، غيبه معرفه، غيبه تشخّص.

سرّ استعراض تفاصيل خفاء ولاده موسى عليه السلام:

إنَّ لهـذه القصّه وتفاصـيلها حول خفـاء ولاـده موسـى عليه السـلام مغزى عظيم وحكمه يتَّعـظ بها المسـلمون فى قراءتهم للقرآن الكريم، نعم، هو محطّه جيّده للتأمّل والتدبّر والتمعّن، فإنَّ هذه التفاصيل التى تستعرضها سوره القصص بمفردها، فضلاً عن السور الأـخرى بتفاصـيل وملابسات وشؤون وشـجون خفاء الولاده والرعب الـذى لابسـها، والمراحل التى ترعرع فيها النبىّ موسـى عليه السلام، كلّ ذلك لتبيان القرآن بشكل واضح على أنَّ خفاء ولاده المصلح الموعود المنجى وكيفيه ترعرعه ونشأته عن

المؤمنين به، وعن المستضعفين فى الأرض كما هو الحال مع النبىّ موسى وذلك بعد تفشّى الظلم وفساد الفراعنه والنظام الفرعونى فى أرجاء الأرض لا تتنافى مع حجّيته، لأنَّ هذه سُنّه إلهيه فى الحجج المبشّرين والموعود بهم من قِبَل الله تعالى فى البشائر السماويه، لأنَّهم مصلحون ومنتظرون للإصلاح ونجاه البشريه، ومن الطبيعى أنَّ تلابس نشأتهم وولادتهم وترعرعهم حالةٌ من الخفاء يتسنّى لهم من خلالها ممارسه دورهم وبسط نفوذهم وقدرتهم، وفى الحقيقه أنَّ الخفاء الذى يستعرضه القرآن الكريم فى ولاده النبىّ موسى عليه السلام والذى فيه نماذج تأتى من الظواهر القرآنيه ليست أسطوره، وليست خرافه، ففى هذا العصر توصَّلت البشريه إلى أنَّ من أسرار ورموز القوّه هو السرّيه، أنظر إلى أىّ نظام من أنظمه الدول العصريه الآن إذا لم يتسلَّح بسلاح السرّيه والخفاء فماذا سيحدث؟ إذن أدبيه السرّيه والخفاء وفكره الغيبه والاستتار ظاهره متقدّمه منظوره متمدّنه فى علم إنشاء القدره، لاسيّما فى سبيل الإصلاح، أى إنَّ أيّه قدره تريد أن تترعرع أو تتكوَّن أو تريد أن تبسط أرضيتها وقاعدتها لا بدَّ لها من استعمال عامل الخفاء، وعامل السرّيه.

فهذه ليست هى عقيده أو فكره محضه، بل هى ممارسه عمليه عبر التاريخ. والكثير كان يهرّج ويوظّف الأقلام الوضيعه والألسن الساقطه لادّعاء أنَّ هذه خرافه وأسطوره وأنَّ من يعتقد بها يعيش فى خيال وما شابه ذلك، فتبيَّن من خلال ما سبق: إنَّ هذه حقيقه قرآنيه، وهذه الحقيقه تقرّرها البشريه فى إداره نظم الدول ونظم القدرات، فليس الإعلام ولا حتَّى السلاح النووى أو غيره له قدره توازى قدره الخفاء السرّى، فربَّما

دوله من الدول ليست لديها تلك الأسلحه والأجهزه والآليات اللوجستيكيه، ولكن لديها العمل الخفى السرّى فى العمل والنفوذ والاختراق لخصومها أنفذ من بقيّه الدول التى تكون ظاهرياً أكثر سيطره وأكثر قوّه.

فعنصر الخفاء وعنصر الغيبه وعنصر السرّيه ليس عنصراً ـ كما يروق للبعض ـ أن يعبّر عنه ب- (عقيده باطنيه) أو ما شابه ذلك ممَّا تلهج به الألسن الرخيصه، بل هو مفهوم حضارى قرآنى يستعرضه لنا القرآن الكريم فى المصلحين الإلهيين والحجج الموعود ببعثهم لإنقاذ البشريه من ملابسات تلك الظروف، وهذا أمر وتسلسل وتكوّن طبيعى واضح، أنَّه لا بدَّ من طبيعه المناجزه والمصادمه بين القوى على الصعيد الكائن الموجود للاجتماع البشرى.

ويمكن أن نحسبها سُنّه إلهيه وسُنّه طبيعيه. فطبيعه البشريه الاحتماء من الأخطار بالالتجاء إلى علوم الأمن وعلوم السرّيه وعلوم الخفاء وعلوم المخابرات وعلوم عديده، بل هناك علوم عديده تضاهى العلوم المعلَن عنها من العلوم التجريبيه والعلوم الإنسانيه وغيرها، فعلم الأمن يدخل فى صلب الإداره وفى صلب القياده وفى صلب التدبير، وتقارن السرّيه والخفاء مع التدبير والقياده والإداره والنظم والنظام، وهذه فى الواقع عناوين تحمل معنى الإمامه، أى القياده، أى التدبير، أى الإداره، أى النظم، أى رئاسه النظم، لا بدَّ أن تقترن ملفّاتها وفى حقب فاعليتها وفعاليتها بجانب الخفاء، فلنواكب بقيّه التفاصيل التى تستعرضها لنا سوره القصص بتفاصيل متعدّده متكثّره مبسوطه عن خفاء وملابسات ولاده النبىّ موسى عليه السلام وهو إمام من الأئمّه الذين جعلهم الله تعالى أئمّه

للبشر فی تلک الحقب، وهو من أولی العزم، تقول الآیه الکریمه: (وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَیْنٍ لِی وَ لَکَ لا تَقْتُلُوهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ) (القصص: ۹)، إذن معنی الغیبه هنا الذی تستعرضه لنا الآیه الکریمه للنبیّ موسی لیست غیبه وجود ولا مزایله حضور، وإنَّما غیبه هویه، وللأسف هذه المفرده لم تتبلور بشکل واضح فی غیبه الإمام المهدی، فإنَّه لیس من أمر استعرضه القرآن إلاَّ لأجل عبره فی هذه الأمّه، أنَّه سیجری فی هذه الأمّه من السُّنَن السابقه فی الأمم الماضیه وفی الحجج الإلهیین ما سیجری فی هذه الأمّه.

فمفهوم الغیبه لیس المراد منه غیاب حضور، وإن کان کثر فی الکتابات والألسن أنَّ الغیبه فی مقابل الحضور، وهذه فی الواقع مفهومه مغلوطه، الغیبه مقابل الظهور ولیست مقابل الحضور، فالإمام حاضر، والحجّه الإلهیه حاضره، النبیّ موسی الذی استعرض لنا القرآن الکریم أمره کان حاضراً، غایه الأمر أنَّه کان مخفیّاً خفاء هویه، غائباً عن معرفه أولئک به، لا غائباً وجوداً، وإلاَّ فهو فی کبد الحدث، وفی صلب الحدث، أنظر التعبیر فی الآیه الکریمه: (وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَیْنٍ لِی وَ لَکَ لا تَقْتُلُوهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) ، إنَّما غیبته عدم معرفتهم به وهو موجود بین أیدیهم حاضر عندهم، هذا معنی الغیبه، أی عدم الشعور بالموجود، عدم الشعور بالحاضر، کما قال تعالی: (وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ*وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسی فارِغاً إِنْ کادَتْ لَتُبْدِی بِهِ) (القصص: ۹ و ۱۰)، (لَتُبْدِی بِهِ) أی: تُظهر هویته، لیس التعبیر فی الآیه الکریمه: (کادت لتأتی به)، هو لم یغب وجوداً کی تأتی به، بل هو حاضر لکن لیس

بظاهر، فالغیبه فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام هی غیبه مقابل الظهور ولیست فی مقابل الحضور، حضور لکنَّه بالخفاء، وفی الظهور حضور لکنَّه بِعلَن وعلانیه، ففی کلّ من الغیبه والظهور حضور فی ساحه الحدث، ومجریات الحدث البشری تدبیراً وإداره من الله العلی العظیم، ولکنَّه فی حاله الغیبه فی الخفاء والسرّیه وعدم الشعور به، وفی حاله الظهور حضور مع شعور به، ومعرفه به، والتعبیر القرآنی دقیق، وکلّ کلمات القرآن الکریم فیها حکمه ومغازی.

وأنَّ هناک ثلّه من الحجج ومن شابههم، یعرفون بموضع المصلح والمنجی والمنقذ، لکن هناک حصانه وحراسه إلهیه ضاربه لتأمین حیاه وجود هذا المصلح وهذا الموعود، وهناک تأمین وضمانه إلهیه لحراسه هذا المنقذ فی ترعرعه وفی نشأته وفی استمرار حیاته وفی تکوین قاعدته، ونفوذه وقدرته، (وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ فَبَصُرَتْ بِهِ) .

فبعض المؤمنین آنذاک کانوا یعرفون هذا المنقذ المنجی الموعود المصلح الذی أنبأت به البشائر السماویه، بعض المؤمنین الخُلَّص ککلثم أخت النبیّ موسی التی ـ کما ذکر فی الروایات ـ تکون فی الآخره من النسوه الأربع زوجات لسیّد الأنبیاء(۱)، (وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ*وَ حَرَّمْنا عَلَیْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ ...) (القصص: ۱۱ و۱۲)، إنَّ تفاصیل هاتین الآیتین تصبّ فی هذا المغزی، وهو أنَّ ولیّ الله

۱- (۱) فی الروایه: (دخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی خدیجه وهی لما بها، فقال لها: بالرغم منّا ما نری بک یا خدیجه، فإذا قدمت علی ضرائرک فاقرئیهنَّ السلام، فقالت: من هنَّ یا رسول الله؟ قال: مریم ابنه عمران، وکلثم أخت موسی، وآسیه امرأه فرعون، قالت: بالرفاء یا رسول الله). (من لا یحضره الفقیه ۱۳۹ :۱/ ح ۳۸۳).

وحجّته الموعود بكونه منقذاً ومصلحاً للبشريه تحوطه العنايه الربّانيه والحراسه الإلهيه فى كبد أحضان العدوّ، وفى متناول مخالب العدوّ، من دون أن يشعروا أو يعلموا به أو يعرفوه، كما يتَّضح أنَّ عامل الخفاء يكون من أقوى المؤثّرات، وأقوى القدرات، وأنَّ العلم أكبر سلاح، والشعور بالشىء علم به، والغيبه والخفاء عدم الشعور به، إذ أنَّ أكبر سلاح لدى البشريه هو العلم، فإذا سُلب هذا السلاح من يد العدوّ أى الشعور واستكشاف ذلك المصلح الذى تترقَّبه السماء سوف يكون حينئذٍ أكبر نقطه ضعف لدى العدوّ.

هناك وقفه أخّاذه جدَّاً بمجامع الفكر والعقل، تتَّضح لنا فى خضم هذا الاستعراض من القرآن الكريم وما أكَّد وركَّز ونبَّه من خلال لسان الآيات الكريمه على أنَّ هذا المصلح بطبيعه ما يترقَّب ويتوجَّس منه بشرياً من الإصلاح العامّ، سوف تكون قوى الشرّ وقوى الظلام دوماً فى تحسّب من مواجهته، وهذه معادله طبيعيه، معادله قوى الخير وقوى الشرّ، قوى الحقّ وقوى الباطل، فمن ثَمَّ يكون هناك تعبئه عامّه واستنفار عامّ فى صفوف الأنظمه الظالمه وقوى الفساد فى وجه هذا المصلح الآتيه بشائره، إذن فهذه سنن إلهيه موجوده.

وفى خضم تعرّض القرآن الكريم لأوّل محطّه من ظاهره النبىّ موسى المصلح المنجى الموعود فى تلك الحقبه الزمنيه لتبيانها، لاسيّما فى سوره القصص وفيها ما لابس خفاء ولاده النبىّ موسى، هنا نشاهد أنَّ القرآن الكريم يعطى وقفه نوريه خلّابه جدَّاً أخّاذه بمجامع القلوب، وهى تجليل لوالده موسى، وأنَّها موحى إليها، وإن لم يكن وحياً نبويّاً ولم يكن وحى

شریعه، ولا ـ وحی رساله، ولکن وحی لولیّ من أولیاء الله، وصفی من أصفیاء الله، کیف لا وهی قد استودعت أمانه النبوّه عن عدوّه. قال تعالی: (وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی أَنْ أَرْضِعِیهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ وَ لا تَخافِی وَ لا تَحْزَنِی إِنّا رَادُّوهُ إِلَیْکِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِینَ) (القصص: ۷).

إذن هی انبئت واُخبرت بأنَّ موسی سوف یکون نبیّاً مرسلاً، مع أنَّه إلی ذلک الوقت لم یُبعث النبیّ موسی بشریعته کی تعتنقها، ولکن کانت علی شریعه الأنبیاء السابقین، واُنبئت ببعثه نبیّ من أولی العزم ناسخ للشریعه السابقه ومکمّل لسلسله من النبوّات، فأودعت هذه الأمانه العظیمه وحفظتها، ولو لم تکن هی أمینه الله ومستودع الله لحفظ کلیم الله ولحفظ نبیّ من أنبیاء أولی العزم، ولو لم تکن بهذه المنزله لما أنبأها الله عز وجل بأنَّ هذا الموعود سوف یکون نبیّاً وأنَّه من المرسلین، إذن هی بحدّ من الأمانه عند الله عز وجل وصدّیقه وصفیه من أصفیاء الله اصطفاها عز وجل بحیث یُجلّلها ویودعها هذه الأمانه، وإلاَّ لو لم تکن بتلک الدرجه من الأمانه لکشفت عن الأمر، ولربَّما انقطع الطریق وسُدَّ عن البرنامج الإلهی من بعثه نبیّ من أنبیاء أولی العزم.

إنَّه أمر عظیم وهو استحفاظ امّ موسی نبوّه النبیّ موسی، إنَّه أمر لیس بالهیّن، ویظهر من القرآن الکریم أنَّ امّهات الأنبیاء جمیعهنَّ مؤمنات مصطفیات مستودعات للسرّ الإلهی صدّیقات حاملات لأکبر أمانه إلهیه، فکیف بک بوالده سیّد الأنبیاء، وهی آمنه بنت وهب، وعجباً من هذه الألسن التی تلوک زوراً باطلاً کیف یتجرَّأون بالقول بکفر

وشرک والده سیّد الأنبیاء أو والده أو آبائه عموماً الذین کانوا کلّهم أمناء مستودعین لنور النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، وکان نور النبیّ فی جبینهم یخفق ویسطع، وکان من القبائل ومن الأمم من الیهود والنصاری من حاول مباغته جدود النبیّ وقتلهم واستئصالهم حسداً للقضاء علی نور النبوّه فی جبینهم وفی صلبهم، هؤلاء الذین استودعوا مثل هذا النور نور سیّد الأنبیاء صلی الله علیه وآله وسلم، فکیف حینئذٍ تتجرَّأ تلک الألسن وتلوک باطناً وتتجرَّأ علی الساحه النبویه وعلی الساحه الإلهیه فی الوقیعه بأولئک الآباء الطاهرین والأجداد المطهَّرین للنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم.

یعلّمنا القرآن هنا درساً بأنَّ امّهات الأنبیاء وآباء الأنبیاء هم بهذه المنزله، أنظر هذا التعبیر القرآنی: (وَ أَوْحَیْنا إِلی أُمِّ مُوسی) ، فکیف یکون المقام مع امّ محمّد صلی الله علیه وآله وسلم وهو سیّد الأنبیاء، نعم فإذا کان النبیّ موسی قد ترعرع فی هذا الحضن الطاهر والبطن الطاهر والرحم الطاهر والصدر الطاهر فکیف بک بسیّد الأنبیاء، نعم هناک ضغینه وشنشنه قدیمه مع النبیّ وأهل بیته علیهم السلام، یحملها أناس ولا زالت تنفث، کما کانت قریش تعادی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم.

فأُمّ موسی صدّیقه وصفیه من الأصفیاء، هکذا شأنها کما کان شأن والده النبیّ عیسی أیضاً، حیث استودعت نبوّه النبیّ عیسی، وأوعز إلیها أن تقوم بدور إبلاغ بنی إسرائیل بأنَّ هذا نبیّ من الأنبیاء، قالوا: (یا أُخْتَ هارُونَ ما کانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما کانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا*فَأَشارَتْ إِلَیْهِ) (مریم: ۲۸ و۲۹)، یعنی جلبت انتباه الملأ من بنی إسرائیل، وعلم بنو إسرائیل أنَّ الذی کلَّموه هو نبیّ من الأنبیاء، هذه البشارات التی أودعت وأُنبئت بها مریم، وهی والده أحد الأنبیاء من أولی العزم، فکیف بوالده سیّد الأنبیاء وبوالد سیّد الأنبیاء؟ إنَّ القرآن الکریم یعلّمنا درساً بالغ

الأهمّيه، درساً عقدياً ومسأله عقديه ومحطّه عقائديه مهمّه، وهى أنَّ والدات الأنبياء وآباء الأنبياء لهم مكانه إلهيه ومقام إلهى مثّل هذا الشأن، كما هو الحال فى امّ موسى وفى امّ عيسى عليهما السلام.

خفاء النبىّ موسى عليه السلام بعد نبوّته فى بنى إسرائيل:

المحطّه الثانيه التى يستعرضها لنا القرآن الكريم فى قصَّه النبىّ موسى عليه السلام كمصلح للبشريه كما ستشير إليه سوره القصص، وباعتباره نبيّاً مترقّباً من قِبَل المؤمنين من بنى إسرائيل الذين كانوا يعانون أشدّ الضيم والويل من الفراعنه، تقول الآيات الكريمه فى سوره القصص: (وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) (القصص: ۱۴)، وفى الآيه إثاره جميله وهى: إنَّ مقام عطاء الحكم والعلم لا لنبوّه النبىّ موسى وإنَّما لمقام الإحسان ومقام المحسن من الأصفياء والحجج، سواء أكان نبيّاً أو كان رسولاً أو كان وصيّاً وإماماً أو كان حجّه من الحجج، لأنَّ القرآن الكريم يستعرض لنا أربعه أقسام رئيسيه، وإلاَّ ـ فهناك أقسام أخرى، وتلك الأقسام الأربعه الرئيسيه تشير إليها سور عديده، وستمرُّ بنا فى ظواهر القرآن الكريم، فهناك حجّه وإن لم يكن نبيّاً ولا رسولاً ولا وصيّاً كمريم واُمّ موسى، فقد أنبأنا القرآن الكريم بأنَّهم مصطفون ومطهَّرون.

نعم، بعدما ذكر القرآن الكريم ولاده النبىّ موسى وما قد رافقها من المخاطر والاستتار الشديد جدَّاً بحراسه إلهيه قصوى، وتقدير وضمانه إلهيه لوالده النبىّ موسى عليه السلام ولأخته ولذويه بأن يحفظ الله عز وجل هذا المصلح الذى تترقّبه القلوب وتنتظره أفئده المؤمنين، وتتوجَّس منه

خيفه قلوب الفراعنه لكونه يقوّض أنظمتهم، بعد ذلك يواصل لنا القرآن حالات النبيّ موسى عليه السلام باعتباره مُصلحاً ومُنجياً للبشريه فى تلك الحقبه، حيث نجد فى السور القرآنيه أنَّ هناك مقارنه متلازمه بين اسم النبيّ موسى وفرعون، تقارن الإصلاح مع الظلم، أو تقارن الظالم مع المصلح، هذا التقارن مع عاقبه الإصلاح فى الحقيقه يدلّل على أنَّ النظام الفرعونى هو نظام البطش والظلم الإفساد فى الأرض، رغم تقدّمه المدنى فى الجانب المادى، فهذه الأهرامات التى تُشاهد الآن تدلُّ على الحضاره الفرعونيه، والحضاره الماديه التى وصلت إلى تقنيّه لم تستطع التقنيّه الحديثه العصريه أن تفسّرها أو تدرك حقيقه حالها، ومع ذلك فإنَّ هذا التحضّر أو التمدّن فى البُعد المادى خيّم عليه انتشار الفساد والظلم، وبالتالى اسم فرعون قُرن باسم الظلم والفساد والبطش، ويشير القرآن الكريم إلى فرعون ذى الأوتاد كيف كان يبطش بالبشر، وقُرن به اسم مصلح وهو النبيّ موسى.

إذن تكرّر فى عدّه سور قرآنيه اسم النبيّ موسى فى مواجهه فرعون والسِّمه البارزه فى النبيّ موسى أنَّه دكدك عروش الفراعنه، وباعتباره مصلحاً ومنجياً بسط العدل فى زمانه بحدود معيّنه فى بعض بقاع الأرض.

تواصل لنا سوره القصص وبقيّه السور القرآنيه ما جرى على هذا المصلح بعد خفاء ولادته وحراسه السماء بشدّه له والحيطه عليه، قالت الآيه الكريمه: (وَ دَخَلَ الْمَدِينَهَ عَلى حِينِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِها) ، دائماً فى حاله خفاء، ترعرعه، نشوؤه، ولادته، خفاؤه واستتاره قبل ساعات الظهور، وقبل ساعه إعلانه الإصلاح العامّ كان فى حاله سرّيه كمبعوث إلهى،

(فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ) ، مع عدم علمه به (عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) (القصص: ١٥)، يعنى العراك الذى جرى بين ذاك الذى كان قد عرف النبيّ موسى وبين ذلك الذى لم يكن يعرفه.

ويظهر من الآيه أنَّ النبيّ موسى كان يتحرَّك مع عدم علم واطلاع الفراعنه ولا بنى إسرائيل بشخصيته وهويته، كانوا يرونه ولا يعرفون أنَّه هو ذلك المنتظر الموعود المنجى لهم، كان فى كبد ساحه الحدث، يتفاعل معه، أى إنَّ النبيّ موسى عليه السلام كان يرعى ويشرف ويُهيمن على مجريات حال ومصير بنى إسرائيل، لكن مع ذلك لم يكونوا يعرفونه.

إذن كان يؤثّر فى مجمل أوضاعهم فى حدود معيّنه مقدَّره من قِبَل الله تعالى من دون أن يشعروا به ومن دون أن يعرفوه، هذه محطّه أخرى يذكرها لنا القرآن الكريم فى ظاهره النبيّ موسى، وهى أنَّه كان يتفاعل مع مجمل الأحداث التى تجرى على بنى إسرائيل، لكن من وراء ستار غياب الهويه، من وراء ستار خفاء الشخصيه، مع كونه موجوداً بين أيديهم.

بعد ذلك تواصل الآيات: (قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص: ١٧)، فهو ظهير للمستضعفين، وهو فى حين لم تأتِ ساعه الصفر لظهوره، أو إعلان دعوه إصلاحه وإنجائه لبنى إسرائيل وللمؤمنين من براثن الفراعنه، كان مع ذلك يزاول تدبير الحدث فى خضم وفى وسط هذا الخفاء وفى وسط هذا الستار، فهو لم يكن معطّلاً قبل ظهوره، بل كان متفاعلاً مع الحدث، (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَهِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ

فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ) (القصص: ۱۸)، فهاهنا فی خضم تفاعل النبیّ موسی مع الأحداث وتأثیره فی الحدث العامّ الذی یجری علی بنی إسرائیل کان فی حال خوف، وستر وسرّیه لئلاّ ینکشف.

إیجابیه صفه الخوف عند الأنبیاء علیهم السلام:

إنَّ هذا الخوف لیس صفه شخصیه أو خوفاً علی شخصه، فالنبیّ موسی والأنبیاء علیهم السلام إنَّما کانوا یخافون علی عدم استتمام المهمّه التی أوکلت إلیهم، ویخافون علی التقصیر أو عدم الوصول إلی الغرض فیما اوعز إلیهم من رساله وإصلاح وإنجاء، سیّما فی البرنامج الموسوی الذی اودع إلیه من قِبل الله تعالی. فهذا الخوف فی الواقع خوف علی الهدف، فلم یکن لموسی خوف شخصی علی نفسه، (فَلَمّا أَنْ أَرادَ أَنْ یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ یا مُوسی أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِیدُ إِلاّ أَنْ تَکُونَ جَبّاراً) (القصص: ۱۹).

الغیبه الثانیه لموسی علیه السلام:

ثمّ قال تعالی: (وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَهِ یَسْعی قالَ یا مُوسی إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّاصِحِینَ) (القصص: ۲۰)، وهنا تبدأ الغیبه الثانیه للنبیّ موسی، (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ) (القصص: ۲۱)، فهذا الخوف فی المصلحین هو بسبب ستار الغیبه والخفاء والسرّیه لهم، والحرکه تحت سطح السرّیه، ولیس خوفاً شخصیاً علی أنفسهم، وکیف وهم بُسلاء الشهاده وروّاد البشریه اختارهم الله عز وجل وأصفاهم وهم أولیاؤه، وإنَّما هو خوف علی عدم إنجاز

المهمّه الإلهيه، وعدم إيصال هذه المهمّه إلى نهايتها. فلا ريب حينئذٍ أن يستدعى الأمر منه نوعاً من الغيبه، وأن يكون تحت ستار الخفاء، وما ذلك إلّا لأجل المثابره فى أداء المسؤوليه العظيمه الموكله إليه من قِبَل الله تعالى، وكما يحدُّثنا القرآن الكريم فى المصلحين السابقين المبعوثين من قِبَل الله، كان الاقتضاء أن يكونوا فى فترات فى ستار الخفاء والغيبه ليؤمّن لهم حرّيه الحركه، وحرّيه الانطلاق وحرّيه التفاعل مع الحدث والتأثير من دون أن تصل أيدى الظالمين إليهم، لأنَّ طبيعه الأنظمه الظالمه أنَّها إذا شعرت بعنصر الإصلاح ولاسيّما عنصر الإصلاح الإلهى تباغته بالتصفيه والإعدام والإزاله، لا ريب فى ذلك، فلذا يكون الستار الأمنى الحافظ لهم من استئصال وتصفيه وإباده قوى الظلم وقوى الظلام والشرّ والأنظمه الفاسده لهم.

فستار الخفاء يعطى كمال الحيويه وكمال الحرّيه فى الحركه والنشاط والقيام بأتمّ ما يمكن من المسؤوليه، فكما يحدّثنا القرآن الكريم هنا عن ظاهره النبىّ موسى فى تلك الحقبه، كان يحدّثنا أيضاً أنَّ الخوف كان برنامجه للإيفاء بدوره الفاعل، وكانت السرّيه هى غطاء لتأمين أداء دوره الفاعل وتأثيره فى ذلك الحدث.

لقاء موسى بشعيب عليهما السلام:

ومن هنا تواصل الآيات الكريمه وتقصُّ لنا الغيبه الثانيه والخفاء الثانى للنبىّ موسى، (وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَواءَ السَّبِيلِ) (القصص: ٢٢)، إلى أن تصل إلى لقاء موسى بالنبىّ شعيب عليه السلام.

وهنا محطّه أخرى، وهى أنَّ هذا المصلح المنجى الموعود يلتقى

مع حجج آخرين لله، فهناک نوع من الشبکه المتّصله بين أولياء الله، هناک نوع من المجموعات المرتبطه مع بعضها البعض، وکلّ محطّه فی ظاهره النبیّ موسی والظواهر الأخری التی سنأتی علی استعراضها إن شاء الله فيها وقفات تستدعی الانتباه بإمعان، منها هذه المحطّه التی هی غيبه ثانيه تستعرضها لنا سوره القصص فی ظاهره النبیّ موسی عليه السلام.

وهذا الخفاء وهذه الغيبه تأتی بجانب ما أوتی النبیّ موسی من بدء ولادته من الخفاء والسرّيه إلی ترعرعه وبلوغ أشدّه واستوائه، بعد ذلک تأتی مرحله أخری امتدَّت أکثر من عشر سنين عندما استأجره النبیّ شعيب، (قالَ إِنِّی أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَيْنِ عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَ ما أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّالِحِينَ*قالَ ذلِكَ بَيْنِی وَ بَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَیَّ وَ اللّهُ عَلی ما نَقُولُ وَكِيلٌ*فَلَمّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ) (القصص: ۲۹ ـ ۲۷)، حيث إنَّه أتمَّ عشراً کما ورد فی الروايات(۱)، فيتَّضح أنَّ هناک غيبه أخری ثانيه طالت أکثر من عشر سنين، من ذهابه إلی مدين، ثمّ مکثه عشر سنين أو أکثر عند النبیّ شعيب.

۱- (۱) فی الروايه عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر، قال: قلت لأبی الحسن عليه السلام: قول شعيب عليه السلام: إِنِّی أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَيْنِ عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ أیّ الأجلين قضی؟ قال: (الوفاء منهما أبعدهما عشر سنين...)، (الکافی ۴۱۴ :۵/ باب التزويج بالإجاره/ ح ۱). وعن ابن عبّاس قال: سُئل رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: أیّ الأجلين قضی موسی؟ قال: (أوفاهما وأبطأهما). وبالإسناد عن أبی ذر، قال: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: (إذا سئلت أیّ الأجلين قضی موسی؟ فقل: خيرهما وأبرّهما). (تفسير مجمع البيان ۴۳۲ :۷).

تلاؤم حجّيه النبىّ موسى عليه السلام نبيّاً مع غيبته:

ولسائلٍ أن يسأل: هل هناك تنافٍ وتقاطع بين نصب الله عز وجل حجّه من حججه مصلحاً ومنجياً وموعوداً منتظراً فى تلك الحقبه وبين غيبته؟ سيّما أنَّ هذه الغيبه الثانيه _ كما مرَّ بنا الحديث _ بيَّنت ومن خلال سوره القصص أنَّه لمَّا توجَّه تلقاء مدين مكث ما يربو ويزيد على العشره، وكان ذلك أجلاً ثانياً فى غيبه النبىّ موسى، والتقى فيها مع النبىّ شعيب، وكانت محطّه لقاء حجج الله ومجموعه من أصفياء الله مع بعضهم البعض فى تدبير الأمور الإلهيه، النبىّ موسى هو من أولى العزم ورسول مبعوث وصاحب شريعه، وهو أيضاً فى البشارات الإلهيه موعود به المنجى والمنقذ لبنى إسرائيل من براثن أنظمه الفراعنه، فكيف يتلائم هذا مع الغيبه؟! أليس هناك تقاطع؟ أليس هناك تدافع؟ هذه الإثارات والتساؤلات ناجمه ومنبعثه من فهم خاطئ لمعنى الغيبه، وقد مرَّ بنا أنَّ معنى الغيبه ليست هى عدم وجود النبىّ موسى فى ساحه الحدث، وليس معنى الغيبه مزايله النبىّ موسى عن موقعيته فى التأثير فى الأحداث، ولا ـ نأيه ولا ـ ابتعاده عن التصدّى لمجمل الأمور، فهذا معنى خاطئ للغيبه، وهكذا معنى الغيبه للإمام المهدى عليه السلام، فالبعض _ وربَّما من أتباع مدرسه أهل البيت فضلاً عن المدارس الإسلاميّه والملل والنحل الأخرى _ ربَّما ينساق إليهم معنى الغيبه بمعنى النأى والابتعاد عن مجمل المسؤوليه أو التدبير أو الاضطلاع بكامل البرنامج الإلهى.

فنقول: ليس ذلك هو معنى الغيبه، فتارةً تكون الغيبه فى مقابل الحضور كقولنا: غاب وحضر، وتارةً الغيبه تكون مقابل الظهور، وهى التى تتَّخذ معنى

الخفاء والسرّيه والستار، فإنَّ موسى ترعرع فى أحضانهم وبين أيديهم لكنَّهم لا يشعرون به، فهى إذن غيبه خفاء، غيبه هويه، غيبه ستر وستار، لا غيبه انعدام ومزايله عن الحضور، فلو فُسّرت الغيبه بمعناها الصحيح كما فى غيبه النبىّ موسى فهو فى مدين يستنبئ أنباءهم، وربَّما يقرب من ذلك كيفيه إيعازه لجمله من البرامج الإلهيه فى المجتمع الفرعونى ومجتمع بنى إسرائيل والأقباط هناك، فإذن ليست هى ابتعاد ومزايله عن التأثير فى ساحه الحدث، بالعكس هو نوع من الخفاء والسرّيه فى العمل والنشاط فلا يكون هناك أىّ تقاطع أو أىّ تصادم بين الحجّيه و المسؤوليه التى توكل إلى ذلك الولىّ والحجّه من حجج الله، بل يكون هناك تمام الملائمه وتمام النسق والتأثير المتبادل، وستكون حينئذٍ مسؤوليه الخفاء هى أفضل فرصه لقيام ذلك الحجّه بما يُعهد إليه من مسؤوليه ومن برامج إصلاح وما شابه ذلك، وسيكون الخفاء والغيبه أنشط لدوره، وأكثر فاعليه وتأثيراً، بخلاف ما لو فسَّرناها بأىّ معنى خاطئ، وللأسف أنَّه قد استشرى هذا المعنى الخاطئ فى أذهان الكثيرين، وهو أنَّ معنى الغيبه النأى والمزايله والابتعاد والجمود وعدم التصدّى للأحداث وتدبير الأمور، وكيف يلائم هذا المعنى الخاطئ للغيبه الحجّه الفعليه للنبىّ موسى؟ وهو من أولى العزم، وحجّه لله، وموعود بأنَّه هو المنتظر المصلح المنقذ للبشريه من الأنظمه الفرعونيه، فكيف يكون حينئذٍ معطّلاً؟! فالتعابير القرآنيه السابقه تظهر مجمل حركه النبىّ موسى قبل إعلان دعوته فى العلن، أنَّها كانت دوماً فى حاله خفاء، دخوله، خروجه، ترعرعه، نشوؤه، نموّه، وهذا ليس من الأسطوريات؟! حاشا لأفعال الله تعالى ولرسل الله تعالى عن ذلك، وإنَّما هى فى صلب خضم التدبير الإلهى الحكيم النافذ البالغ الحكمه،

لأجل حيويهٍ أكثر ونشاطٍ أكثر لقيام ذلك المصلح بدوره فى مرحله الخفاء والسرّيه إلى أن تُستكمل قدراته ونفوذه، وتتهيَّأ الأرضيه له، حينئذٍ تأتى ساعه الصفر وساعه الظهور والإعلان.

إعلان الدعوه الموسويه:

ثمّ تأتى الآيات تزف لنا نهايه المطاف، عندما أعلن النبىّ موسى دعوته وظهر باعتباره مصلحاً ومنجياً، وهذا هو المقطع الثالث من حياه النبىّ موسى عليه السلام.

كيف بدأ ظهور النبىّ موسى مصلحاً ومنجياً أمام الفراعنه وأمام الأقباط، وأمام المجتمع من بنى إسرائيل؟ قال تعالى: (فَلَمّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ ناراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَهٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ*فَلَمّا أَتاها نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَهِ الْمُبارَكَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ يا مُوسى إِنِّى أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) (القصص: ۲۹ و ۳۰)، وتواصل الآيات: (اسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ) (القصص: ۳۲)، هنا بدأ المسؤوليه فى الإعلان والظهور، فى سوره طه: (اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى) (طه: ۲۴)، هذا النظام الجاثم على كبد البشريه فى تلك الحقبه التى تصفها الآيه الكريمه فى سوره القصص: (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَهً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِى نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ۳ و ۴)، ظلم وفساد ملأ أرجاء الأرض من النظام الفرعونى، تأتى هنا حينئذٍ نهايه المطاف، وهى إعلان الظهور وبدء المأموريه، بأمر إلهى بظهور النبىّ موسى للإصلاح، يتلقّى موسى عليه السلام

الأمر فيقول: (رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ) (القصص: ۳۳)، یعنی ربَّما لن أوفَّق لأداء تمام المسؤولیه، فإنَّه لا خوف شخصی کما مرَّ سابقاً، بل إنَّ الخوف الذی ینتاب المصلحین الإلهیین والمنجین، لیس خوفاً شخصیاً من نزعه ذاتیه وحبّ الذات وحبّ البقاء، کیف وهم روّاد الشهود علی البشریه، کنماذج بشریه اصطفاها الله عز وجل للإصلاح، وإنَّما خوف من عدم إتمام وإکمال البرنامج الإلهی، وعدم التوفیق فی الاضطلاع بأداء المهمّه الإلهیه کالإصلاح والإنجاء للمستضعفین والمظلومین فی الأرض، وقلع الفساد الذی یتفشّی فی أرجاء الأرض. نعم (وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ*قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما ...) (القصص: ۳۵ ـ ۳۳)، أنظروا قوله تعالی: (وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً) ، أی إنَّ الحراسه الإلهیه والضمانه الإلهیه للمصلحین والمُنجین موجوده، فی حین لا تواکل ولا جبر ولا تفویض، وإنَّما أمر بین أمرین، التوکّل یعنی أن یقوم المصلح بأدواره، ومن وراء ذلک الحراسه الإلهیه، والضمانه الإلهیه موجوده.

ظاهره اختفاء وغیبه الأنبیاء علیهم السلام سُنّه إلهیه:

بعد أن استکملنا ظاهره النبیّ موسی علیه السلام باعتباره مصلحاً ومنجیاً إلهیاً وهادماً لعروش الفراعنه والظالمین وما رافق ذلک من خفاء ولادته علیه السلام وغیبته فی فتره ترعرعه ونموّه ونشوئه، ثمّ غیبته الثانیه فی بلاد مدین، ثمّ قیامه بالإعلان والظهور للإصلاح وإنقاذ بنی إسرائیل والبشریه من مخالب الظالمین والمفسدین، نواجه هنا هذا السؤال، وهو:

هل ما جری فی ظاهره النبیّ موسی علیه السلام المصلح المنجی الإلهی هو سُنّه إلهیه دائمه، أم حاله استثنائیه خاصّه بالنبیّ موسی علیه السلام؟

والجواب: بعد ما مرَّ بنا باقتضاب من ظاهره النبيّ موسى عليه السلام كمبعوث إلهى مصلح ليُقوّض عروش الظالمين، ويُقوّض براثن الفساد وينجى وينقذ البشريه فى تلك الحقبه، نقول: ليس ما استعرضه لنا القرآن الكريم فى كلّ هذا الخضم هو لإشباع رغبه الخيال، بل إنَّها محطّات عقديه اعتقاديه، وسنن إلهيه دائمه فى المصلحين والمنجين للبشريه.

هناك طائفه من الآيات القرآنيه تبيّن وتدلّل على أنَّ هذه السنن الإلهيه سنن دائمه وليست سنناً مؤقّته، قال تعالى: (وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ۶۲)، وقوله: (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: ۴۳).

فسننه فى الرسل والمصلحين والمنجين والمنقذين المبعوثين من قبله تعالى تتكرّر، سيّما مع طبايع البشر ونظامهم الاجتماعى، ونظام قوى الظلم والشرّ فى قِبال قوى الإصلاح الإلهى.

إذن العبره فى مجريات الأحداث التى مرَّ بها الأنبياء والرسل والتوقّف عندها لأنَّها محطّات اعتقاديه معرفيه وليست محطّات عمليه لأجل عمل جوارح الإنسان.

قال تعالى: (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ) ، ليس قصَّه إسحاق ويعقوب ويوسف فقط، ففى ذيل سوره يوسف (قَصَصِهِمْ) ، الضمير يعود إلى كلّ الأنبياء والمرسلين السابقين والمصلحين المبعوثين من قبل السماء لإنقاذ وإنجاء البشريه، سيّما مثل هذا الإصلاح الذى قام به النبيّ موسى، وما رافق ذلك من خفاء ولادته وغيبته الأولى والثانيه، وهذا نظير وشبيه ما هو فى مدرسه أهل البيت فى إمامها الإمام المهدى من خفاء الولاده والغيبه الأولى والغيبه الثانيه، هذا عبره لكم أنتم أيّها المسلمون،

أنتم أيّها التالون لكتاب الله، لا تتلوا كتاب الله تلاوه لقلقه لسان من دون أن تتدبّروا معانيه، (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر: ١٧)، (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) (محمّد: ٢۴).

إذن القرآن مفتوح بابه على مصراعيه للتدبّر وللتذكّر، فقصص الأنبياء و المرسلين السابقين والأمم السابقه عبره، عقديه واعتقاديه، لأنَّ العقيده كما مرَّ بنا هى واحده فى كلّ بعثات الأنبياء، والذى يُنسخ إنَّما هو الشرايع فى الفروع، فى الأحكام التفصيليه العمليه فى فروع الدين، وأمَّا أصل أركان الفروع فضلاً عن الأمور العقديه والاعتقاديه فهذه لا نسخ فيها، وهل يمكن أن يتصوَّر فى توحيد الله النسخ بين نبىّ وآخر والعياذ بالله!، كلاَّ وحاشا!، أو فى الاعتقاد بالمعاد نسخ!، بل (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ) (آل عمران: ١٩)، من يوم خلق السموات والأرض، دين الإسلام كعقائد بعثت بها جميع الأنبياء منذ آدم إلى سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فكلّ هذه الأمور الاعتقاديه هى عبره (لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى) ، إذن ليست هى ثرثره قصص أو دعابه سمر ليلى يدغدغ الإنسان مشاعر خياله بها، بل هى فى الواقع عِبَر سطّرها القرآن لنتّعظ بها، وسنن ستقع فى هذه الأمّه، وهذا بنفسه دليل وبرهان عظيم على أنَّ ما وقع فى الأمم السابقه سيقع فى هذه الأمّه، كما فى روايات عن الفريقين وكما مرَّ سابقاً.

فقصصهم فيها تفاصيل عقديه واعتقاديه، (وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ، الذين يؤمنون بالسنن الإلهيه يؤمنون بهذه المواقع الإلهيه وسنن الله تعالى فى أوليائه وحججه المصلحين للبشريه، فعليكم أنتم أيّها الأمّه الأتباع لسيّد الرسل وآخر الأمم أن لا تجهلوا ذلك، وعليكم التصديق والإيمان بما يجرى على حجج الله تعالى والأئمّه

الاثنی عشر المستخلَفین من قِبَل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، وأنَّ الثانی عشر منهم له غیبتان، وله خفاء ولاده، ومن قبل ولادته استدعی وسجن أبوه وجدّه فی قاعده عسکریه تُدعی (سُرَّ من رأی). فمن الطبیعی إذن خفاء ولادته ولیس من المنطق التکذیب بها خصوصاً بعد أن بشَّر النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم به فی متواتر الروایات، من أنَّ المهدی من ولده یُبعث مصلحاً منجیاً منقذاً(۱).

۱- (۱) فممَّا جاء عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من ذلک: ما رواه الصدوق بسنده إلی جابر بن یزید الجعفی، عن جابر بن عبد الله الأنصاری، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (المهدی من ولدی اسمه اسمی، وکنیته کنیتی، أشبه الناس بی خَلقاً وخُلقاً، یکون له غیبه وحیره تضلُّ فیها الاُمم، ثمّ یقبل کالشهاب الثاقب، یملأها عدلاً وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً). (کمال الدین: ۲۸۶/ باب ما أخبر به النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من وقوع الغیبه بالقائم علیه السلام/ ح ۱). وبسنده إلی أبی بصیر، عن أبی عبد الله، عن أبیه، عن آبائه علیهم السلام، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (المهدی من ولدی اسمه اسمی وکنیته کنیتی، أشبه الناس بی خَلقاً وخُلقاً، یکون له غیبه وحیره حتَّی یظلّ الخلق عن أدیانهم، فعند ذلک یقبل کالشهاب الثاقب، فیملأها عدلاً وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً). (کمال الدین: ۲۸۷/ باب ما أخبر به النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من وقوع الغیبه بالقائم علیه السلام/ ح ۴). وبسنده إلی صالح بن عقبه، عن أبیه، عن أبی جعفر، عن أبیه، عن آبائه علیهم السلام، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (المهدی من ولدی، یکون له غیبه وحیره تضلُّ فیها الاُمم، یأتی بذخیره الأنبیاء فیملؤها عدلاً وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً). (کمال الدین: ۲۸۷/ باب ما أخبر به النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من وقوع الغیبه بالقائم علیه السلام/ ح ۵). وروی الشیخ الطوسی بسنده إلی عبد الله بن مسعود، عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: (لا تذهب الدنیا حتَّی یلی أمّتی رجل من أهل بیتی یقال له: المهدی). (الغیبه للطوسی: ۱۸۲/ ح ۱۴۱). وبسنده إلی أبی هریره عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: (لو لم یبقَ من الدنیا إلاَّ یوم واحد لطوَّل الله ذلک الیوم حتَّی یخرج رجل من أهل بیتی یملأ الأرض عدلاً وقسطاً کما ملئت ظلماً وجوراً). (الغیبه للطوسی: ۱۸۰/ ح ۱۳۹).-

فمن خلال كلّ ذلك اتَّضح أنَّ ظاهره نبيّ الله موسى ليست خاصّه به، بل هى سُنّه إلهيه حاصله أيضاً فى أمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مضافاً إلى ذلك طائفه من الآيات القرآنيه التى تنبئنا بذلك، منها قوله تعالى:

(سُنَّهَ اللّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِيلًا) (الأحزاب: ۶۲).

وقوله تعالى: (سُنَّتَ اللّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ) (غافر: ۸۵).

وقوله تعالى: (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر: ۴۳).

وقوله تعالى: (سُنَّهَ اللّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللّهِ تَبْدِیلاً) (الفتح: ۲۳).

فهناک سنن الله فی عباده تتکرّر دواليک فی الأمم أيضاً، وليس فيها تبديل، بل دوام واستمرار.

والتعبير القرآنی الآخر: (سُنَّهَ اللّهِ فِی الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ کانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مَقْدُوراً) (الأحزاب: ۳۸).

فهذه محاسبات فی التقدير والقدر والقضاء الإلهی، کما وقعت فی الأمم التی خلت ستقع فی هذه الأمّه، فليکن ذلک عِبرهً وعِظهً لکم، ولا تکونوا من طائفه المکذّبين، بل کونوا من طائفه المؤمنين، ولا تکونوا من طائفه الجاهلين، بل کونوا من طائفه العالمين.

قال تعالى: (یُرِیدُ اللّهُ لِیُبَیِّنَ لَکُمْ وَ یَهْدِیَکُمْ سُنَنَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ یَتُوبَ عَلَیْکُمْ وَ اللّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ) (النساء: ۲۶).

وقال أيضاً: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُنَنٌ فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ) (آل عمران: ۱۳۷)، اعتبروا واتّعظوا لتجدوا أجوبه شافيه لأسئلتکم، ولا تکونوا مفترين ومکذّبين، فهناک سنن إلهيه تتکرّر دواليک، فکلّما وجدت حاله تفشّی فساد وظلم يؤدّی إلى ما ذکرته الآيه الکريمه فی سوره القصص: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِیَعاً یَسْتَضْعِفُ طائِفَهً مِنْهُمْ یُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ یَسْتَحْیِی نِساءَهُمْ إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ) (القصص: ۴).

تأتی حينئذٍ السنن الإلهيه: (وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ) (القصص: ۵)، ونريد هذه إراده کسُنّه إلهيه تتکرّر دوماً وتستمرّ، کما تذکر لنا ذلک الآيات القرآنيه: (وَ إِنْ کادُوا لَیَسْتَفِزُّونَکَ مِنَ الْأَرْضِ

لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَ إِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاّ قَلِيلاً*سُنَّهَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً) (الإسراء: ۷۶ و۷۷).

هذه هی الطائفه الأولی الدالّه علی أنَّ ما کان فی ظاهره النبیّ موسی علیه السلام المصلح والمنجی والمنقذ للبشریه هی سُنّه إلهیه تتکرّر دواليک، ولیست سُنّه عابره استثنائیه خاصّه بالنبیّ موسی وانقضت، وهناک طوائف أخری من الآیات أیضاً تُحدّثنا عن کون هذه السنن الإلهیه سنناً متواصله.

الخوف والترقّب عند موسی علیه السلام:

فی ظاهره النبیّ موسی علیه السلام هناک صفه یکرّرها القرآن الکریم فی جمله من السور، ألا وهی صفه الخوف والترقّب فی قوله تعالی: (فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَهِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ) (القصص: ۱۸)، وقوله تعالی: (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ) (القصص: ۲۱)، وقد مرَّ أنَّ هذا الخوف لیس خوفاً شخصیاً، وإنَّما خوف علی أداء الرساله وأداء البرنامج الإلهی فی إنجاء بنی إسرائیل من أنظمه الظالمین والمفسدین، والتعبیر ب- (خائِفاً یَتَرَقَّبُ) یوحی بأنَّ النبیّ موسی علیه السلام کان دوماً فی حاله استنفار وتوجّس وتحسّب أمنی منذ بدء نشأته، إلی أن أدّی ذلک الدور فی الظهور المعلن وتقویضه للأنظمه الفرعونیه وأنظمه الفساد والظلم یعنی حاله التعبئه والاستنفار الأمنی فی أثناء حرکته فی الخفاء وفی الغیبه، وحاله الترقّب هذه هی فی الواقع صفه مهمّه موجوده فی برامج المصلحین الإلهیین، فالذین یُعدّون لبرامج إصلاحیه إلهیّه عظیمه مؤثّره فی مسیر ومصیر تاریخ البشر یکون الملف الأمنی نُصبَ أعینهم بشکل دائم، وهذا ما نشاهده فی الواقع فی العقیده بالإمام المهدی علیه السلام، وهو أنَّ غیبته هی نوع من حاله التحسّب الصاعد إلی درجته القصوی فی البرنامج الأمنی، لکی تستتمّ له المواصله فی مسیر برنامج الوصول

إلى درجه الصفر فى الإصلاح وهى ساعه الظهور، فهذه صفه أخرى أكّدها القرآن الكريم فى أوليائه الحجج المصلحين المنقذين، يجب أن نلتفت إليها، مضافاً إلى صفه الخوف التى هى هنا بمعنى الحيطه على البرنامج الإلهى المسند إليه والمكلّف به، وأنَّه فى مدّه خفاء ولاده النبىّ موسى وغيبته كانت هناك تعبئه لشيعته المؤمنين به وبالإصلاح على يديه، حيث قال لهم كما فى الآيه: (قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ١٢٨)، ممَّا يدلّل على أنَّ شيعه النبىّ موسى لاقوا من الأذى والهوان إلى درجه بلغ بها السيل الزبا، وقد حدَّثنا القرآن الكريم فى سور عديده أنَّ شيعه النبىّ موسى قبل ظهوره بالإصلاح وانتصاره على أنظمه الظلم وأنظمه الفراعنه، لاقوا من الظالمين والمفسدين ما لاقوا من الظلم والاضطهاد والذبح، وإساله الدماء وقطع وإباده النسل كما فى قوله عز وجل: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِى الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَهً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِى نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص: ۴).

فالمحنه كانت شديده، ولها فى الواقع وجه شَبَه أيضاً مع المؤمنين بالإمام المهدى عليه السلام ممَّن يكنُّ مودَّته ومشايعته، فيوطّن نفسه على مثل هذا الامتحان قبل ظهور الحجّه، وهذه عِظه يقف عندها المؤمن والمسلم القارئ للقرآن الكريم كى يتَّعظ من هذه المشاهد فى حجج الله المصلحين، ويأخذها عِظه وعِبره ودرساً عقائدياً عقدياً فيما يعتقده بالإمام المهدى عليه السلام، وإجابه لهذه التساؤلات والإثارات الكثيره حول العقيده بالإمام المهدى عليه السلام.

* * *

الظاهره الثانيه: الإمام المهدى والنبىّ يوسف عليهما السلام

اشاره

ص:۵۹

الظاهره الثانيه التى نستوحيها من القرآن الكريم، هى ظاهره النبىّ يوسف عليه السلام، قال تعالى: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ*إِنّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ) (يوسف: ٣ _ ١).

وفى ذيل السوره نفسها: (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) (يوسف: ١١١)، إذن يجب أن نعتبر، ولا يكون ذلك عبور غفله من دون تفكّر، يجب أن نتّعظ بما فيه من محاور ووقفات اعتقاديه وعقديه.

ظاهره النبىّ يوسف عليه السلام وارتباطها بالمصلح الإلهى:

تحمل ظاهره النبىّ يوسف الكثير من المعالم لظاهره المصلح المنجى المنقذ، وهنا وقفات تستحقّ وتسترعى التأمّل والتدبّر، قال تعالى: (إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ) (يوسف: ۴)، وهذا نوع من الفتح الربّانى يُبشّر به النبىّ يوسف عليه السلام، نوع من التمكين والسلطه والقدره، هذه فاتحه قصّه النبىّ يوسف، وهو أنّ هناك وعداً بالفتح، وعداً بالظهور، وعداً بالتمكين فى الأرض، (قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يوسف: ۵)، يعنى هذه النبوءه الإلهيه بأنّ يوسف سوف يظهر، وسوف يمكّن له الله عز وجل فى الأرض، هذه البشاره الإلهيه بنفسها تستدعى الحسد والمكيده من الأقرباء للنبىّ يوسف فضلاً عن البُعداء من الأصدقاء، وفضلاً عن الأعداء. فإذا كان هذا حال الإخوه

وحال الأصدقاء، فكيف بحال البُعداء والأعداء؟! لأنَّهم أولى لأن يكيدوه، فإن طالعت ظاهره النبيّ يوسف التى يحدّثنا عنها القرآن الكريم تجد البشاره بظهوره وبتمكينه فى الأرض، وأنَّ هذه البشاره بنفسها تستدعى لأن تتحسَّب القوى لتدبير مكائد للحيلوله دون تحقّق تلك البشاره الإلهيه، وللوقوف دون وصوله إلى مثل تلك المكانه وذلك الاجتباء والتمكين فى الأرض، (وَ كَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) (يوسف: ۶)، كما هو الحال فيما ورد فى الإمام المهدى عليه السلام أنَّه يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً.

البشاره هنا كانت ليوسف عليه السلام، وهناك بشاره للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بشَّره الله عز وجل بها، أنَّه مهما تقدَّم الزمن وطال فسيُظهر الله هذا الدين على يدى رجل من ذرّيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو المهدى عليه السلام، (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ، للأرجاء كافّه، هذا الوعد وهو خاتمه الدين الإسلامى سوف يطبَّق على أرجاء الكره الأرضيه، ولم يتحقَّق إلى الآن، ولم يتسنَّ لأحد أن يحقّقه على يديه. وفى الواقع إنَّ أهل البيت عليهم السلام بهم فتح الله وبهم يختم(۱).

۱- (۱) فى الروايه عن الحارث بن نوفل، قال: قال على عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا رسول الله أمنّا الهداه أم من غيرنا؟)، قال: (بل منّا الهداه إلى الله إلى يوم القيامه، بنا استنقذهم الله عز وجل من ضلاله الشرك، وبنا يستنقذهم من ضلاله الفتنه، وبنا يُصبحون إخواناً بعد ضلاله الفتنه كما بنا أصبحوا إخواناً بعد ضلاله الشرك، وبنا يختم الله كما بنا فتح الله). (كمال الدين: ۲۳۰/ باب ۲۲/ ح ۳۱). وفى روايه عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: (نحن جنب الله، ونحن حبل الله، ونحن من رحمه الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم الله، نحن أئمّه الهدى ومصابيح الدجى، ونحن الهدى، ونحن العلم المرفوع لأهل الدنيا، ونحن السابقون، ونحن الآخرون، من تمسَّك بنا لحق ومن تخلَّف عنّا غرق...). (مناقب آل أبى طالب ۳۳۶ ۳:).

نشاهد فی ظاهره النبیّ یوسف علیه السلام أنَّ هناک بشاره إلهیه لتمکینه وظهوره للإصلاح، وهی تُعبّر عن نوع من الظهور والغلبه والتمکین، وإن کان لها تأویل خاصّ ذُکر فی روایات أهل البیت علیهم السلام(۱)، وقد ذُکر فی ذیل هذه السوره(۲).

وفی القرآن الکریم أیضاً هناک بشاره خالده ذکرها فی ثلاث سور هی سوره (الفتح: ۲۸)، وسوره (التوبه: ۳۳)، وسوره (الصفّ: ۹): (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ) ، نعم هذه البشاره الإلهیه قد أنبأ القرآن الکریم بها، وأنَّها ستتحقَّق لنبیّ الإسلام ولدین الإسلام علی ید رجل من ذرّیه هذا النبیّ یدعی المهدی علیه السلام، وهذه ملحمه عظیمه فی القرآن، وهو أنَّ هذا الدین بدءاً بالنبیّ صلی الله علیه وآله وبنصره علی بن أبی طالب علیه السلام للنبیّ، فقد قام الدین بسیف علی ونصرته للنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، وسیختم له فی الانتشار فی الأرض والتمکین فی

۱- (۱) کما فی روایه أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السلام، قال: (تأویل هذه الرؤیا أنَّه سیملک مصر ویدخل علیه أبواه وإخوته، أمَّا الشمس فأُمّ یوسف راحیل، والقمر یعقوب، وأمَّا أحد عشر کوکباً فإخوته، فلمَّا دخلوا علیه سجدوا شکراً لله وحده حین نظروا إلیه وکان ذلک السجود لله). قال علی بن إبراهیم: فحدَّثنی أبی، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام: (إنَّه کان من خبر یوسف علیه السلام أنَّه کان له أحد عشر أخاً، فکان له من امّه أخ واحد یسمّی: بنیامین، وکان یعقوب إسرائیل الله...، فرأی یوسف هذه الرؤیا وله تسع سنین فقصَّها علی أبیه...). (تفسیر القمی ۳۳۹ :۱).
۲- (۲) وهو قوله تعالی: وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ یا أَبَتِ هذا تَأْوِیلُ رُءْیایَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطانُ بَیْنِی وَ بَیْنَ إِخْوَتِی إِنَّ رَبِّی لَطِیفٌ لِما یَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ*رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّالِحِینَ (یوسف: ۱۰۰ و۱۰۱).

الأرض على يد أهل البيت، فبهم بُدِئ الدين وبهم سيُختَم فى أرجاء الكره الأرضيه، هذه بشاره قرآنيه عظيمه أكّدها القرآن الكريم، وفى الواقع تتناغم مع كثير من السور القرآنيه، كقوله تعالى: (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ) (القصص: ۵)، فإنَّ هذه آيات تنادى بأعلى صوتها خفّاقه وترنّ فى اذن البشريه واُذن القارئ للقرآن الكريم أنَّ هناك بشاره وعد بها سيّد الأنبياء، ووعد بها المسلمون، أنَّ هناك ظهوراً لهذا الدين على يد رجل من ذرّيه سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فهذه إشاره إلى ظاهره النبيّ يوسف وتشابهها مع ظاهره الإمام المهدى عليه السلام.

إذن هناك اجتباء للظهور والتمكين فى الأرض، وكما اجتُبى النبيّ يوسف لذلك. فكذلك اجتُبى الإمام المهدى بنصّ حديث النبيّ المتواتر، وقال تعالى: (لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ) (يوسف: ۷)، يعنى هناك عِظات وعبر تمرُّ عليكم فى ظاهره النبيّ يوسف يجب أن لا تعبروها بغفلهٍ.

إنَّها ظاهره تستدعى الإمعان والتدبّر بعمق، وفى الحقيقه إنَّ هذه التوصيه من القرآن الكريم بأن نقف مليّاً متدبّرين ظاهره النبيّ يوسف، ليس ذلك إلاَّ لظاهره الغيبه فيها، فالنبيّ يوسف الذى وُعد بالظهور والتمكين فى الأرض يطالعنا القرآن الكريم أنَّ له غيبه ابتدأت من الجبّ كما ستأتى بقيّه الآيات، وفيها إجابات للأسئله التى لديهم، وعلامات يهتدون بها، وتشفى غليل صدورهم.

أيضاً ما فى قوله الله تعالى فى هذه السوره: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ) (يوسف: ۹)، هذه ظاهره موجوده فى حياه النبيّ يوسف، حيث أنَّه عليه السلام وعد

بأنَّه سيُقلَّد مسؤوليه فى الأرض، وظهوراً وإصلاحاً وتمكيناً، فبدأ الخصم يتربَّص به ومن حواليه كما مرَّ بنا فى النبىّ موسى.

من الطبيعى أنَّ قوى البشريه سواء أكانت معتدله أم غاشمه ظالمه يؤرقها فى الواقع بروز قوّه جديده ستسيطر وتقتدر وتتمكَّن فى الأرض، وقد طالعنا التاريخ أنَّ آباء النبىّ تعرَّضوا لمحاولات غيله واغتيال من اليهود الذين هاجروا من الشام إلى خيبر، إلى المدينه إلى أطراف مكّه مرَّات وكرَّات من الكهنه، أو حتَّى ربَّما من قريش، نعم حاولوا الغيله والاغتيال والتصفيه لآباء النبىّ لعلمهم _ بتوسط الكهنه والبشائر الإلهيه فى الديانات السابقه فى الإنجيل والتوراه _ أنَّ هناك سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وسيظهر ويمكّن له الله فى الأرض، ومن طبيعى يكون هناك من يتطلَّع إلى ظهوره، إلى غلبته، إلى مقام التمكين له فى القدره والسيطره لإصلاح شؤون البشر فى الأرض، فتحدق به حينئذٍ القوى المنافسه أو القوى المعاديه لتصفيته وإبادته، وهذا فى الواقع أوّل طالع يتبّهنا ويذكّرنا به القرآن الكريم فى شخصيه النبىّ يوسف، وكما مرَّ بنا أيضاً فى شخصيه النبىّ موسى عليه السلام.

بعد ذلك يواصل القرآن الكريم سرد ظاهره النبىّ يوسف، ونستعرض تلك المواقف التى لها صله بالإمام المهدى عليه السلام:

(فَلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيابَتِ الْجُبِّ) (يوسف: ١٥)، هنا نوع من المؤامره، أرادوا أن يدبّروها وينفذوها لإباده النبىّ يوسف.

قد يسأل السائل: لماذا يستعرض القرآن الكريم هنا بدء غيبه النبىّ يوسف عن ذويه وأهله، بل غيبته حتَّى عن أبيه النبىّ يعقوب عليه السلام، الذى هو نبىّ من الأنبياء وإمام من الأئمّه كما ذكر ذلك القرآن الكريم:

(وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا) (الأنبياء: ۷۳)، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيعقوب مع كونه نبيّاً من أنبياء الله غُيّب عنه ابنه النبيّ يوسف، إذن غيبه حجّه من حجج الله قد تحصل حتّى عن الخاصّه فضلاً عن عامّه الناس، فإذا تأكّد الخطر المحدق بوليّ الله الذى وُعد أن يكون مصلحاً متمكّناً فى الأرض يدبّر ويدير الإصلاح فى الأرض، هذا الوليّ والحجّه لله قد يُغيّب استتاراً أمنياً من الله حراسه له وضمانه له، حتّى عن خاصّته وذويه، فضلاً عن العامّه، ولا تكون غيبته مبطله لحجّته ولا تبطل تلك البشاره التى وعدَ بها لتُنفّذ على يديه من قِبَل الله عز وجل.

هناك نوع من التشابه فى تغييب يوسف عليه السلام فى الجُبّ مع غيبه الإمام المهدى عليه السلام فى سرداب الغيبه.

كثير من الأقلام الرخيصه والألسن الخفيفه تستهزئ بغيبه الإمام المهدى فى السرداب (سرداب الغيبه)، فى الواقع هذا السؤال كأنّما يسأله نفس السائل القارئ للقرآن فيقول: ما صله غيبه النبيّ يوسف عن أبيه وذويه إلى أن ظهر للإصلاح فى الأرض، بالجُبّ والبئر؟ وهل النبيّ يوسف عليه السلام عندما غاب عن ذويه بقى فى الجُبّ والبئر؟ كلّا، بل هى فى الواقع حدث تاريخى حدث للنبيّ يوسف فى الجُبّ والبئر، وقد بدأت غيبته من محاوله تصفيته فى الجُبّ، ومن ثَمَّ ذكرها القرآن الكريم كأوّل محطّه لبدء الغيبه، وهكذا الحال جرى فى شأن الإمام المهدى عليه السلام، حيث إنَّ بيت أبيه وجدّه كان هناك وكانت تُبنى السراديب للبروده فى الصيف، ولا زال فى كثير من البلدان كالعراق وإيران وبلدان كثيره تُبنى السراديب تحت البيوت وقايه من

الحرّ الشديد ولأجل البروده، فجلاوزه النظام العبّاسی وصلت إليهم الأنباء أنَّ ولد الإمام الحسن العسكرى وهو المهدى فى سرداب بيت أبيه، فكبسوا ذلك السرداب لتصفيه الإمام المهدى عليه السلام كما صنع أولئك الظالمون للنبىّ يوسف، إلَّا أنَّ الله عز وجل كما أحبط مخطَّط إخوه يوسف فى يوسف وجعل كيدهم هباءً منثوراً، كذلك جعل الله عز وجل كيد جلاوزه النظام العبّاسی فى مداهمه الإمام المهدى فى سرداب بيت أبيه، حيث أعمى الله وأغشى أبصارهم كما فى خروج النبىّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عندما أرادت قريش أن تداهم النبىّ وتقتله فى بدء الهجره من مكّه إلى المدينه، فخرج النبىّ من بين أيديهم بغشاوه من الله على أبصارهم فلم يبصروه، كذلك خروج الإمام فى ذلك الوقت عندما كبسوا السرداب فى بيت أبيه وكان هو فيه، فأغشى الله أبصارهم، فخرج وبدأت غيبته، ففى الحقيقه هذه محطّه أخرى بارزه ظاهره ناصعه فى حياه النبىّ يوسف، أنَّ بدء غيبته بدأت من الجُبّ.

ظاهره النبىّ يوسف عليه السلام وشبهها بغيبه الإمام المهدى عليه السلام:

للنبىّ يوسف غيبه مع كونه حجّه من الله مبعوثاً للإصلاح فى الأرض، له غيبه يستعرضها لنا القرآن الكريم، وقد اشتدَّت وتوغَّلت فى الخفاء إلى درجه أن يخفى النبىّ يوسف عليه السلام حتَّى عن أبيه وعن ذويه وإخوته وأهله، فهذه شدّه المحنه، فالغيبه من وليّ الله وحجّته تتناول وتشمل حتَّى الخاصّه فضلاً عن العامّه، لِمَ؟ ذلك لأنَّ هذا المصلح يُعدّ لدور مهمّ خطير، فمن ثَمَّ يكون البرنامج الأمنى الإلهى فى حراسه له وضمانه خاصّه،

لكى لاـ تصـل إليه يـد الطـامعين ويـد الأعـداء، فيسـتهلَّ القرآن الكريم فى بـدء غيبه النبىّ عن أبيه وذويه وأهله وخاصّته بـذكر المؤامره التى دُبّرت وكيـدت له من قِبَـل إخوته الطامعين فى إبادته وتصـفيته، بما سوَّلت لهم أنفسـهم فى المخطَّط الـذى دبَّروه، وهو جعله فى البئر وغيـابت الجُبّ. فلاـ يـأتى آتٍ ويقول: مـا صـله الجُبّ وغيـابت الجُبّ ووضع يوسف فيه والتـآمر عليه وهو فى الجُبّ بعقيده الإمام المهدى عليه السلام، ويروق لهم استرخاصاً لذهنيتهم التشنيع والهَرْج بالسرداب.

بدأ مسلسل غيبه النبىّ يوسف عن ذويه بالجُبّ كمشهد تاريخى عندما حصلت المؤامره والتواطؤ لتصفيته وإبادته، لذلك يذكرها القرآن كمشـهد، هى مؤامره كابـدت النبىّ يوسف وبـدأت فى تلك الحقبه بـدتوفى ذلك المشـهد. وقـد ذكرها القرآن، هكـذا الحال فيما يشاهد فى سـرداب الغيبه الموجود فى حرم العسـكريين عليهما السلام والذى تطاولت الأيدى الآثمه المجرمه المبغضه للنبىّ وأهل بيته بتفجيره وتخريبه(١)، فإنَّ جلاوزه النظام العبّاسـى قد كبسوا الإمام المهدى فى سـرداب بيت أبيه فى تلك الآونه، فوصل إليهم الخبر أنَّ الإمام المهـدى عليه السـلام ابن الإمام الحسن العسـكرى فى بيت أبيه فى السـرداب، فكبسوه بُغيه تصـفيته، كما أراد إخوه يوسف أن يبيدوا ويُصفّوا النبىّ يوسف فى البئر، وهو نوع من الحفره فى الأرض، وكما أرادت قريش تصفيه سيّد الأنبياء قبل هجرته فخرج النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من بين أيديهم بعد أن أغشى الله أبصارهم، فقد خرج

١- (١) حدثت تلك الفاجعه بتاريخ (٢٣/ محرَّم الحرام/ ١٤٢٧ه-).

الإمام المهدی من سرداب بیت أبیه أمام جلاوزه النظام العبّاسی وهم لا یرونه(۱).

المشکله فی الکثیر من هذه الأذهان التی لا- ترید أن تبحث عن الحقیقه، وشغلها الشاغل التکذیب بآیات الله وحقائق الدین، وحقائق القرآن الکریم بدل أن تتفهَّم معنی الغیبه، هنا غیبه النبیّ یوسف لیس معناها انطماس وانطمار النبیّ یوسف فی الأرض، کلَّا إنَّما هی مؤامره جرت له بوضعه فی البئر، بعد ذلک أتت سیّاره، (وَ جاءَتْ سَیّارَهٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلی دَلْوَهُ قالَ یا بُشْری هذا غُلامٌ) (یوسف: ۱۹)، تدبیر الله عز وجل، یُدبّر حینئذٍ ولیّه المصلح الموعود کما یحدّثنا القرآن الکریم: (وَ قالَ الَّذِی اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَکْرِمی مَثْواهُ عَسی أَنْ یَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ کَذلِکَ مَکَّنّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ) (یوسف: ۲۱)، إذن هذا نوع من التمکین التدریجی من الله تعالی، یکید کید الکائدین ومکر الماکرین.

۱- (۱) روی الراوندی فی (الخرائج والجرائح ۹۴۲ :۲ و۹۴۳): أنَّ صاحب الأمر علیه السلام بعد وفاه أبیه علیه السلام ودفنه، خرج جعفر الکذّاب إلی بنی العبّاس وأنهی خبره إلیهم، فبعثوا عسکراً إلی سُرَّ من رأی لیهجموا داره ویقتلوا من یجدونه فیها، ویأتوه برأسه، فلمَّا دخلوها وجدوه علیه السلام فی آخر السرداب قائماً یصلّی علی حصیر علی الماء، وقدامهم أیضاً کأنَّه بحر لکثره الماء فی السرداب، فلمَّا رأوا ذلک یئسوا من الوصول إلیه، وانصرفوا مدهوشین إلی الخلیفه، فأمرهم بکتمان ذلک. ثمّ بعث بعد ذلک عسکراً أکثر من الأوّل، فلمَّا دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءه القرآن، فاجتمعوا علی بابه حتَّی لا یصعد، فخرج من حیث الآن علیه شبکه، وخرج وأمیرهم قائم. فلمَّا غاب قال: أنزلوا وخذوه. فقالوا: إنَّه مرَّ علیک وما أمرت بأخذه. فقال: ما رأیته. فانصرفوا خائبین. وخرج إلیه العسکر مرَّه أخری، فوجدوه فی آخر السرداب، فوضع یده علیه السلام علی الجدار وشقّه، وخرج منه، وأثر الشقّ بعد ظاهر فیه.

ومؤامره المتواطئين هى بنفسها حلقات متدرّجه لتدبير الله عز وجل كما يقول: (وَ اللّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف: ۲۱)، يعنى هذه المكائد وهذه المؤامرات وهذه التواطؤات لتصفيه ولىّ الله المصلح المنقذ تبوء بالفشل، بل تصبّ فى مسيره وبرنامج دبّره الله عز وجل لوصول وليه إلى منصّه الظهور ومنصّه الاستخلاف فى الأرض، وضعه فى الجُبّ كان محطّه انطلاق لغيبته، وكذلك كان السرداب فى بيت الإمام الحسن العسكرى فى سامراء وهى أكبر قاعده عسكريه فى العالم آنذاك، حيث حصلت تعبئه عسكريه واستنفار من الدوله العبّاسيه العظمى تخوّفاً وتحسّباً من ظهور الإمام المهدى واستيلائه على مقدّرات الأمور؛ فكبست ذلك السرداب، هذا هو المراد من سرداب الغيبه للإمام المهدى عليه السلام.

هناك من التشابه بين ظاهره النبىّ يوسف والإمام المهدى حتّى فى بدء الغيبه، فقد بدأت غيبه النبىّ يوسف عليه السلام عندما (ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) (يوسف: ۱۵)، هنا إلتفاته جميله (وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ) إلى النبىّ يوسف: (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) ماذا يعنى؟ يعنى هذه الغيبه التى ستبدأ للنبىّ يوسف من البئر، ويغيب عن إخوته وعن أبيه، ليست انطماراً فى الأرض، وإنَّما يخفى على شعورهم، الغيبه ليست غيبه وجود ولا غيبه حضور، إنَّما غيبه شعور، يعنى الأطراف الأخرى لا يشعرون به، غيبه هويه، غيبه خفاء، واستتار وسرّيه، لذلك رُكّز أيضاً فى غيبه النبىّ يوسف التى فيها تشابه مع غيبه الإمام المهدى، بقوله: (وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) ، كما مرَّ فى غيبه النبىّ موسى عليه السلام: (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا

وَ حَزَناً) (القصص: ۸)، ثمّ بعد ذلک تواصل الآیه وتقول: (وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ) (القصص: ۹)، فإذن الغیبه فی المصطلح القرآنی والمفهوم القرآنی وفی الحقیقه القرآنیه التی تتکرّر فی ظواهر القرآن المتّصله بالعقیده بالإمام المهدی هی أنَّ الغیبه بمعنی عدم الشعور بالغائب، لا عدم وجود الغائب، عدم الشعور بولیّ الله المصلح، عدم المعرفه بولیّ الله المنقذ المنجی مع کونه حاضراً فی ساحه الحدث، إذن الغیبه یتابعها القرآن بإمعان وعمق ودقّه لیُفهمها المسلمین ویفهمها القرّاء للقرآن الکریم، أنَّ معنی الغیبه لأولیاء الله والحجج بمعنی عدم شعورکم بهم، عدم معرفتکم بهویتهم، لا عدم وجودهم، لا مزایلتهم لساحه الحدث، لا مزایلتهم لتدبیر الأمور، هم حاضرون، لکن أنتم لا تشعرون بهم، لا تشعرون بهویتهم، ثمّ تواصل الآیات الکریمه: (وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً یَبْکُونَ*قالُوا یا أَبانا إِنّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَکْنا یُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَکَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ کُنّا صادِقِینَ*وَ جاؤُ عَلی قَمِیصِهِ بِدَمٍ کَذِبٍ) (یوسف: ۱۸ ـ ۱۶)، یعنی أنَّهم أشاعوا الخبر أنَّ یوسف قد صفّی، أو قد مات أو قُتل، أی لیس له وجود کما قد أشیع الخبر فی الدوله العبّاسیه آنذاک، هذا الخبر هو حارس للإمام المهدی، وهو أن لا خلف للإمام الحسن العسکری علیه السلام، أو أنَّ السلطه العبّاسیه کبست علی السرداب وصفّته وقتلته، ولم یستطع أن یخرج من بین أیدیهم ولم یغشَ الله عز وجل أبصارهم بغشاوه، فهنا إذن وقفه تأمّل جیّده وهی أنَّه أشیع الخبر فی غیبه النبیّ یوسف أنَّه قد ابیدَ وقُتِل.

ثمّ یأتی التعبیر القرآنی: (وَ جاءَتْ سَیّارَهٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ ... وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَهٍ وَ کانُوا فِیهِ مِنَ الزّاهِدِینَ) (یوسف: ۱۹ و۲۰)، لا یدرون من هو، أنظر تعامل البشر هنا، هو فی حاله تفاعل وفی حاله

تعاطى مع النبىّ يوسف، وهذا هو المصلح لهم، لكن لا يدرون ولا يشعرون كما مرَّ بنا فى عامل الخفاء، (وَ قالَ الَّذِى اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ كَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ) (يوسف: ٢١)، تمكين من الله ليوسف فى الأرض، يفتح له السبل للتدرج فى نفوذ القدره، وفى أن يتبوَّأ مقاماً ومكانه فى البشر ليصير نافذ اليد مبسوط القدره، فهذا برنامج فى الواقع تدريجى، تمكين تدريجى من الله عز وجل لقدره يوسف فى الأرض بشكل خفى ومستتر، وهذه سُنّه الله، إنَّه غالب على أمر يوسف ليسوسه وليدبّره وليحيطه، (وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ) ، أى تأويل الرؤيا(١)أو الإخبار عن حوادث الزمان التى تؤدّى إلى العلم بما يحتاج إليه(٢)، (وَ اللّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ) ، أى تدبير الله قضاءه وقدره يمضى بلا عائق رغم كيد الكائدين ورغم مكر الماكرين. نعم، ما يقدّره الله للمصلح وللمنقذ هو كائن ولن يعوقه شىء ولن يقف أمامه حائل بتاتاً، (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) بذلك التدبير الإلهى.

ويوسف حصلت له الغيبه وهو فى صغره، قبل أن يبلغ أشدّه، وهى كما مرَّت بنا فى النبىّ موسى عليه السلام أيضاً فقد حصل له الخفاء والغيبه فى صغره، وهذا ما حصل للإمام المهدى عليه السلام، وهذا تدبير الله لوليّه المصلح المنقذ الذى يريد أن يظهره الله على الدين كلّه ولو كره المشركون.

(وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٢٢)، و(المحسن) مقام عالٍ يأتى من الإحسان فوق مقام التقوى والورع

١- (١) أنظر: تفسير مجمع البيان ٣٦٠ :٥ و ٤٦٠.

٢- (٢) أنظر: تفسير التبيان ١٩٩ :٦.

وقريب من الاصطفاء فى حجج الله، يأتيهم الله عز وجل بالعلم والحكمه وهو غير وحى النبوّه ووحى الشريعه والرساله، فإذن هناك قناه غير النبوّه وغير قناه الرساله، قناه أخرى يؤكّدها القرآن الكريم فى فقرات ومحطّات عديده وتسمّى ب- (العلم اللدنّى) العلم الإيتائى من الله عز وجل، الحكمه التى يؤتيها الله عز وجل كما آتاها لقمان، إذ لم يكن نبيّاً ولا رسولاً ولا إماماً، وإنَّما كان حجّه من الحجج آتاه الله الحكمه، هذه المفردات وهى المقامات الاعتقاديه لا تجد لها تفسيراً فى غير مدرسه أهل البيت من بين المدارس الإسلاميّه، مدرسه أهل البيت تقول: إنَّ لله حججاً أنبياء كانوا أو رسلاً أو أئمّه، أو قد يكون النبىّ رسولاً وإماماً أيضاً، أو حجّه من حجج الله وليس بإمام ولا رسول ولا نبىّ، وإن كانت الحجّيه ثابته أيضاً للمقامات الثلاثه الأُوَل أيضاً كما كان الحال فى مريم، وكما مرَّ بنا فى ظاهره امّ النبىّ موسى، حيث اوحى إليها ولم يكن وحياً نبوياً ولا وحى رساله، وإنَّما هو الوحى اللدنّى والإيعاز لهذا البرنامج الخاصّ، كما أوحى لمريم ببرنامج خاصّ سيطالعنا به الحديث لاحقاً إن شاء الله تعالى.

بعد ذلك يطالعنا القرآن الكريم بمجمل مسلسل أحداث للنبىّ يوسف تجرى عليه فى غيبته، غيبه خفاء وسرّيه، غيبه عدم معرفه البشر بهويته، وعدم معرفه بشخصيته، عدم الشعور بنسبه وحسبه، ولكن يتعاطون معه. فيحدّثنا القرآن الكريم بمسلسل من الأحداث الأخرى التى تجرى على النبىّ يوسف، إلى أن تصل إلى هذا الموضع فى القرآن الكريم أنَّه قال: (رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ) (يوسف: ٣٣)، وهنا تعاطى وتفاعل مع

الأحداث للنبیّ یوسف فی ظلّ غیبته، لا- أنَّه ناءٍ، وهذه النقطه لها صله بالعقیده بالإمام المهدی وغیبته، غیبه خفاء هیأه وعدم الشعور بولیّ الله المصلح المنقذ الموعود المنتظر، لا أنَّه نائی، لا أنَّه مقصی، ولیست هی مزایله عن ساحه الحدث وعن مسرح الحیاه، بل هو موجود یتفاعل مع الأحداث من دون شعور البشر به، ومن دون شعور بکیفیه التدبیر الإلهی الذی یوصله درجه فدرجه، محطّه فمحطّه إلی منصّه الظهور، إلاَّ أن یکذّب الناس بذلک، أو یُکذّبوا النبیّ یعقوب الذی بشّر بظهور ابنه یوسف فی الأرض وبالتمکین له، أو یُکذّبوا بغیبه النبیّ یوسف ویقولون: لن یکون هناک یوسف موعود سیظهر ویمکَّن له فی الأرض ویتغلَّب علی الفساد، لکن (وَ اللّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا- یَعْلَمُونَ) ، یکذّبون بما لا یعلمون، فهنا یؤکّد القرآن الکریم علی أنَّ الغیبه والخفاء لا تنافی مقتضی قضاء الله وقدره للوصول إلی ظهور موعوده المبشّر به لإصلاح الأرض.

(وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَیانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّی أَرانِی أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّی أَرانِی أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِی خُبْزاً تَأْکُلُ الطَّیْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِیلِهِ إِنّا نَراکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ) (یوسف: ۳۶)، إذن تفاعل ولیّ الله الموعود فی تلک الحقبه أن یجری علیه ما یجری علی البقیّه حتَّی من دخول السجن، مع أنَّ ولیّ الله موعود بالظفر والتمکین فی الأرض تصل به حیاته إلی أن یقبع فی أرض السجن، لکن هذا لا ینافی تدبیر الله عز وجل، بل هذا یصبُّ فی مسلسل تدبیر الله النافذ الغالب علی أمره، فهذه إذن محطّات شاهده تدلّل علی أنَّ ولیّ الله فی غیبته وخفائه لا ینافی وجوده فی مسرح الحیاه وتفاعله مع مجریات الحیاه.

بعد ذلک أنظر کیف تجری الأحداث، (نَبِّئْنا بِتَأْوِیلِهِ إِنّا نَراکَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ) ، أنظر بثّه للعلوم أیضاً: (قالَ لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاّ نَبَّأْتُکُما بِتَأْوِیلِهِ) (یوسف: ۳۶ و۳۷). الآن یطالعنا القرآن الکریم أیضاً فیما سیجری للملک، (وَ قالَ الْمَلِکُ إِنِّی أَری سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ) (یوسف: ۴۳)، إذن أزمه اقتصادیه ستحلُّ بالبشریه یُراد لها تدبیر نافذ، یُراد لها نظام اقتصادی صارم، یُراد لها نوع من البرمجه والتقشف الاقتصادی کی یواجهوا الأزمه الاقتصادیه الحادّه التی ستعصف بهم، من الذی سینجی البشریه من هذه الأزمه؟ من الذی أعدَّه الله عز وجل للحیلوله دون وقوع هذه الأزمه التی ستجتاح البلاد؟ الجواب: النبیّ یوسف علیه السلام هو الذی ینقذ البشریه فی منعطفات حادّه یمرُّ بها النظام البشری وهو خفی عنهم، وهم لا یشعرون به، وهم لا یشعرون بأنَّ هذا التدبیر الصالح إنَّما انبثق من هذا النبیّ، من هذا الموعود بظهوره وبتمکینه.

بعد ذلک تطالعنا الآیات الکریمه: (قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِیلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِینَ) (یوسف: ۴۴)، أنظر إلی تدبیر البشر الذی لم یکن بالمستوی المطلوب أمام هذه الأزمه التی تواجههم لولا وجود ولیّ الله الذی یدبّر الأمور وهو فی حاله خفاء. وهذا هو الذی نعتقده بالإمام المهدی علیه السلام فی غیبته، أل وهی غیبه خفاء هویه، لا مزایله عن ساحه الحدث کما مرَّ، فهو یدبّر وینجی البشریه فی حقبه تمتلئ بالأزمات الحادّه التی تعصف بها.

کما حصل الحال کذلک فی الإمام المهدی علیه السلام، فقد ذکر الذهبی فی (تاریخ الإسلام) فی ترجمه الإمام الحسن العسکری ولاده

الإمام المهدى محمّد بن الحسن، ولكنَّه عقَّب بعد ذلك وقال: إنَّه عُدم(١)، أو كأنَّما صفَّته الدوله العبّاسيه، ولكن الحقيقه ليست كذلك، بل هو محروس بضمانه وحراسه إلهيه كما حرس الله النبىّ يوسف وحرس النبىّ موسى فى الظاهره السابقه التى ذكرها لنا القرآن الكريم، وهو الموعود المبشَّر به بإظهار الدين على أرجاء الكره الأرضيه كافّه، وهو من نسل الرسول ومن ذرّيه فاطمه فى نصّ الفريقين المتواتر.

وتواصل الآيات سرد تعاطى النبىّ يوسف التفاعل مع الحياه العامّه، وأبرز ذلك ما تُبيّنه لنا السوره نفسها أنَّه فى تلك الأزمه العصيبه التى عصفت بمصر وكانت هى مركزاً لتموين ما حواليها من البلدان فى التموين الغذائى والأزمه الاقتصاديه الحادّه التى مرَّت بها، كان من النبىّ يوسف حينذاك ذلك التدبير المهمّ المبنى على اسس علميه بتوسّط ما للنبىّ يوسف من علم لدنّى، حيث ذكر برنامجاً مهمّاً لتفاديهم تلك الأزمه، فقال: (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تَأْكُلُونَ) (يوسف: ۴۷)، لاحظ البرنامج الوقائى والتدبير

١- (١) قال الذهبى فى (تاريخ الإسلام ١١٣ :١٩) فى ترجمه الإمام الحسن العسكرى عليه السلام ما نصّه: (الحسن بن على بن محمّد بن على الرضا بن موسى بن جعفر الصادق. أبو محمّد الهاشمى الحسينى أحد أئمّه الشيعه الذين تدعى الشيعه عصمتهم. ويقال له: الحسن العسكرى لكونه سكن سامراء، فإنَّها يقال لها: العسكر. وهو والد منتظر الرافضه. توفّى إلى رضوان الله بسامراء فى ثامن ربيع الأوّل سنه ستّين، وله تسع وعشرون سنه. ودفن إلى جانب والده. وأُمُّه أمَه. وأمَّا ابنه محمّد بن الحسن الذى يدّعوه الرافضه: القائم الخلف الحجّه، فولد سنه ثمان وخمسين، وقيل: سنه ستّ وخمسين. عاش بعد أبيه سنتين ثمّ عُدم، ولم يعلم كيف مات. وأُمّه امّ ولد. وهم يدَّعون بقاءه فى السرداب من أربعمائه وخمسين سنه، وأنَّه صاحب الزمان، وأنَّه حىّ يعلم علم الأوّلين والآخرين...).

الاقتصادى، ثمّ كيفيه الحفاظ على بقاء التموين الغذائى، (فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تَأْكُلُونَ) ، فلا بدَّ أن تكون هناك سياسه تقشّف، برمجه وتدبير واضح لتفادى الأزمه المحدقه الحادّه التى سيواجهها المجتمع البشرى آنذاك، (ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحْصِنُونَ) (يوسف: ۴۸)، إنَّ للأولياء الحجج المبعوثين لإصلاح البشريه علماً قديماً، وعلوم الأئمّه المنصوبين من قبل الله تعالى ليست علوماً نسبيه، وليست وليده التجربه لتتأثَّر حينئذٍ زيادةً ونقصاناً أو صواباً وخطئاً أو تردّداً وحيره بالمعلومات المكتسبه التى قد تكون محيطه وقد لا تكون محيطه فى زوايا عديده، بل هو علم لدنّى بما يؤتيهم الله عز وجل من ذلك العلم، فيه تدبير لا يخطئ الواقع.

الآن البشريه تتطلَّع إلى نظام اقتصادى عادل، بعد أن طُرحت عدّه نُظم، كالنظام الشيوعى، والنظام الرأسمالى، فوجدت أنَّها لا تتكفّل ولا توجِد العداله، فى النظام الاقتصادى، أو النظام القضائى، أو النظام الاجتماعى، أو النظام السياسى، بل رأت أنَّ غايه ما وصلت إليه تلك النظم إنَّما هو إلى حرّيه نسبيه أو عداله نسبيه أو حقوق نسبيه، أمَّا الحقوق الكامله والعداله الكامله والحرّيه الكامله _ بالمعنى الصحيح للحرّيه _ فإلى الآن تتطلَّع البشريه إلى ذلك.

البشريه فى أزمه تنظير فضلاً عن مرحله التطبيق، وتلك إذن مرحله دهياء مدلهمه فيها ما فيها من عدم الأمانه وعدم الكفاءه، بينما النظم الإلهيه والتدبير الإلهى لمن يبعثهم الله أولياء تكفل حمايه البشريه عمَّا ينتابها من عواصف، وهذا معنى ضروره لزوم الإمامه بعد النبوّه، نعم إنَّه لا بدَّ من تدبير إلهى للبشر يكفل لهم الحياه ويحوطهم عن الوقوع فى الهاويه والأخطار وما يحيط بهم من مآزق وأزمات ومنعطفات حادّه جدَّاً.

وفی الحقیقه هـذا معنی أنَّ المهـدی علیه السـلام عنـدما یظهر (یملأ الأـرض قسـطاً وعـدلاً بعـدما ملئت ظلماً وجوراً)، وکما أنبأ بـذلک القرآن الکریم فی سوره الحشـر: (ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ) ، تـدبیرها بیـد الله ثمّ بعد ذلک ولایه ذوی القربی من أهـل الـبیت، (فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی) ، یسـتعرض القرآن الکریم مصـرف هـذه الثروات فی الأـرض بتـدبیر الله والرسول وذوی القربی أوّلاً ثمّ یقول تعـالی: (وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ) (الحشـر: ۷)، وهی الطبقات المحرومه، فبسط الثروات بشکل عادل علی الطبقات المحرومه إنَّما یتمّ بتدبیر الله وإداره رسوله ثمّ ذوی القربی.

وفی قصَّه یوسف نشاهد هذا التدبیر الاقتصادی الذی یؤمّن البشریه من الفساد ومن الظلم، فی الحقیقه إنَّ هناک نارین نار الفساد ونار الظلم، الفساد قد یکون عن سبب الجهل فی التنظیم، والجهل بالموضوع أو التطبیق، أمَّا صاحب العلم اللدنّی الولیّ من أولیاء الله الذی یُبعث حجّه من قِبَل الله عز وجل بما یؤتی من علم لدنّی یتفادی ذلک الخطر، ولا یستدعی أزمه فی التنظیم ولا أزمه فی التطبیق ولاـ فی العلم والإحـاطه بـالبیئه الموضوعیه وتـداعیاتها، أنظر مـاذا یقول النبیّ یوسف کما فی الآیه الکریمه: (قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِینَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ) (یوسف: ۴۷)، أی السـبع سنین الأولی، ثمّ یعطی برنامجاً للسبع سنین الثانیه، وبرنامجاً للسنه الخامسه عشـره، بملاحظه تداعیات کلّ تدبیر، وهذه من خصائص التدبیر الإلهی، ولیس صـلاحیه الحکم فی جنب التشـریع. التشریع فقط لله، بل صلاحیه الحکم فی کلّ مدیاته السیاسیه والنظمیه والتدبیریه بید الله عز وجل،

وهـذا هو المفهوم الـذى تتبنـاه المـدرسه الوحيـده مـدرسه أهل البيت، إذ لـديها لون من التوحيـد لا يُلمس بهـذه الكثافه وبهـذه الشـموليه وبهذا التركيز فى غيرها كما هو فيها، التوحيد فى الحكم أيضاً فلا يقصـرون على التشـريع بأن يقال: إنَّ التشـريع لله وأمَّا التطبيق والتدبير فهو بيد البشـر، أى إنَّ يد الله معزوله عن ذلك، حاشا لله والعياذ بالله أن تقصـر الربّانيه عن التدبير، بل التدبير ليس فى جانبه الكونى والقضاء والقـدر فقط، بل حتَّى فى جانبه التشـريعى، وفى الدرجه الأولى أنَّ الحكم لله بما ينزل على أوليائه من أوامر.

نعم هـذا موقف ونقطه مهمّه فى ظـاهره النبىّ يوسف يستعرضـها لنا القرآن الكريم فى سوره يوسف، من أنَّ وليّ الله والإمام على البشـر الخليفه لله فى الأـرض (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقره: ٣٠)، ولم يُعبّر القرآن الكريم بـالقول: إنّى جاعل فى الأرض نبيّاً، أو إنّى جاعل فى الأرض رسولاً، أو إنّى جاعل آدم خليفه، بل قال ما له عموميه وشـموليه لكلّ الأزمان من بدء خليقه البشـر إلى منتهاها: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ، الخليفه اسـتخلاف قدره وتدبير وإمامه، وهو عنوان من عناوين الإمامه، فالإمامه سُنّه دائمه من الله تعالى، سواء أكان الإمام نبيّاً أم رسولاً، كما فى سـنن الرسل فهو نبىّ ورسول وإمام، وإمام الأئمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، وكمـا فى إبراهيم فهو نبىّ ورسول وإمـام، قال تعالى: (وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى) (البقره: ١٢۴)، وكذلك فى إسـحاق ويعقوب: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) (السجده: ٢۴)، فالإمام موقع ومنصب قـد يشـغله ويحتلّه النبىّ والإمام، وقـد يقوم به غير النبىّ والرسول، لكن هـذا الموقع لا يمكن أن يكون

شاغراً، لا يمكن أن يكون غير مُفعَّل فى زمن الأزمان، وهذه نكته مهمّه فى حياه الرسل، (ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا) (المؤمنون: ۴۴)، يعنى متعاضده يعضد بعضها البعض، وبينها أزمنه وفترات، وبعد رسول الله (لا نبىّ بعدى)(۱)، أى لا رسول بعدى، ولم يقل سيّد الرسل: لا إمام بعدى، ولم يقل: لا خليفه لله بعدى، بل قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ بعده (اثنا عشر خليفه _ أو أميراً _ كلّهم من قريش)، وفى بعض الروايات: (من هذا البطن بنى هاشم)، والمقصود هنا أنَّ ما تقدَّم من الآيات أنَّ النبىّ يوسف الموعود بكونه المصلح والمبشّر بالتمكين فى الأرض، يزاول دوره فى إنقاذ البشريه وإصلاح المجتمع البشرى قبل ظهوره، وقبل وعى الناس ومعرفتهم وشعورهم بهويته، وقبل إعلان شخصيته، لكنَّه موجود فى ساحه الحدث، موجود فى مركز تدبير الأمور، ينتشل البشريه من تلك الأزمات، ويرتفع بها إلى قُلل الكمال من دون أن يشعروا بأنَّ هذا التدبير من خليفه الله تعالى، هذا التدبير من ولىّ الله وحجّته، هذا التدبير من الموعود المُبشّر به بأنَّه رأى (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) (يوسف: ۴)، نعم مبشّر بأنَّه يظهر ويمكّن فى الأرض، لكن مع ذلك لم يشعر به ذووه ولم يشعر به إخوته ولم يشعر به النظام الذى كان سائداً، لكن مع ذلك هو يقوم بدوره.

إذن القيام بالدور الحساس المصيرى من قِبَل خليفه الله، من قِبَل الإمام الذى يستخلف فى تدبير الأمور، على أنَّه خليفه الله، وقيام الإمام

۱- (۱) قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: (أنت - أو إنَّك، أو أمَا ترضى أن تكون - منّى بمنزله هارون من موسى، إلاَّ أنَّه لا نبىّ بعدى). رواه جمهور المحدّثين من الفريقين، أنظر: (كمال الدين: ۲۷۸/ باب ۲۴/ ح ۲۵؛ أمالى الصدوق: ۲۳۸/ المجلس ۳۲/ ح (۸/۲۵۲)؛ أمالى الطوسى: ۱۵۶/ المجلس ۲۶/ ح (۱/۱۵۰)؛ مسند أحمد ۱۸۴ :۱، و۳۲ :۳؛ صحيح مسلم ۱۲۰ :۷؛ سنن الترمذى ۳۰۴ :۵/ ح ۳۸۱۴).

قیام من هو غائب فی هویته ولیس غائباً فی وجوده، وحضوره، وتدبیره، وتصدّیه للأمور، إذ أنَّ قیامه بهذا الدور لا یستلزم شعور البشر بهویته إذ أنَّهم کانوا یرونه ولا یعرفونه، یدبّر لهم، یتعاطی معهم، یؤثّر فی مصیر البشریه، یحفظها من المنزلقات من دون أن تشعر البشریه به، ومن دون أن تنسب البشریه هذا الإنجاز الإصلاحی لولیّ الله ولخلیفه الله، ربَّما نعرفه بأسماء أخری ولا نعرفه باسم یوسف بن یعقوب بن إسحاق بن إبراهیم الخلیل مثلاً، المهمّ أنَّه أخذ ید البشریه عن الوقوع فی مجاعات، أو الوقوع فی الموت، أو الوقوع فی قطع النسل البشری والأزمات الکثیره، وربَّما یتفشّی نتیجه لذلک الفساد والقتل وعواصف ومفاسد تفتّ بالنظام الاجتماعی والسیاسی والأسری وکثیر من تداعیاته، لکن بعد أن قام بهذا الدور المصیری فی تلک الحلقات المرکزیه فی النظام الاجتماعی السیاسی، وکما فی النبیّ موسی الذی قام بأدوار کثیره من ربط الأمل والجأش علی قلوب بنی إسرائیل دون أن یشعروا به أنَّه موسی قبل ظهوره، وکان علی صله بأخیه هارون، بل ولم یشعروا حتَّی بنبوّه هارون.

فالسؤال القائل: أیّ معنی للإمام عندما یکون غائباً نابع عن فهم مغلوط للغیبه والغیاب علی أنَّه بمعنی مقابلٍ للحضور ولیس عدم حضور، الغیبه عدم ظهور مع کون الحضور فعلیاً، یقوم بکلّ حیویه بالمسؤولیه الإلهیه الخطیره فی منعطفات المسیر البشریه، ینقذها وینتشلها من السقوط إلی الهاویه، وهذا إذن مقطع ثمین جدَّاً فی ظاهره النبیّ یوسف علیه السلام، وهو أنَّه غاب وخفیت هویته ولم یخفَ وجوده، ولم تعدم البشریه حضوره وخیره وتدبیره وما شابه ذلک، وهذه نکته مهمّه جدَّاً بالغه العبره یسطّرها لنا القرآن الکریم.

فإذا كانت عندكم أسئله عقائديه اقرؤوها من هذه الإجابات الموجوده فی سوره یوسف، ولا تمرّوا علیها مرور عبور غفله، (وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ) (القمر: ۱۷)، (أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) (النساء: ۸۲)، أنظر کیف یحثّ القرآن علی التدبّر، استنطق القرآن الکریم لتلتفت إلی تلک الإجابات علی أسئلتک، فهو یجیبنا بأنَّ خلیفه الله وولیّ الله غائب غیبه هویه وعدم شعور، لا غیبه وجود، نعم یزاول تمام دوره فی عصب النظام البشری، ولولاه لفُصِمَ وقُصِم، یعنی یقوم به لکن من دون أن یُعزی هذا الإصلاح والتدبیر له.

ولا یخفی علی القارئ الکریم أنَّ الإصلاح الذی قام به یوسف علیه السلام هو إصلاح نسبی فی غیبه أولیاء الله، بخلاف ما کان بعد ظهور یوسف وبعد معرفتهم وشعورهم به، (أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ) (یوسف: ۹۰)، نعم إنَّه لمَّا ظهر أفشی فیهم التوحید، وأفشی فیهم دیانه الإسلام، ولکن قبل الظهور کانت تلک الإصلاحات نسبیه مصیریه فی حفظ النظام البشری یقوم بها ولیّ الله، وإن کان فی ستار وسرّیه وخفاء فی حرکته، لذلک یُلفت القرآن الکریم إلی ذلک فی قوله تعالی: (وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (البقره: ۳۰)، وأوّل مفاد قرآنی له صله بمعنی الخلیفه، بطرح القرآن الکریم تساؤل الملائکه: (قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ) (البقره: ۳۰)، وکأنَّما أراد الله عز وجل أن یبیّن لنا أهمّ دور یقوم به الخلیفه، وأنَّه لولا وجوده لوقع المحذور الذی ذکرته الملائکه وهو الفساد فی الأرض، أو سفک الدماء وقطع النسل البشری، فالذی یکون ضمانه إلهیه یحول دون وقوع سفک الدماء أی قطع النسل البشری هو الخلیفه، عَلِم به البشر أو لم یعلموا به، خفیت هویته علیهم أو علموا بها، استجابوا له أو لم یستجیبوا له، فإنَّه قادر علی أن ینفذ فی نظمهم ویؤثّر فیها وإن لم یستجیبوا له

باسمه وبمعرفه هويته، فهذه إذن محطّه ووقفه قرآنيه عظيمه جدًّاً يجب أن ننتهل منها نهلاً ـ نميراً عميقاً عذباً سائغاً، ويجب أن نلتفت إليها بجدّ.

وبعد هذا يصبح من السفه القول: إنَّه كيف جعله الله إماماً على البشر والبشر لا ـ يعرفه؟ فنقول: من قال: إنَّ المقامات الإلهيه والمناصب الإلهيه تستدعى أن يعرف البشر صاحب المقام والمنصب بنعت المقام والمنصب؟ هاهنا النبىّ يوسف عليه السلام قد عاش وترعرع وجرى ما جرى وغاب عن ذويه وأهله قبل أن يبلغ، بدءاً من الجُبّ حيث رموه فيه، ثمّ ترعرع ونما، ومن ثَمَّ كان نبيّاً مرسلاً موعوداً ومنقذاً ومصلحاً ومنجياً، وُعد فى نعومه أظفاره وبدايه حياته بالبشاره بالتمكين فى الأرض، وقام بهذه الأدوار.

فهذه حقيقه قرآنيه لا يستطيع أحد من المدارس الإسلاميّه الأخرى غير مدرسه أهل البيت أن تفسّر هذه الظاهره وهذه الحقيقه القرآنيه، أنظر كيف أنَّ ثوابت العقيده الاعتقاديه فى مدرسه أهل البيت كلّها ذات شواهد، وتشاهد مع حقائق القرآن كلَّما ذكر حجج الله السابقين من الأنبياء والرسل والأئمّه، هى فى الواقع عِظات وعِبر اعتقاديه للأمّه الإسلاميّه فى حقبه زمانها ولأئمّه زمانها وللخلفاء المنصوبين من قِبَل الله ورسوله على المسلمين فى زمنهم، فهذه محطّه عظيمه جدًّاً ينبئنا بها القرآن الكريم وهى: أنَّ الغيبه لا تتنافى مع القيام بدور النبوّه ومسؤولياتها، ويضطلع بمسؤولياتها وبمهامها ووظائفها النبىّ مع كون الناس يجهلون نعته، بل يجهلون اسمه، ويعرفونه ربَّما باسم آخر، ومع ذلك يقوم بدوره.

أوَلم يقل النبىّ يوسف لصاحبيه فى السجن: (يا صاحِبَيِ السِّجْنِ

أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ*ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ) (یوسف: ۳۹ و ۴۰)؟ أنظر إلی هذه الدروس التوحیدیه الثبوتیه، فلیس الحکم فی التشریع فقط، بل حتَّی فی التدبیر، حتَّی فی التنفیذ، حتَّی فی القضاء، هذا اللون من التوحید وما مرَّ بنا لیس له وجود إلاَّ فی مدرسه أهل البیت علیهم السلام؛ لأنَّهم یقودوننا إلی مؤدّیات وثوابت العقیده الاعتقادیه لمدرسه أهل البیت، إنَّ التدبیر فی الحکم القضائی صلاحیته أوّلاً لله حیث یشرف علیه الله تعالی، لا أنَّ الله عز وجل معزول عن الإشراف فی القضاء التشریعی وفی نظام القضاء وفصل الخصومات وفی نظام التنفیذ والقوّه والسلطه التنفیذیه والسلطه التشریعیه، حاشا لله أن یکون معزولاً عن الإشراف والهیمنه، فالحکم لله حتَّی فی حکومه الرسول والحاکم الثانی هو الرسول، هذه هی الأدبیات العقائدیه لمدرسه أهل البیت، وهکذا فی حکومه علی بن أبی طالب علیه السلام فإنَّ الحاکم الأوّل فی سلطه التشریع وسلطه القضاء وسلطه التنفیذ هو الله عز وجل، والحاکم الثانی هو الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، وإن انتقل إلی الدار الآخره فإنَّه یشرف ویُطاع ممَّن بعده وهو أمیر المؤمنین بما یتَّصل بالعلم اللدنّی بالله ورسوله، وکذلک الحاکم الثالث فی حکومه أمیر المؤمنین علیه السلام هو أمیر المؤمنین.

فالحاکم الأوّل هو الله، لیس فقط علی صعید التشریع، بل حتَّی علی صعید التنفیذ، ففی السلطه القضائیه، وسلطه العسکر، وسلطه الثقافه، وسلطه الاقتصاد، وکذلک الإشراف والهیمنه علی جمیع التفاصیل الجزئیه الخطیره هی لله عز وجل، ویبلغ الله إرادته ومشیئته حتَّی الجزئیه التنفیذیه التطبیقیه لولیّه وخلیفته فی الأرض، وهذه الصلاحیه التی هی لله _ للأسف _ فی غیر مدرسه أهل البیت

تراها كأنَّها مزواه عن الساحه الإلهيه، مزواه عن البارى تعالى، والعياذ بالله، وكأنَّهم شابهوا اليهود فى قولهم كما حكاه عنهم الله عز وجل بقوله: (وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا) (المائده: ۶۴)، هيهاتَ، بل تنبسط وتشمل جميع السلطات، وكما يُحدّثنا القرآن الكريم فى حكومه الرسول، أوَليست سيره حكومه الرسول فى القرآن مسطوره فى منعطفات السياسه والحرب والسلم والقضاء، أوَلم يكن ينزل أمر إلهى خاصّ، وإن كان تشريعاً عامّاً أيضاً ولكنَّه أيضاً تطبيق خاصّ، فى موارد النزول إعمال الولايه من الله، وإراده من الله لا من رسوله فى تلك الموارد، هاهنا مثلاً ابدأوا حرباً مع المعتدين، وهاهنا اعقدوا صلحاً، وهكذا فى موارد عديده يتعرَّض لها القرآن الكريم حتَّى فى إقامه الحدود والعقوبات الجنائيه. صحيح إنَّ مفاد تلك الآيات تشريع عامّ، لكن تطبيقه من الله عباره عن تنفيذ خاصّ.

أنظر إلى هذا التوحيد الذى هو بلون مركّز وشديد وشمولى والذى لا يوجد إلَّا فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، والذى يُنبئ عنه النبىّ يوسف فى قوله تعالى على لسانه: (إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ) (يوسف: ۴۰)، ليس فقط فى التشريع، بل فى كلّ مجالات الحكم.

وإذا نظرنا إلى مدارس بقيّه المسلمين نجد حاكميه الله تُزوى، لماذا؟ ذلك لأنَّهم لا يعتقدون أنَّ الإمام منصوب من الله عز وجل، ولا أنَّ هناك ارتباطاً بين فرد بشرى معصوم وبين الله تتنزّل عليه الحكمه الإلهيه والتدبير الإلهى.

حجّيه الإمام مع غيبه شخصه:

مرَّ بنا أنَّ القرآن الكريم فى سوره يوسف يذكّر المسلمين والمؤمنين بأنَّ جهل البشريه بوجود النبىّ يوسف لم يزعزع ولم يزلزل

عنوان نبوّته، ولم يبعده عن الاضطلاع بمسؤوليه الرساله وبمسؤوليه الإمامه، وأنَّه معدّ مصلحاً ومنقذاً بشرياً فى تلك الحقبه.

وكلّ هذه المقامات كان يزاولها النبىّ يوسف فى غيبته، ويقوم بتلك الأدوار الخطيره فى مسار البشريه التى تعصف بالنظام البشرى، والتى ربَّما تؤدّى به إلى سحيق الهاويه، وهو ينتشلها ويقوم بهذا الدور الإلهى من دون أن يعرفوا نبوّته ولا رسالته ولا حجّيته، ولا كونه الموعود المُبشّر من قبل الله، ولا إمامته ولا كونه خليفه لله فى أرضه، لكن ذلك لم يُبطل حجّيته ولا إمامته ولا نبوّته ولا رسالته كما أسلفنا، ولم يكن هناك أىّ شرطيه وأىّ توقّف بين معرفه الناس له بنعت الحجّه ونعت النبىّ ونعت الرسول بالنبوّه والرساله والحجّيه والإمامه والخلافه، وقيامه بتلك الأدوار من قبل الله تعالى.

وفى الحقيقه فإنَّ هناك مغالطه فى قول البعض: إنَّه ليس هناك ارتباط، بل الارتباط قائم بين النبىّ يوسف وأهل زمانه حيث يتفاعل مع ساحه الحدث الأساسى الرئيس عندهم من دون أن يشعروا بذلك الارتباط. فعدم معرفتهم به لا يعنى عدم ارتباطهم به، ولا يعنى عدم قيامه بالدور، فالإنسان الآن فى وجوده يتعاطى مع كثير من الأشياء المحيطه به من الماده لكن لا يشعر بها، فهل يعنى ذلك عدم وجودها؟ فالأمر هنا بيّن، ففى حاله النبىّ يوسف نرى أنَّه لم يكن معروفاً إلاَّ لذويه وإخوته وأبيه النبىّ يعقوب، وإلاَّ فإنَّ أهل مصر وعزيزها وملكها، والبلدان المجاوره لم يعرفوا شخصاً بهذا الاسم، وبعباره أخرى هناك الخفاء فى النبىّ يوسف أشدّ ممَّا هو عليه الحال فى الإمام المهدى، الإمام المهدى يُعرف بشخصه الذى هو الثانى عشر من ذرّيه النبىّ صلى الله عليه وآله من ولد على وفاطمه عليهم السلام،

وهو ابن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، واعترف كثير من علماء المسلمين بولادته، ومنهم الذهبى فى (تاريخ الإسلام) كما تقدَّم، وغيره من علماء الجمهور ممَّن اعترفوا وسلَّموا بولادته عليه السلام(۱).

۱- (۱) منهم: العلاّمه الشيخ شمس الدين محمّد بن طولون الدمشقى الحنفى فى (الشذرات الذهبيه فى تراجم الأئمّه الإثنى عشريه/ ص ۱۱۷/ ط بيروت)، قال: (ثانى عشرهم ابنه - أى العسكرى عليه السلام- محمّد بن الحسن وهو أبو القاسم محمّد بن الحسن بن على الهادى إلى آخر الأئمّه الاثنى عشريه، وكانت ولادته رضى الله عنه يوم الجمعه منتصف شعبان سنه خمس وخمسين ومائتين، ولمَّا توفّى أبوه المتقدّم ذكره رضى الله عنهما كان عمره خمس سنين). ومنهم: العلاّمه كمال الدين محمّد بن طلحه الشامى الشافعى فى (مطالب السؤول/ ص ۸۹/ ط طهران)، قال: (الباب الثانى عشر فى أبى القاسم محمّد بن الحسن الخالص بن على المتوكّل بن محمّد القانع بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الزكى بن على المرتضى بن أبى طالب المهدى الحجّه الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمه الله وبركاته...، إلى أن قال: فأمَّا مولده فبسُرَّ من رأى فى ثالث وعشرين شهر رمضان سنه ثمان وخمسين ومائتين للهجره، وأمَّا نسبه أباً وأُمّاً فأبوه محمّد الحسن الخالص بن على المتوكّل بن محمّد القانع ابن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين الزكى بن على المرتضى أمير المؤمنين. وأُمّه امّ ولد تسمّى: صقيل، وقيل: حكيمه، وقيل غير ذلك. وأمَّا اسمه محمّد وكنيته أبو القاسم، ولقبه الحجّه والخلف الصالح، وقيل: المنتظر). ومنهم: العلاّمه ابن خلكان فى (وفيات الأعيان/ ج ۱/ ص ۵۷۱/ ط بولاق بمصر)، قال: (فى ذكر محمّد بن الحسن المهدى: وكانت ولادته يوم الجمعه منتصف شعبان سنه خمس وخمسين ومائتين، وذكر ابن الأزرق فى (تاريخ ميافارقين) أنَّ الحجّه المذكور ولد تاسع عشر ربيع الأوّل سنه ثمان وخمسين ومأتين، وقيل: فى ثامن شعبان سنه ستّ وخمسين، وهو الأصحّ). ومنهم: العلاّمه سبط ابن الجوزى فى (تذكره الخواص/ ص ۲۰۴/ ط طهران)، قال: (محمّد بن الحسن بن على بن محمّد بن على بن موسى بن جعفر بن محمّد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكنيته أبو عبد الله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّه صاحب الزمان القائم والمنتظر والتالى، وهو آخر الأئمّه. وقال: ويقال له: ذو الاسمين محمّد وأبو القاسم، قالوا: امّه امّ ولد يقال لها: صقيل).-

ويعرفونه باسـمه وشـخصه، وأنَّه المرشّح لأن يكون مصلحاً إلهياً، وأنَّه الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهو الذى على يديه يظهر الدين على الأرجاء كافّه، والموعود ببشاره سيّد الأنبياء، يعرفون هذه المواصفات، ولكن لا يعرفونه بتشخّص وجوده، ولا يميّزون من هو المنعوت بهذه المواصفات، لذا كانت حال الإمام المهدى أهون فى

الخفاء، أمَّا فی النبیّ یوسف کما یحدّثنا القرآن الکریم فإنَّ أهل مصر وکثیراً من البشر آنذاک کانوا یتعاطون مع النبیّ یوسف ومرتبطین به لکن لا یشعرون به، لا یعرفون الاسم حتَّی علی مستوی النظریه، فضلاً علی مستوی التطبیق، یعنی لیس علی مستوی الفکره فضلاً عن مستوی تشخیص الفکره علی وجود خارجی، فالخفاء فی ظاهره النبیّ یوسف أشدّ، ومع ذلک لم تبطل نبوّه النبیّ یوسف وحجّیته وإمامته وخلافته ومُصلحیته، فهذا درس اعتقادی عظیم یسطّره لنا القرآن الکریم فی سوره یوسف، ولیس سمراً ولا ثرثره، بل عِظَه وعبره عقدیه واعتقادیه قبل أن تکون عبره أخلاقیه أو أدبیه، (ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری) (یوسف: ۱۱۱)، لیست هذه مفتریات، بل (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ*وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ) (الطارق: ۱۳ و۱۴)، هو قول الله عز وجل، فإنَّ هذا درس عقائدی عظیم یجابه به القرآن الکریم ویصدّ اکذوبه المکذّبین بالإمام المهدی ودعواهم فی المنافات بعدم شعور البشر بالارتباط وبالتالی تبطل حجّیته، فأیّ معنی لمثل هذه المقوله الزائفه؟ وبقیّه الآیات التی تسرد لنا ظاهره النبیّ یوسف تقول: (وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ*قالَ اجْعَلْنِی عَلی خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ) (یوسف: ۵۴ و۵۵).

أنظر بماذا علَّل النبیّ یوسف إمامته فی التدبیر لذلک النظام، قال: (إِنِّی حَفِیظٌ) ، یعنی الأمانه العامّه التی هی بدرجه العصمه، والتی تعنی العصمه العملیه فی درجاتها العالیه، والعلم یعنی العصمه العلمیه، وهذا الذی تذهب إلیه مدرسه أهل البیت علیهم السلام فی أنَّ الإمام یجب أن یتوفَّر فیه شرطا العصمه العلمیه والعصمه العملیه.

البشريه تعيش الآـن أزمه التنظير وتطبيق التنظير فى العصـمه العلميه، أزمه فى تنظير النظـام الاقتصادى العادل وأىّ نظام من النظم سواء النظام الرأسمالى أو النظام الشيوعى أو النظام الاشتراكى لم يؤمّن العداله الكامله، ولا زال التفاوت والفارق الطبقى الفاحش المجحف للبشريه موجوداً ومتمثّلاً ـ بـالفقر البشـرى، والنظـام المصـرفى الربوى لاـ زال يقصم ظهر البشـريه، فالبشـريه تحتاج إلى تزويدها علماً من السماء على مستوى التنظير، أى العصمه العلميه، والأمانه فى التطبيق، وهى العصمه العمليه.

وهنـا النبىّ يوسف عليه السـلام عنـدما يقول: (إِنِّى حَفِيـظٌ عَلِيمٌ) ، تُثـار حول قوله عـدّه تساؤلاـت: فهـل أنَّ علم النبىّ يوسف هو تجريبى كسبى، أم علمه لـدنّى؟ هل حفظ النبىّ يوسف عليه السـلام للأمانه فى التطبيق حفظ كسـبه من رياضه، أم هو حفظ نابع من عصـمته فى العمـل؟ قـال تعـالى: (لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ كَـذلِكَ لِنَصْـرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِـينَ) (يوسف: ۲۴)، إذن هـو مخلص من قبـل الله تعـالى توجـد فيه العصـمه العلميه والعمليه، وهـذا التعليم للنـبىّ يوسـف والتـدبير فى الأـرض بمـاذا يُعـبّر عنه النـبىّ يوسف؟ يقول: (إِنِّى حَفِيـظٌ) ، يعنى بمـا هو عليه من مسـتوى درجه الحفـظ والعلم، وهى العصـمه العمليه والعصـمه العلميه، هـذا الحفظ الخاص وهـذا العلم الخاصّ فى النبىّ يوسف هو الذى يؤهّله لإمامه الأرض ولإمامه البشـر، وكـذلك يقال: إنَّ القرآن معجز وفيه آيات للسائلين، هـذه سوره يوسف كما ابتـدأ صدرها بقوله تعالى: (لَقَدْ كانَ فِى يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ) (يوسف: ۷)، أىّ سؤال عقدى تطرحه على

سوره یوسف ستجد _ إن شاء الله _ أنت أیّها المسلم أیّها القارئ إجابه شافیه وافیه فیها، شریطه التدبّر، لا تقرأ القرآن بأهازیج فقط وتغفل التدبّر، حفظ معنی القرآن أعظم من حفظ لفظ القرآن، وإن کان حفظ لفظ القرآن ممدوحاً ومطلوباً، لکن ما هو أشدّ طلباً وأشدّ رجحاناً حفظ معنی القرآن، وحفظ بصائر القرآن.

(وَ کَذلِکَ مَکَّنّا لِیُوسُفَ فِی الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ وَ اللّهُ غالِبٌ عَلی أَمْرِهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النّاسِ لا یَعْلَمُونَ) (یوسف: ۲۱)، هذا بیان وافٍ من القرآن الکریم حیث مکّنه الله من القدره، أنظر کیف یتدرَّج القرآن فی تهیئه الأرضیه له مهما طال الزمن: مکرهم بیوسف، وإلقاؤه فی غیابت الجُبّ، ذلک المکر یجعله الله عز وجل تدبیراً فی وصوله إلی البشاره الموعوده من کونه مصلحاً ومنجیاً والذی بشَّر بها الله عز وجل النبیّ یوسف فی رؤیاه: (إِنِّی رَأَیْتُ أَحَدَ عَشَرَ کَوْکَباً ...)، فرغم کید الکائدین وحسد الحاسدین ومکر الماکرین یجعل الله مکرهم تدبیراً له ویوصله إلی الوعد الموعود، وهذه عبره من القرآن، لأن لا یفقد المؤمن والمسلم أمله بما وعد به القرآن، (لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) (التوبه: ۳۳)، فنحن نشاهد قوی عظمی متسلّطه فنقول: أیّ إمام وعد به رسول الله، وأیّ وعد وعدنا به القرآن الکریم بقوله عز وجل: (لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ) ونحن مغلوبون علی أمرنا؟! کلاَّ، لا بدَّ من بقاء هذا الأمر؛ لأنَّ الله غالب علی أمره، کما یبشّرنا بهذا الإمام الذی یقوم بإفشاء الصلح وإنشاء العدل والقسط (لیملأها قسطاً وعدلاً)، ویظهر دین جدّه.

نعم، یُمکّن الله له کما مکَّن لیوسف، وقد ضرب لنا القرآن مثلاً

وعظه ودرساً ليتّعظ بها المسلمون، (وَ لَأَجْرُ الْآخِرَهِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ*وَ جاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) (يوسف: ۵۷ و۵۸)، أنظر هذه المحطّه من سوره يوسف، يوسف عرف إخوته، لكنَّهم لا يعرفونه! أخوهم فى الصغر لا يعرفونه فى الكبر، إذا كان الحال فى إخوه يوسف هكذا إذ تعاطوا مع يوسف ودبَّر شؤونهم وتأثّروا به وأثَّر فيهم، وقام بدوره ومسؤوليته فلم يشعروا به، فهل هذا يعدم وجوده؟ كلاَّ فالقرآن الكريم ضرب لنا مثلاً عظيماً يريد به أن يبيّن لنا أنَّ أقرب المقرَّبين لذلك الحجّه الوليّ الغائب وهم إخوته قد رأوه فى صغره ولكنَّهم لم يعرفوه فى كبره، مثل عظيم جدَّاً يعرضه لنا القرآن الكريم، يقول: إنَّ إخوه يوسف كانوا عقلاء، كما جاء فى لسان صادق آل محمّد لبيان هذه العبره فى السوره، قال عليه السلام:

(إنَّ فى صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف... إنَّ إخوه يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلَّموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوته وهو أخوهم لم يعرفوه حتَّى عرَّفهم نفسه، وقال لهم: (أَنَا يُوسُفُ) ، فعرفوه حينئذٍ، فما تنكر هذه الأمّه المتحيّره أن يكون الله عز وجل يريد فى وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم، لقد كان يوسف النبىّ ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيره ثمانيه عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشاره تسعه أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّه أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، وأن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحبَ هذا الأمر يتردَّد بينهم، ويمشى فى

أسواقهم، ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتّى يأذن الله له أن يعرّفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته: (أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ) (يوسف: ۹۰)(۱).

إذن المهدى عليه السلام يتردَّد فيما بين الناس ويتصدّى للأحداث ولمصير البشريه ولا نعرفه حتّى يأذن الله له أن يعرّف نفسه لنا، كما أذن ليوسف أن يعرّف نفسه لإخوته.

تلك عِبَر، كلّ لقطه فى هذه الآيات القرآنيه تقول: إنَّ هناك عِظه وعبره بالدرجه الأولى عقائديه واعتقاديه، فتدبَّروا فيها.

الجهل بالغيبه على مستوى النظريه والتطبيق:

هذه المحطّه التى وصلنا إليها من ظاهره النبىّ يوسف عليه السلام وصلتنا بالعقيده بالإمام المهدى عليه السلام، وهى من أهمّ المحطّات فى تلك الظاهره، حيث إنَّ النبىّ يوسف رغم نبوّته ورسالته وإمامته وخلافته لله فى الأرض، وكونه الموعود المصلح المنقذ المنجى، إلاَّ أنَّ من كان يحيط به لم يكن يعرفه لا بنعت النبوّه ولا بنعت الرساله، ولا بنعت الإمامه ولا بنعت الخلافه، ولا بنعت الموعود والمصلح والمنقذ والمنجى للبشريه فى تلك الحقبه، حتَّى أنَّهم كانوا يجهلون تلك النعوت على مستوى النظريه ويجهلونها على مستوى التطبيق، يعنى لا يعرفون أنَّ هناك نبيّاً باسم يوسف، فضلاً عن أن يعرفوا أنَّ هذا الشخص الذى يتعاطى معهم ويدبّر عصب الحياه فى النظام البشرى آنذاك هو النبىّ يوسف، مع ذلك لم تبطل نبوّه النبىّ يوسف ولم تبطل حجّيته ولم يبطل

۱- (۱) الغيبه للنعمانى: ۱۶۷/ ح ۴.

دوره المضطلع به من المسؤوليه الإلهيه، وكان يتعاطى مع الأحداث المصيريه فى تاريخ النظام البشرى آنذاك ويتصدّى لها.

هذه وقفه قرآنيه تستحقّ النظر جلياً وإمعان الفكر كثيراً، ولا نتابع هذه القصص وهذه الأحداث إلاَّ بعبر، يجب على قارئ القرآن الكريم أن يستشف من عدسه ومجهر القرآن الكريم بأنَّه حينما يُسلّط الضوء على زاويه من زوايا حياه النبىّ يوسف يجد أنَّه قد يكون غائباً، ومع ذلك يقوم بدوره فى غيبته ولا تعرفه الناس لا على مستوى النظريه ولا على مستوى التطبيق، يعنى لا يعرفونه على مستوى الفكره ولا يعرفونه على مستوى التعاطى الخارجى، ومع ذلك لا تبطل مناصبه ولا يبطل دوره ولا تبطل حجّيته، ولا ينحسر الناس عن ثمار دوره، بل ينفعهم من حيث لا يشعرون، لذلك نرى القرآن الكريم فى بدء ظاهره النبىّ يوسف عند بدء غيبته عبَّر بهذا التعبير وذلك عندما جعلوه فى غيابت الجُبّ: (فَلَمّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِى غَيابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) (يوسف: ١٥)، يعنى هو يشعر بهم ولا يشعرون به، ومن ثَمَّ نصل إلى هذا المقطع من السوره بعد دهر طويل وأحداث جسيمه مرَّت فى حياه يوسف: (وَ جاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) (يوسف: ٥٨)، هو إذن يعرف الناس لكنَّهم لا يعرفونه، لكن هذا لا يوجب عدم التعاطى مع دور النبىّ يوسف، فقد كان فى صلب الحدث والتصدّى الفعلى وكان يتعاطى مع الناس ويرتبط بهم من دون أن يشعروا بهويه الذى يرتبطون به.

فلا انقطاع بين الناس وبين النبىّ يوسف فى غيبته، لأنَّها غيبه شعور

به، غیبه معرفه به، لا غیبه وجود، ولا غیبه دور، ولا غیبه التعاطی والارتباط معه، هذا هو المعنی الصحیح لغیبه الحجج وأولیاء الله تعالی، وهذا هو من أوّلیات البرنامج الأمنی الإلهی، وقد أصبح ذلک متّبعاً أیضاً حتّی فی البرامج الأمنیه لنظم الدول الحدیثه.

(وَ لَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ قالَ ائْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی الْکَیْلَ وَ أَنَا خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ) (یوسف: ۵۹)، أنظر کیف هو یعرف أمورهم وأحوالهم ومع ذلک هم لا یفطنون لذلک، هذا الحجاب من الله عز وجل حجاب العلم لا حجاب الوجود، الحجاب الذی یُضرب علی ولیّ الله الغائب، سواء النبیّ یوسف فی غیبته أو النبیّ موسی فی غیبته، لیس حجاب عدم رؤیه جسمه ووجوده ودوره، بل هو حجاب عن معرفته، وحجاب عن هویته، فهو حجاب العلم، وحجاب المعرفه، وحجاب الشعور، لا الاحتجاب عن أصل وجوده.

وقد یقع الکثیر فی هذا الخطأ وهو عدم التمییز والتفرقه بین الاحتجاب عن أصل وجوده أو الاحتجاب عن معرفه من هو الموجود ومن لدیه ذلک الدور الخطیر الذی یقوم ویضطلع بمسؤولیته.

اللقاء بین یوسف علیه السلام وأخیه:

(قالَ ائْتُونِی بِأَخٍ لَکُمْ مِنْ أَبِیکُمْ أَ لا تَرَوْنَ أَنِّی أُوفِی الْکَیْلَ وَ أَنَا خَیْرُ الْمُنْزِلِینَ) ، فانظر کم بلغ من الرتبه وموقعیه التأثیر وهو فی مقام من الفضل والرفعه البشریه ومع ذلک لا یعرفوه بهویته، (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِی بِهِ فَلا کَیْلَ لَکُمْ عِنْدِی وَ لا تَقْرَبُونِ*قالُوا سَنُراوِدُ عَنْهُ أَباهُ وَ إِنّا لَفاعِلُونَ) ، بعد ذلک یحدّثنا القرآن الکریم فیقول: (وَ قالَ لِفِتْیانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِی رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَعْرِفُونَها

إِذَا انْقَلَبُوا) (یوسف: ۶۲ ـ ۵۹)، أنظر إلی ذلک التدبیر، فإنَّه یوصل الخیر للبشر من دون أن یشعروا به، من دون أن یعرفوا ممَّن وصلهم، کما قیل: (أبی الله أن یجری الأمور إلاَّ بأسبابها)، و(إذا أراد الله شیئاً هیَّأ أسبابه)، فوصول الخیرات للناس له أسباب، وسُنّه الله اقتضت بأن تجری هذه الخیرات عبر الأسباب التی وضعها الله، ومن ضمن تلک الأسباب شبکه ولیّ الله فی غیبته، حیث یوصل الخیرات للناس عبرها من دون أن یشعروا ممَّن وصلهم هذا الخیر، مع أنَّ الرزق والخیر کلّه من الله، لکن الله جعل لتلک الخیرات ووصولها قنوات وأسباباً، کما جعل المطر والماء لإحیاء الأرض، (وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْ ءٍ حَیٍّ) (الأنبیاء: ۳۰)، فأصل الخیر کلّه من الله عز وجل، ولکن الله یجری الخیر علی أیدی أولیائه.

ثمّ یأتی قوله تعالی: (اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فِی رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَعْرِفُونَها إِذَا انْقَلَبُوا إِلی أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ*فَلَمّا رَجَعُوا إِلی أَبِیهِمْ قالُوا یا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الْکَیْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَکْتَلْ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ) (یوسف: ۶۲ و۶۳)، إلی أن جاذبوا أباهم یعقوب لأخذ شقیق یوسف من امّه، بعد ذلک توصیه النبیّ یعقوب بأن لا یدخلوا من باب واحد: (وَ قالَ یا بَنِیَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَهٍ وَ ما أُغْنِی عَنْکُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ شَیْ ءٍ إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ عَلَیْهِ فَلْیَتَوَکِّلِ الْمُتَوَکِّلُونَ) (یوسف: ۶۷)، ثمّ تواصل الآیات: (وَ لَمّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَخاهُ قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ) (یوسف: ۶۹)، قد یکون هنا نوع من رفع لستار الغیبه النسبی، یعنی قد یتشرَّف بعض المؤمنین بمن هو غائب، فالنبیّ یوسف کان غائباً عن أبیه وعن إخوته وعن کلّ أهل مصر وعن کلّ من یحیط به، وممَّن یأتمر

بتدبيره وقيادته، ولكنَّه رفع ستار الغيبه فقط عن أخيه، فتشرّف أخوه بعد رفع الستار عنه، وهذا ممَّا قد وقع طبعاً لجمله من علمائنا الأعلام والأبرار والأخيار الصالحين(۱).

معنى التشرّف برؤيه الإمام الغائب عليه السلام:

تتعرَّض الآيه القرآنيه فى سوره يوسف إلى ستار الغيبه للنبىّ يوسف باعتبار أنَّ موقعيه الموعود المصلح ومقامه فرض عليه أن يغيب حتَّى عن أبيه، ويختفى عنه اختفاء علم فى تلك البرهه من الغيبه، وقد أذن الله للنبىّ يوسف أن يشرّف أخاه بمعرفته فقط، ممَّا يدلُّ على أنَّ فى السُنّه الإلهيه يمكن أن يؤذن لولىّ الله وللإمام ولحجّه الله الغائب فى تعريف شخصه إلى البعض، قال تعالى: (وَ لَمّا دَخَلُوا عَلى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخاهُ) ، وهذا الإعلام بأنَّه يوسف الغائب الموعود وكونه المصلح المنجى المنقذ الذى كان من قِبَل النبىّ يوسف، إنَّما هو ممَّا أذن

۱- (۱) للإمام عليه السلام غيبتان: صغرى، وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّه أهل البيت عليهم السلام، أمَّا الغيبه الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفاره بينه وبين شيعته بوفاه السفراء الأربعه رضى الله عنهم وعدم نصب غيرهم، ففى هذه الفتره كان السفراء يرونه وربَّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته فى أمور شتّى. وقد رويت فى معنى ذلك روايات تضمَّنتها مصادرنا، كما أفردوا لذلك أبواباً، كما فى: (الكافى ۳۲۹ :۱/ باب فى تسميه من رآه/ ح ۱ - ۱۵؛ وكمال الدين: ۴۳۴/ باب ۴۳: ذكر من شاهد القائم عليه السلام ورآه وكلَّمه/ ح ۱ - ۲۶). وأمَّا الغيبه الكبرى فهى بعد الأولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى. وقد تشرَّف برؤيته لفيف من علمائنا الأبرار، أو من الصلحاء الثقات الذين بلغوا من الزهد والتقوى والسداد محلاً لا يحتمل فيهم عادةً تعمّد الكذب والخطأ، وقد ألّفت فى ذلك كتب أشهرها كتاب (جنّه المأوى فى ذكر من فاز بلقاء الحجّه عليه السلام) للعلاّمه الميرزا حسين النورى الطبرسى قدس سره.

الله له، ولم يكن بمعرفه سابقه، وإنَّما تشرّف، (قالَ إِنِّی أَنَا أَخُوکَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ) (یوسف: ۶۹).

وهذا التشرّف حصل لأخیه من دون بقیّه الناس، حتّی من دون النبیّ یعقوب علیه السلام.

هل یفید اللقاء بالإمام نوعاً من الحجّیه ؟

من الواضح التشرّف لبعض المؤمنین أو لبعض العلماء والصالحین لا یدوم، وإنَّما یکون مقدار لقاء وفتره وجیزه، فهل هذا بالنسبه إلی بقیّه الناس له مؤدّی اعتبار وحجّیه کأن یقوم بدعوی الوساطه مثلاً- بین ولیّ الله الغائب وبین بقیّه الناس؟ کلاَّ، فهذا الأمر منفی، یعنی لا حجّیه ولا موقعیه وساطه بین ولیّ الله الغائب وبین بقیّه البشر؛ لأنَّ سُنّه الله جرت، _ کما حدَّثتنا الآیات القرآنیه عن غیبه حجج الله وأکَّدت علیها روایات أهل البیت حول غیبه الإمام المهدی علیه السلام _ من نفی أیّ صلاحیه سفاره أو وساطه أو تمثیل أو نیابه خاصّه، لأنَّ هذه الغیبه ستارها الأمنی مستفحل، وهذه الوساطه من وإلی الحجّه لا یدّعیها إلاَّ مفترٍ کذّاب، لأنَّه لا یُخوّل لتلک الموقعیه أحد، لاسیّما بعد تصرّم الغیبه الصغری ودخولنا فی الغیبه الکبری إلی أن یأذن الله بالظهور، والآیات القرآنیه فی تجویز هذا التشرّف لیس نطاقها إلاَّ إمکان حصول التشرّف، أمَّا أن یکون للمتشرّف برؤیه الغائب دور الوساطه فهذا ممَّا لا تثبته الآیات القرآنیه، بل وینفیه متواتر روایات أهل البیت علیهم السلام فی أنَّ من ادّعی الرؤیه فی زمن الغیبه الکبری فهو کذّاب

مفتر(۱)، والمقصود من الرؤيه ليس أصل التشرّف المقصود؛ لأنَّ الـذى يـدّعى الرؤيه يريـد أن يدّعى الوساطه، ويريد أن يدّعى أنَّه جسر، أو أنَّه سفير، أو أنَّه نائب خاصّ، وما شابه ذلك. فهذه كلّها دعاوى وأكاذيب ليس أمامها إلَّا الأدلّه المبطله لها.

بعد ذلك تتابع الآيات الكريمه فى ظاهره النبىّ يوسف: (فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَهَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ) (يوسف: ۷۰)، وهنا محطّه لطيفه أخرى أيضاً: (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ* قالُوا وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ما ذا تَفْقِدُونَ* قالُوا نَفْقِدُ صُواعَ الْمَلِكِ وَ لِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ* قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِى الْأَرْضِ وَ ما كُنّا سارِقِينَ* قالُوا فَما جَزاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ* قالُوا جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجْزِى الظّالِمِينَ* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَها مِنْ وِعاءِ أَخِيهِ كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ) (يوسف: ۷۶ _ ۷۰).

أنظر كيف يكرّر القرآن المرّه بعد الأخرى الإشاره إلى التدبير الأمنى الذى يودعه الله لوليّه الغائب والذى هو أرقى من تدبير نظم البشر، فقد تكون تلك النظم فائقه القدره أمنياً وتدبيرياً وإدارياً وإحاطه

۱- (۱) لمَّا دنا أجل السفير الرابع الشيخ على بن محمّد السمرى قدس سره، قيل له: إلى من توصى؟ فأخرج لهم توقيعاً نسخته: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنَّك ميّت ما بينك وبين ستّه أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبه الثانيه فلا ظهور إلَّا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوه القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى شيعتى من يدّعى المشاهده، ألا فمن ادّعى المشاهده قبل خروج السفيانى والصيحه فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوّه إلَّا بالله العلى العظيم). (كمال الدين: ۵۱۶؛ الاحتجاج ۲۹۷ :۲).

بالمعلومات وبالأحداث وبتداعياته، إلّا أنّها تبقى دون مستوى التدبير الإلهى، هذا ما يؤكّده القرآن، حيث يسدّد الله عز وجل وليّه الغائب فى اضطلاعه بالمسؤوليه وضمان حراسه تدبيره وأدائه لمسؤوليه الحجّه، ليكون مصلحاً ومنقذاً للبشريه فى غيبته وفى ظهوره، فالتدبير الإلهى نافذ ثابت لا تصل إليه علميه البشر ولا إحاطتهم، لذلك يُعبّر القرآن الكريم: (كَذلِكَ كِدْنا لِيُوسُفَ ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف: ٧۶).

إذن لا يمكن التساؤل أنّه كيف يقوم إمام غائب بأدواره ونحن لا نلمسها؟ فهاهى القوى العظمى مع امتلاكها أحدث التقنيات من أقمار صناعيه وأشعه فوق البنفسجيه، تحت الحمراء وأجهزه تجسّس وتنصّت وشبكات من الغرف والدوائر الأمنيه المافيويه العجيبه الداهيه الدهياء لا تعرف أين موطنه ولا تقف على وجوده.

وقوله عز وجل: (نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف: ٧۶)، أى إنَّ الله تعالى يرفعه فى درجه التدبير وفى درجه الإداره وفى درجه الحيطه الأمنيه، بحيث لا تصل إليه البشريه، فهى أنظمه فائقه على قدرات وتصوّر وتطوّر البشر.

الإنسان عندما يجهل شيئاً عليه أن يقف ويفحص ويتدبَّر، لا أنَّ ينكر ما لا يعلم، وخصيصه المكذّب أنَّه يبنى على أنَّ الحقائق هى بقدر علمه، وأنَّ كلَّ شىء تخطّى دائره علمه فهو باطل، والحال أنَّ أكثر الحقّ فى ما يجهله الناس وما ينكرونه، فإنَّ ما لا يعلم الناس بالقياس إلى ما يعلمونه أكثر، بل لا نسبه هناك حتَّى ننسب ما يجهلون بالإضافه إلى ما يعلمون.

هنا القرآن الكريم يؤكّد على أنَّ درجات العلم لا تقف عند حدّ، وأنَّ ما لا يعلمه الناس لا يُسوغ لهم إنكاره، كيف والله عز وجل عنده ما لا يتناهى مع درجه العلم والتدبير والنظم، كيف ينكرون ويكذّبون ما يجهلون، شأنهم شأن من كان قبلهم من الأمم السابقه من إنكار أنبيائهم، والحال أنَّ الإنسان يجب عليه أن يتثبَّت عندما لا يعلم بشيء، فهناك نظم وتدبيرات أمنيه واقتصاديه وإداريه وقياديه لإداره البشر من دون أن تصل إليها قافله العلم البشرى، لكن مع ذلك يزوّد الله بها أولياءه.

عرض الأعمال على ولىّ الله:

قال تعالى: (قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِها لَهُمْ قالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ) (يوسف: ۷۷)، إذن يتفاعل ولىّ الله الغائب فى غيبته وحجّته ودوره محورى مع الأمور والأحداث، يصله ما يحزنه وما يفرحه، لا أنَّه قاصى متفرّج لا يتفاعل مع الأحداث ولا يتأثّر بها سلباً وإيجاباً، فقد ورد الخبر بأنَّ أعمالنا تُعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحزنه إذا رآى اقتراف الطالح منها، ويسرّه إذا رأى الصالح منها(۱)، فكيف بولىّ الله الحىّ، أى فى دار الدنيا، وإلاَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حىّ عند ربّه، فالحال هنا كذلك.

۱- (۱) روى سماعه عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (ما لكم تسوؤن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!)، فقال له رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: (أمَا تعلمون أنَّ أعمالكم تُعرض عليه، فإذا رأى فيها معصيه ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسرّوه). (الكافى ۲۱۹ :۱/ باب عرض الأعمال على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّه عليهم السلام/ ح ۳). وعن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: (حياتى خير لكم تحدّثون ونحدّث لكم، ومماتى خير لكم تعرض علىَّ أعمالكم فإن رأيت حسناً جميلاً حمدت الله على ذلك، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم). (بصائر الدرجات: ۴۶۴/ باب ۱۳/ ح ۴).

وقوله تعالى: (فَأَسَرَّها يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ) ، إى إنَّ نبيّ الله ووليّ الله الإمام والخليفه فى غيبته يتفاعل مع الأحداث، يتأثّر ويؤثّر، لا أنَّه نائى غارب عازب عن الأمور، حاشا لوليّ الله أن يكون كذلك.

الغيبه والتدبير الإلهى:

بما أنَّ تدبير الله عز وجل يفوق تدبير البشر، حيث إنَّه تعالى يزوّد البشر بالعلم والإحساس والشعور والإدراك، فخالق الإدراك والإحساس والشعور يحيط بتلك الأمور بما لا تحيطه يد البشر، ومن هذا المنطلق فإنَّ التدبير الإلهى ومن خلال رجال الغيب يقوم بإصلاح وإداره البشر فى ظلّ ستار غيبه الشعور بهم وستار حجاب العلم بهم من دون أن يكون هناك ستار عن أصل وجود الحاضر، فالإمام يتعاطى الحدث وإداره وتدبير البشر والنظام البشرى، وهو معنا من دون علم أو معرفه به لكن بهويته وبكيفيه دوره، هذا الأمر يؤكّد عليه القرآن دائماً كما مرَّ بنا فى سوره القصص وسور أخرى حول ظاهره النبيّ موسى، وكذلك فى سوره النبيّ يوسف (وَ كَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ اللّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (يوسف: ٢١)، فأكثر الناس لا يعلمون بكيفيه غلبه الله فى تدبير الأمور ويقيسون قدره الله بقدرتهم، أو قدرتهم بقدره الله، ومن ثَمَّ يجهلون، ومن ثَمَّ ينكرون، ومن ثَمَّ يكذّبون بآيات الله وبحججه، وهذا أمر يجب أن يتوقَّف عنده المسلمون وأن لا يسارعوا إلى الإنكار بمجرَّد إثاره بعض الجاهلين لقدرات الله وآياته.

بعد ذلك تواصل سوره يوسف قصّ حدث غيبه النبيّ يوسف عندما استخلص أخاه، وأذن فى أن يتعرَّف عليه دون بقيّه الناس حتَّى أبيه النبيّ يعقوب، (مَعاذَ اللّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنّا إِذاً لَظالِمُونَ*فَلَمَّا

اِسْتَيْأَسُوا) ، أى إخوه يوسف من أخذ أخيهم الذى كان معهم، الذى هو شقيق يوسف (خَلَصُوا نَجِيًّا قالَ كَبِيرُهُمْ أَ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللّهِ وَ مِنْ قَبْلُ ما فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ*اِرْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَ ما شَهِدْنا إِلاّ بِما عَلِمْنا وَ ما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ*وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنّا فِيها وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَ إِنّا لَصادِقُونَ*قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف: ۸۳ ـ ۷۹)، أنظر هذا المقطع فى ظاهره غيبه النبىّ يوسف الذى يسجّله لنا القرآن الكريم فى موقف النبىّ يعقوب، وهو أنَّ النبىّ يعقوب لم ييأس من روح الله، عن ظهور المصلح المنجى المنقذ الموعود وهو ابنه، رغم طول الغيبه، رغم يأس إخوته وذويه وأهله، ويأس الناس ممَّن يعرفونه فضلاً عمَّن لم يعرفه ويجهل أمره، أنَّه سيظهر ويكون له موقعيه الإصلاح فى الأرض فى تلك الحقبه الزمنيه، فهذا درس اعتقادى وعقدى يسطّره لنا القرآن الكريم بأنَّه مهما طالت غيبه وليّ الله المصلح الموعود لإنقاذ البشريه لا يدعو ذلك المؤمن والمسلم لليأس من روح الله (إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) (يوسف: ۸۷)، (قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*وَ تَوَلّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ) (يوسف: ۸۳ و۸۴)، بعد ذلك فى آيه أخرى يقول: (يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) (يوسف: ۸۷).

طول الغيبه مدعاه لليأس عند ضعاف القلوب:

فى هذه السوره محطّه أخرى مهمّه وهى أنَّ تطاول غيبه وليّ الله الموعود بالبشاره لكونه مصلحاً ومنقذاً للبشريه، هذا التطاول فى الغيبه مدعاه لليسأس عند ضعاف الإيمان أو ضعاف العقول التى لا تدرك مدى قدره الله، ولا تستيقن

بحقيقه المعرفه والإدراك من أنَّ الله غالب على أمره مهما تطاولت الدهور والعصور، فيحصل لهم اليأس، لذا تؤكّد هذه الآيه أنَّه من عظائم الإيمان الانتظار والأمل بمجيء الفرج، لأنَّ اليأس من روح الله جعل فى لسان هذه الآيه على لسان النبىّ يعقوب فى مصاف الكافرين، فإذن تطاول المدّه لا يعنى بأنَّ الله عز وجل فى تدبيره على يد وليّه الغائب جعل الأمور أو الحبل على الغارب، بل كلَّما كان هنالك تدبير كانت هناك خطوات متناسقه متّسقه لا يطلع الله عباده على تدبيره ولا على تنسيقه، ونحن نشاهد فى هذه الأزمنه الآن أنَّ البشريه ترفع وتنادى بشعارات وأدبيات لا تنسجم مع الإنجيل المحرّف، ولا تنسجم مع التوراه المحرَّفه، ولا تنسجم مع البوذيه ولا تنسجم مع الفلسفه المادّيه الرأسماليه، وإنَّما تنسجم مع أدبيات وعقائد الإسلام، لاسيّما من رؤيه مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فالنظام العالمى الواحد يعنى أنَّ البشريه تتساوى فى الحقوق، وأنَّ العداله يجب أن تعمّ البشر، وأنَّ الحرّيه يجب أن تكون عميمه فى سائر أرجاء الأرض و...، وهذه فى الواقع ثوابت العقيده المهدويه أصلاً، والرؤيه والعقيده بالإمام المهدى أنَّه يؤسّس نظاماً عالمياً واحداً تستوى فيه حقوق الناس لا يحكمه العرق ولا القوميه ولا أىّ شىء آخر يكون موجباً للتفريق بين البشر (يملأها قسطاً وعدلاً)، أنظر هذه الأدبيه، فهى من أربعه عشر قرناً يردّدها المسلمون فى رواياتهم حول المهدى عليه السلام.

وحتَّى الدول الغربيه التى لو راجعنا فلسفاتهم فى الإنجيل المحرّف أو التوراه المحرّفه، تلك الأدبيات التى لا تنسجم ولا تتناغم حتَّى مع أعرافهم التى هم يتعايشون ويبنون عليها أعرافاً قانونيه لا تتناغم مع هذه الشعارات التى تطلق الآن، وهى جذّابه أخّاذه بقلوب البشر وبكلّ

الجوامع والمجتمعات البشريه. إنَّما هذه فی الواقع رؤی وأدبیات العقیده المهدویه، فهناک حلقات یدیرها الله عز وجل تتری ویتلو بعضها البعض، وهذه محطّه مهمّه تدعونا إلی التوقّف عندها، ومن ثَمَّ ورد عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أنَّ: (انتظار الفرج من الفرج)(۱)، و(أفضل أعمال أمّتی انتظار الفرج من الله عز وجل)(۲)، لماذا؟ لأنَّ انتظار الفرج یحمل فی طیّاته تمام الاعتقاد بقدره الله عز وجل وبغابر تدبیره وثاقب أمره، ونافذ قضائه الذی لا یحیط به البشر، فی الحقیقه یعنی نوعاً من التعایش التوحیدی لقدره الله تعالی، أمَّا الذی یکذّب وینکر تدبیر وجود ولیّ الله علیه السلام وأنَّه فی کبد الحدث والتصدّی لهذه الأدوار، وأنَّ الله سیظهره فی حلقه نهائیه، فهو انقطاع عن الحاله التوحیدیه بالدرجه المشبعه التی یتعایش بها قلب الإنسان.

إنَّ الإنسان إذا استطاع أن یتعایش مع جوّ توحیدی مفعم کما تعبّر عنه وتربّینا علیه هذه الآیات الکریمه فی ظاهره غیبه النبیّ یوسف، کقوله تعالی: (فَصَبْرٌ جَمِیلٌ عَسَی اللّهُ أَنْ یَأْتِیَنِی بِهِمْ جَمِیعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ) (یوسف: ۸۳)، وقوله: (إِنَّما أَشْکُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ*یا بَنِیَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ یُوسُفَ وَ أَخِیهِ وَ لا تَیْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لا یَیْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْکافِرُونَ) (یوسف: ۸۶ و۸۷)، فالصبر تاره یکون جمیلاً وتاره یکون غیر جمیل، الصبر الجمیل الذی یکون مع وقار وطمأنینه واستبشار، ولربَّما هناک صبر مع معان اخر، فرغم غیبته وطولها إلاَّ أنَّه موعود بالبشاره.

۱- (۱) الغیبه للطوسی: ۴۵۹/ ح ۴۷۱.

۲- (۲) کمال الدین: ۶۴۴/ باب ۵۵/ ح ۳.

فهـذه محطّه مهمّه توجب على الأـمّه أن لا تيأس ولا يصـيبها الهوان إذا غاب عنها وليّها، بل مهما طالت غيبه حجـج الله المبشّرين بأنّهم سيكونون المصلحين والمنقذين للبشر، لأنَّ غيبتهم غيبه الشعور بهم، غيبه المعرفه بهم، سواء قصرت هذه الغيبه أم طالت فلا بدَّ أن يأتى ذلك اليوم الذى يأخذ به الأولياء المغيَّبون دورهم الطبيعى العلنى وبشكل شامل يعمّ البشريه.

هـذه وقفه مهمّه فى غيبه النبىّ يوسف يعظنـا بهـا القرآن الكريم، وهى غيبه عقائـديه وممارسه أخلاقيه وأدبيه هامّه جـدًّا، وأيضـاً الآيـات الأـخرى، يقول تعـالى: (وَ تَوَلّى عَنْهُمْ وَ قـالَ يـا أَسَـفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ*قالُوا تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَـذْكُرُ يُوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَرَضـاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ) (يوسف: ۸۴ و۸۵)، يخاطبون يعقوب ألا زلت إلى الآن تـذكر يوسـف الموعود؟ إلى الآـن متعلّق قلبـك بهـذا الغـائب المبشّـر بـأن يكون مصـلحاً وموعوداً وممكّنـاً فى الأرض؟ إلى الآن مع طول هـذه المـدّه؟ هـذا أمر مهمّ يجب أن نلتفت إليه، حيث قصَّ لنـا القرآن الكريم موقف النبىّ يعقوب: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَـى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعـاً) ، (يـا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) ، كما يعلّمنا النبىّ يعقوب عليه السـلام وظيفه المؤمن تجاه حجّه الله الغائب، وولىّ الله الموعود بأنَّه المصـلح المنقـذ للبشـريه، لا بدَّ أن تكون هنـاك شـدّه تعلّق وشـدّه تـذكّر وشـدّه نـدبه للحقّ والإيمـان؛ لأنَّ هـذا الإيمان بولىّ الله الغائب ومعرفتنا به لا يبقى ولا يسـتمرّ إلاَّـ فى ظلّ التشديـد والتركيز من التعلّق والأمل، لـذلك نرى هنا الآيات الكريمه تركّز على هـذه النقطه من مواقف النبىّ يعقوب عليه السلام فى ظلّ غيبه النبىّ يوسف، وهنا يعلّمنا القرآن الكريم الموقف تجاه ولىّ الله الغائب

ومعرفتنا به، الغائب شعورنا به وبهويته، أنَّه لا يدعونَّكم ذلك إلى الانقطاع والفتور عن ذكره والتعلّق به والدعاء له بالفرج، فلا بدَّ من كلّ ذلك، فقد ورد عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام دعاء الندبه الذى يستحبّ قراءته كلّ جمعه، بل كلّ عيد، بل كلّ يوم، لماذا؟ لأنَّ الندبه دعاء وشكوى وتعلّق. وإذا كان لكلّ إمام من الأئمّه عليهم السلام مجلس عزاء لما انتابه من مصائب وقتل وظلم وتشريد وأنواع المصائب، فإنَّ مجلس مصاب الحجّه عليه السلام هو شدّه معاناه الغيبه، فدعاء الندبه يحمل عدّه معانٍ فى طيّاته، فهو مجلس عزاء لهذه المصائب التى ابتلى بها إمامنا المهدى الحجّه ابن الحسن عليه السلام، فيجب أن نقيم مثل هذا العزاء فى الواقع.

أوَلا نرى ماذا يحدّثنا القرآن الكريم وكيف يربّينا على التعلّق بمن نعتقد ونؤمن به، إذ لا تخلو الأرض من خليفه لله، بنصّ القرآن الكريم حيث يقول: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (آل عمران: ٧)، وأهل البيت هم الراسخون فى العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب، وهم قرناء القرآن دائماً وأبداً بنصّ قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعه: ٧٩ ـ ٧٧)، وهم المطهَّرون لقوله تعالى: (إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣)، فإذن أهل البيت مقرونون بالقرآن، ولا بدَّ من وجود فرد منهم مع البشريه إلى يوم القيامه ويبقى ما بقى القرآن الكريم.

فالاعتقاد بهذه الحقائق والعقائد القرآنيه لا بدَّ أن يرتسم ويتجسَّد فى سلوكنا، وذلك من خلال التعاطى مع هذه الحقائق الإيمانيه القرآنيه من وجود خليفه لله فى الأرض على مرّ الزمان من بدء الخليقه إلى منتهاها يُزوّد بالعلم اللدنّى وهو علم الأسماء، وكثير ممَّا تطالعنا به الآيات القرآنيه (إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ

وَ لِكَلِّ قَوْمٍ هادٍ) (الرعد: ٧)، فلكلّ قوم هادٍ من الله يهديهم، (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ*صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحه: ۶ و٧)، أولئك هم الهداه المبعوثون المنصوبون من قِبَل الله تعالى لهدايه البشريه، هذه حقائق وعقائد قرآنيه لا نتخلّى عنها، بل نستمسك بها، وهى فى أهل بيت نبيّه الذين طهَّرهم وجعلهم قرناء فى سوره الواقعه مع الكتاب المكنون: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) ، هذه العقائد كيف تترجم فى سلوكنا العملى؟ يعلمنا القرآن الكريم هنا ما قام به النبىّ يعقوب تجاه النبىّ يوسف الغائب: (قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ) ، يظهر التحسّر، كما نقرأ فى دعاء الندبه من إظهار الشكوى وإظهار التأسف:

(هل قذيت عين فساعدتها عينى على القذى ، هل إليك يا ابن أحمد سبيل فتلقى)، أنظر هذه التربيه من مدرسه أهل البيت عليهم السلام، هى سُنّه من القرآن الكريم، من النبىّ يعقوب تجاه النبىّ يوسف، هذه السنن الإلهيه (لَقَدْ كانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبابِ) للمؤمنين وليس للمكذّبين اليائسين القانطين من قدره الله ومن روح الله، سنن إلهيه نتَّعظ بها ونتدبّرها، (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) (محمّد: ٢۴)، (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر: ١٧)، أنظر إلى موقف النبىّ يعقوب المؤمن بوعد الله وبإنجاز ذلك الوعد فى المصلح، لا يُحبِط من إيمانه استهزاءُ المستهزئين، ولا يضعف من يقينه ولا من أمله تكذيبُ المكذّبين واستهزائهم، (وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) (يوسف: ٨۴)، لاحظ هنا التشوّق إلى أن عميت عيناه.

الغريب أنَّ البعض يأخذ علينا إظهارنا لمودّه أهل البيت والعزاء على مصائبهم، ويتناسون أنَّ القرآن أمرنا بهذه الفريضه العظيمه: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى) (الشورى: ٢٣)، وفسَّر القرآن

الكريم المودّه فى سوره التوبه بأنّها فى مقابل العداوه، لتعرف الأشياء بأضدادها، فعندما يفسّر العداوه يكون القرآن قد فسّر لنا المودّه، (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ يَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ) (التوبه: ۵۰)، فإذا كان يعادى النبىّ وأهل بيته فهو يفرح عند مصابهم، ويستاء عندما تصيبهم حسنه.

فالمودّه هى: (يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)(۱)، وهذه فريضه عظيمه قد أمرنا بها القرآن الكريم، فانظر مودّه النبىّ يعقوب للغائب ابنه الذى هو الموعود المُنجى للبشر، حيث بلغ منه الحزن والتعلّق والتشوّق إلى ولىّ الله إلى أن تبيضّ عيناه ويعمى. فهل نستكثر البكاء والرثاء على سيّد الشهداء عليه السلام سبط المصطفى وريحانه النبىّ وسيّد شباب أهل الجنّه، أو نستكثر عليه اللطم وإظهار الجزع!؟ فهذا النبىّ يعقوب هكذا فعل بنفسه تجاه ولده، وهم كذلك يستكثرون علينا أن نتعلّق بشدّه بالإمام المهدى وإظهار الندبه والحزن لفقده، فمع علم يعقوب بأنّ ابنه الغائب يقوم بتلك الأمور والأدوار المفصليه فى نظام البشر، إلّا أنّه قال: (يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) ، ولكنّ المستهزئين والمهرّجين قالوا: (تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ) ، يعنى أنت إلى الآن متعلّق به! إلى الآن مؤمن به! إلى الآن لك أمل به! (حَتّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ*قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّى وَ حُزْنِى إِلَى اللّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) ، أعلم من الله بأنّ هذا الوعد بعلم من الله، ورؤيا الأنبياء وحى، والوحى من الله لا يكذب ولا يكذّب أنبياءه، (يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ) .

فهذا موقف مهمّ لوظائف المؤمنين بحجّه الله الغائب فى زمن

۱- (۱) بحار الأنوار ۲۷۸ :۴۴.

الغیبه، أن لا یضعف إیمانهم ولا یضعف تعلّقهم ما داموا علی برهان وبیّنه من ربّهم، وأنَّ هذا الأمر وهذا التعلّق وهذا الانشداد إلی ولیّهم الغائب لا یؤثّر فیه استهزاء المستهزئین أو تهریج المکذّبین الذین لا یعون آیات الله وبیّناته وحقائقه القرآنیه.

دروس تربویه من سوره یوسف:

النبیّ یعقوب علیه السلام کان أمله وطیداً وشدیداً، وذلک لیقینه بروح الله وبقدرته وأنَّه لا یخلف وعده.

هذه کلّها دروس فی إثبات انتظار الفرج، وأنَّ انتظار الفرج أفضل أعمال هذه الأمّه کما ورد فی الحدیث النبوی، وأیضاً نلاحظ هناک درساً تربویاً آخر یذکره القرآن الکریم فی مواقف النبیّ یعقوب، ألا وهو شدّه تعلّقه وانشداده بابنه الغائب الموعود بکونه المصلح المنجی المنقذ للبشریه، فمن شدّه تعلّقه به أن وصل به الأمر إلی کثره البکاء، وکثره البکاء جرَّت إلی ابیضاض العین وهو عمی العین، ممَّا یدلّل علی أنَّه یُفتدی فی حبّ الأولیاء والحجج، ویُسترخَص فی سبیل الفضیله کلّ غالٍ ونفیس.

بل ویعظم ویکرم من شأنه أن یبذل فی سبیل الفضیله، فکیف بمن حثَّ الله علی مودّتهم وهم قربی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وجعَلَها عدل أجر الرساله کما مرَّت بنا الآیه الکریمه، ممَّا یدلّل علی أنَّ هذه الشدّه من التعلّق مؤکّده وموطّد لها کما فی سنن الأنبیاء هو هذا التعلّق من النبیّ یعقوب بالنبیّ یوسف لیس تعلّقاً لمجرَّد قدره الخیال ومراحل الواهمه أو إسطوریه الخیال وما شابه ذلک، بل هذه عبر وسنن أرادها الله عز وجل أن

يستنّ بها الآخرون، إذ هو أن نقتدى بها من النبىّ يعقوب فى كيفيه تعلّقه وحبّه بالولىّ الغائب الموعود وهو ولىّ الله وحجّته فى ذلك الزمن وفى تلك الحقبه لإنجاء البشريه، وهذا درس تربوى، وهو أنَّ هذا الإنشداد ولو بلغ إلى ابيضاض العين فهو محمود وهذه فضيله وهذه مكرمه وكرامه، فكيف بالمودّه التى قد أعظم الله فى بيانها حيث جعلها عدل الرساله التى فيها التوحيد وفيها النبوّه وفيها المعاد وفيها أصول الدين حيث جعلها فى كفّه وجعل مودّه أهل البيت عليهم السلام فى كفّه.

وهذا بيان وتعظيم كبير للمودّه، فهى فريضه لا تعدلها بقيّه الفرائض بعد التوحيد والنبوه والمعاد، فريضه المودّه لذى القربى وهم أهل البيت، وهذا نوع من التشديد فى بيانها وفى اقترانها، وقد بيَّن القرآن أنَّ من شواكل المودّه اشتدادها، كالذى جرى بين النبىّ يعقوب والنبىّ يوسف، فإنَّ من يريد أن يفهم سنن الله فى أنبيائه والعبر التى يوحى بها القرآن الكريم ليعلم بأنَّ هذا الدرب محمود العاقبه رفيع الفضيله وهو الذى أوصى به القرآن الكريم، فليس عليه من ذمّ الذامّين أو شنئ الحاقدين والمبغضين بعد ذلك من غضاضه، وهذه الوظيفه فى الواقع هى التعلّق بالإمام المهدى الغائب عليه السلام، كيف لا وهو آخر العتره من ذوى القربى، المأمورون نحن بمودّتهم وبالتعلّق بهم والاعتقاد بهم.

الظهور بعد الغيبه للنبىّ يوسف عليه السلام:

بعد ذلك تتواصل ظاهره النبىّ يوسف، قال تعالى: (فَلَمّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنا بِبِضاعَهٍ مُزْجاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنا إِنَّ اللّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ*قالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ*قالُوا أَ إِنَّكَ

لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ۹۰ ـ ۸۸)، هذه المحطّه من ظاهره النبیّ یوسف التی هی نهایه الغیبه وبدایه الظهور المعلن واکبت مرفقاً مهمّاً جری بین النبیّ یوسف وإخوته والملأ العامّ، حیث إنَّ النبیّ یوسف استهلَّ ظهوره وابتدأه بتذکیر إخوته بالذی جری منهم من قبل، هذا التعبیر یشاکل ما ورد فی الروایات عن ظهور المهدی علیه السلام، حیث یذکّر الأمّه بما قد جری علی سیّد الشهداء وما جری علی أهل البیت علیهم السلام من ظلامات وجرائم ونهب حقوق وجرأه علی مقامهم ودفعهم عن المقامات التی رتَّبها الله لهم، واستعراض لمصائب وظلامات أهل البیت علیهم السلام(۱).

هذا الواقع یسطّره لنا القرآن الکریم عن یوسف وعن الإمام المهدی، وما ورد فی الروایات هو نوع من بیان أنَّ الاستحقاقات تستوفی فی ظلّ ظهور المصلح المنجی المنقذ.

(قالُوا أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ) ، فهم لم یکونوا لیعرفوا أنَّه یوسف، رغم تعاطیهم معه ومداوله الحدیث معه وتأثّرهم بتدبیره ودوره العصیب الخطیر المهمّ، ومع ذلک لم یکونوا لیعرفوه لولا أن عرَّفهم هو بنفسه وبشخصیته وهویته، فکانت غیبه ظهور لشخصیته، غیبه ظهور لهویته، بالنسبه إلیهم هو حاضر بین أیدیهم یمارس دوره، لکنَّهم لم یکونوا یعرفونه، فهویته لهم کانت غائبه.

نلاحظ أنَّهم ابتدأوا: (أَ إِنَّکَ لَأَنْتَ یُوسُفُ قالَ أَنَا یُوسُفُ) ، فإنَّ بداهه حضور النبیّ یوسف الغائب علیهم أکثر بیاناً ووضوحاً وبداهه لهم ممَّا یحملونه من

۱- (۱) راجع ما ورد من حدیث الإمام الصادق علیه السلام للمفضَّل بن عمر، بطوله فی: مختصر بصائر الدرجات: ۱۷۹ - ۱۸۳؛ بحار الأنوار ۱۴ :۵۳.

مرتکزات سابقه، ممَّا یدلّل علی أنَّ مثل هذه الغیبه فی الحضور هی بنحو واضح بیّن فاعل مع کلّ الأمور، غایه الأمر تطبیقهم لمن هو حاضر لهم ومتفاعل معهم وهم متفاعلون مع ما یحملونه من اعتقاد نظری، هذا الانفراج بالمعرفه لا یحصل إلَّا عند الظهور، فهنا وصل المطاف إلی إعلان ظهور النبیّ یوسف علیه السلام، وظهوره کما نشاهده تدریجی، حیث إنَّ أوّل ما بدأ ظهور النبیّ یوسف کان فی دائره إخوته الحاضرین من الملأ من البشر عنده فی مصر، ثمّ بعد ذلک تنامی هذا الظهور وتسامع به الناس ومن ثَمَّ أبوه النبیّ یعقوب، وهذا یدلُّ علی أنَّ الغیبه کما کانت فی النبیّ یوسف تدریجیه کذلک یکون ظهوره تدریجیاً، وهنا جاء تعبیر النبیّ یوسف علیه السلام فی الصبر علی طول مدّه الاضطهاد فإنَّ أجره عند الله تعالی لن یضیع، (إِنَّهُ مَنْ یَتَّقِ وَ یَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ*قالُوا تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَکَ اللّهُ عَلَیْنا وَ إِنْ کُنّا لَخاطِئِینَ*قالَ لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ) (یوسف: ۹۲ _ ۹۰)، وهذا ما قد قاله سیّد الرسل عندما فتح مکّه، نعم کان منه الصفح والعفو، وهذا ما سیکون علیه الإمام المهدی علیه السلام إذ یسیر بسیره جدّه المصطفی فی العفو، ومن أصرَّ من الأعداء المعاندین فی اللجاج والخصومه فتکون سیرته معهم بشکل آخر، وإلَّا فالأصل فی سیره المهدی علیه السلام أنَّه یسیر بسیره جدّه المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم، وإن کان قد ورد أنَّ المصطفی بُعث رحمه والمهدی بُعث نقمه(۱)، فالمقصود من ذلک أنَّه یسیر بسیره جدّه یعفو ویصفح، لکن من یرکب رأسه اللجاج والعناد ینتقم منه ولا یکون له مهله کما قد کان فی عهد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم.

۱- (۱) من ذلک ما ورد فی الروایه عن أبی عبد الله علیه السلام، قال: (إذا تمنّی أحدکم القائم فلیتمنّه فی عافیه، فإنَّ الله بعث محمّداً صلی الله علیه وآله وسلم رحمه، ویبعث القائم نقمه). (الکافی ۲۳۳ :۸/ ح ۳۰۶).

الأسباب الملكوتيه:

قال تعالى: (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) (يوسف: ۹۳)، يبيّن القرآن الكريم هنا أيضاً أنَّ النبيّ يوسف وأولياء الله يقومون بتدبير أدوارهم فى جمله من المواقع بالأسباب الطبيعيه، لكنَّه بتدبير نظمى ربّانى يفوق وعى البشر وعلمهم، ولكنَّه بأسباب طبيعيه وبأسباب مجريات كما قيل: (أبى الله أن يجرى الأمور إلاَّ بأسبابها)، ولكن لهم أيضاً فى جمله تدبيرهم من الأسباب الخفيه أو ربَّما يطلق عليها بأسباب الملكوت، فهنا ليست بمقام الإعجاز أو فى مقام الاحتجاج، بل هى كرامه، لكنَّها كرامه تدبيريه فى أدوار النبيّ يوسف خارجه عن ظاهر الأسباب الطبيعيه.

(وَ لَمّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لا أَنْ تُفَنِّدُونِ) (يوسف: ۹۴)، يستعظم أكثر من يخلد إلى الحسّ وسجن الحسّ وأصاله الحسّ والماده مثل هذه الظواهر أو يتنكَّر لمثل هذه الموارد، وربَّما يصعب عليه الإذعان بها، (قالُوا تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ*فَلَمّا أَنْ جاءَ) (يوسف: ۹۵ و۹۶)، لاحظ أنَّه لا زال الذين يستهزئون بالانتظار للفرج فى خصومتهم ومشادتهم ومواجهتهم لعقيده الانتظار للفرج التى كان رسَّخها وسنَّها النبيّ يعقوب، عقيده الانتظار والأمل بوليّ الله المصلح الغائب ظهوراً وليس الغائب حضوراً، فهم يعتبرونه ضلالاً، وهذه دروس قرآنيه عظيمه تعطى للمؤمنين. مفادها أنَّ رغم استهزاء وتهريج المكذّبين والمنكرين لآيات الله ولحقائق القرآن فى وجود المصلح المنقذ المنجى للبشريه الذى (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) ، هذا الوعد الإلهى والإيمان به لا يزلزله ذلك التهريج وذلك الاستنكار وتلك الخصومه وتلك المعاداه عن

هذه العقیده القرآنیه بظهور المصلح المنجی المنقذ الموعود الذی یملأها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

بعد ذلک تسرد لنا الآیات: (فَلَمّا أَنْ جاءَ الْبَشِیرُ أَلْقاهُ عَلی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِیراً قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ) (یوسف: ۹۶)، هذا تذکیر من المنتظرین للفرج بظهور الولیّ المصلح الحجّه لأولئک الناکرین الجاحدین المستهزئین، (أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ) ، هنا یأتی دور إخفاق المکذّبین، (قالُوا یا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا کُنّا خاطِئِینَ*قالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ*فَلَمّا دَخَلُوا عَلی یُوسُفَ آوی إِلَیْهِ أَبَوَیْهِ وَ قالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِینَ*وَ رَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَ قالَ یا أَبَتِ هذا تَأْوِیلُ رُءْیایَ) التی هی البشاره بالتمکین والظهور بعد الغیبه والتمکین لإصلاح الأرض من الفساد الذی کان ربَّما یعصف بالبشریه لولا تدبیر النبیّ یوسف علیه السلام، (مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقًّا وَ قَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ السِّجْنِ وَ جاءَ بِکُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطانُ بَیْنِی وَ بَیْنَ إِخْوَتِی إِنَّ رَبِّی لَطِیفٌ لِما یَشاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ*رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیلِ الْأَحادِیثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنْتَ وَلِیِّی فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ تَوَفَّنِی مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِی بِالصّالِحِینَ) (یوسف: ۱۰۱ ـ ۹۷)، الآیات الکریمه تواصل أخذ العبر من ظاهره النبیّ یوسف وتأتی إلی هذا المقطع: (وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلاّ رِجالاً نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری أَ فَلَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَدارُ الْآخِرَهِ خَیْرٌ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا أَ فَلا تَعْقِلُونَ) (یوسف: ۱۰۹)، تطرح آخر الآیات من سوره النبیّ یوسف مقطعاً مهمّاً جدّاً وهو: (حَتّی إِذَا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ

كُـذِبُوا) ، أنظر السُـنّه الإلـهيه أنَّه قـد يطول الأمـد فى تحقيق الأمل الإلهى الموعود، ولكن لا يوجب ذلك الأياس ولا اليأس من روح الله، لماذا؟ لأنَّه فى النهايه (وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ) إذا انقطعت القدره البشريه يكون هناك رحمه من الله عز وجل.

مجمل سيره النبىّ يوسف وظاهره المصـلح المنجى الـذى غاب فى بـدء حياته وترعرع إلى أن ظهر للتمكّن فى الأرض، تريد أن تعطى هـذا الـدرس، وهو أنَّ الأمل الموعود من قِبَل الله فى بشائره، كما هو بشاره لهـذه الأمّه الإسـلاميّه أن يظهر هـذا الدين على الكره الأرضـيه كافّه، ولن يتحقَّق هـذا الوعـد على يـد أحـدٍ غير أهل البيت، حيث إنَّ الدين بدأ بأهل البيت عليهم السـلام بالنبىّ ونصـره على، وتدبير النبىّ وابن عمّه على، بهم بدأ الإسلام وبهم يختم، هذا الوعد الإلهى لأن يظهر دينه على الدين كلّه ولو كره المشـركون مهمـا طـال الأمـد، هـذه سُـنّه يريـد أن يركّز مفهومَهـا القرآن الكريم فى مجمـل سـيره النبىّ يوسف، من ظاهره غيبه المصـلح وظهوره بعـد ذلك، ثمّ بعـد ذلك عنـد الظهور يأتى كلّ البأس الإلهى على المجرمين المعانـدين المكابرين المكـذّبين المفسـدين الظالمين، يأتى البأس الإلهى ويطهّر الأرض من بأسـهم ويعمّ ربوعها الإصـلاحُ والعدل والقسط، فهذه سُـنّه إلهيه إذن، ومـا دام الإنسان يؤمن بالله لا ييأس من روح الله، وأنَّ الإيمان بالفرج وبالأمل الموعود وبالبشاره الإلهيه هو من الإيمان بالله تعالى، وبالإيمان بصدق قول الله وصدق وعده، فهذه سُنّه مهمّه يؤكّدها القرآن الكريم فى غياب المصلحين الموعود بظهورهم، والمبشّر بإصـلاحهم للأرض وإنقاذهم البشـريه، أن يكون الإيمان بهم فى امتـداد الإيمان بقول الله ووعـده ونصـره، فهـذا إذن من ثوابت وأركان الإيمان بما كان يؤكّده القرآن الكريم.

واعلم ــ عزيزى القارئ ــ أنَّ هذه الآيه الأخيره فى هذه السوره

ليست مخصوصه بهذه السوره، بل هى من الآيات المحكمات كقاعده عامّه وكأصل عامّ قرآنى فى كلّ القرآن فى قصص وسنن الله فى أنبيائه: (لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) (يوسف: ۱۱۱)، لا- ثرثره ولا- دعابه سمر ولا أساطير، وإنَّما عبره وعبر عقائديه فى الأصول وليست عبر فى الفروع؛ لأنَّ الشرائع ينسخ بعضها البعض، ولكن ليس ذلك فى العقائد، ومجمل ما ذكر من الإيمان بالمصلح وغيبته ثمّ ظهوره محطّات عقائديه، (لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) ، هذه العقيده عقيده المصلح والبشاره الإلهيه بإظهار الدين على الدين كلّه على أرجاء الكره الأرضيه كافّه، هذه العقيده التى بشَّركم بها القرآن الكريم اتَّعظوا بها ممَّا قد جرى من البشاره الإلهيه للنبىّ يوسف، لأنَّه غاب وظهر وحقَّق ذلك الأمل والبشاره الإلهيه، ففيها تفصيل: (لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلِينَ) (يوسف: ۷)، وهذا التعبير أيضاً: (وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْ ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف: ۱۱۱).

الظواهر القرآنيه وسنن الله عز وجل فى الغيبه:

هنا ظواهر قرآنيه أخرى دالّه على ظاهره غياب حجج الله، وهى كما أكَّدنا سابقاً غياب ظهور لا غياب حضور، وهم يظهرون بعد مضى أمد مقدَّر من الله عز وجل، وستأتينا ظاهره النبىّ عيسى عليه السلام، ولكن قبل الاستمرار فى ذلك نؤكّد أنَّ ما استعرضه القرآن من ظواهر عديده، ركَّز على جانب من جوانب الحجج الموعودين بالظهور وإنقاذ البشريه، وإحدى الزوايا المهمّه التى تركّز عليها العدسه القرآنيه هى ظاهره غيبتهم وقيامهم بالأدوار فى ظلّ الغيبه، الأدوار الخطيره العصيبه المهمّه

فی مصیر البشریه، رغم عدم معرفه البشریه بهویتهم، وبعد ذلک یصل قدر الله المقدور حین أوان ظهورهم.

نعم هـذه الظواهر التی یستعرضـها القرآن دوالیک لا یفتأ یرکّز علیها، ممَّا یدلّل علی أنَّ الظاهره المهدویه والغیبه ـ غیبه المهدی فی هـذه الأمّه ـ من السـنن الإلهیه المهمّه التی تحـدث فی هـذه الأمّه علی نسق ووتیره ما حدث من هذه السُـنّه الإلهیه فی الأمم السابقه، فحینئـذٍ لیس من المصادفه ولیس من عـدم الحسـبان فی التقـدیر الإلهی أن یکرّر ویرکّز فی السور القرآنیه العدیده علی هذه الظاهره ـ ظاهره غیبه الحجج ـ لاسیّما المبشّرین الموعودین بالظهور، وأنَّهم فی ظلّ هذه الغیبه یقومون بأدوار ثمّ یظهرون، هـذا الترکیز من القرآن الکریم لیس مصـادفه، بـل عبره کما مرَّ بنا فی قوله تعالی فی آخر سوره یوسف عنـدما اسـتعرض القرآن الکریم ظاهره البشاره للنبیّ یوسف بأنَّه یظهره الله فی الأرض ویمکّن له لیکون مصلحاً وقد غاب غیبه طویله الأمد إلی أن ظهر.

فهو تقدیر ضـمن محاسبات إلهیه مقدّره محسوبه، (یُرِیدُ اللّهُ لِیُبَیِّنَ لَکُمْ وَ یَهْدِیَکُمْ سُنَنَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ یَتُوبَ عَلَیْکُمْ) (النساء: ۲۶)، السـنن السابقه یبیّنها الباری تعالی لأنَّها سـتقع فی هـذه الأمّه، (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِکُمْ سُـنَنٌ فَسِـیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُروا) ، تلک السـنن، (کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَـذِّبِینَ) (آل عمران: ۱۳۷)، فهـذه وغیرها من الآیات العدیـده الدالّه علی أنَّ سـنن الله تتکرَّر أیضاً، هـذه حقیقه من الحقـائق القرآنیه نعهـدها فی السور القرآنیه، مضافـاً إلی ذلـک ما مرَّ بنا فی قوله تعالی: (لَقَـدْ کانَ فِی قَصَصِـهِمْ عِبْرَهٌ) .

وهی عبره أیضـاً ووعـد لنا علی نفاذ هـذا الأمر: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُـدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الـدِّینِ) قـد ذکر ذلک القرآن الکریم ـ الوعد الإلهی ـ فی ثلاثه سور فی سوره الفتح، وسوره التوبه، وسوره

الصفّ، وهـذه بشاره محتّمه من الله عز وجل لهـذه الأمّه، بأن يظهر الدين دين سيّد الأنبياء على أرجاء الكره الأرضـيه كافّه، وقد ورد فى روايات متواتره عند الفريقين أنَّ ذلك على يد رجل يواطئ اسـمه اسم النبىّ من ذرّيه فاطمه وعلى وذرّيه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم، هـذا الوعـد الإلهى محتم فى القرآنى الكريم، وهذا أيضاً لسان رابع فى الآيه القرآنيه، وهو الذى مرَّ بنا أيضاً فى بدايه سوره القصـص: (وَ نُرِيـدُ أَنْ نَمُـنَّ عَلَى الَّذِيـنَ اسْتُضْـعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُـمُ الْوارِثِينَ*وَ نُمَكِّنَ لَهُـمْ فِى الْأَرْضِ) (القصص: ۵ و۶).

إذن هنـاك سُـنّه إلهيه دائمه تتكرَّر فى الأـمم هى: أنَّ المستضـعفين الصـالحين يسـتخلفهم الله ويجعلهم الوارثين، هـذا لسان رابع نجـده فى القرآن الكريم يـدلّل على الظاهره المهـدويه، وأيضاً من الآيات الأخرى التى نشاهدها لسان خامس، وهو: (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ) ، وهو بيان للسنن الألهيه الدائمه فى الإصلاح فى الأرض، وأنَّ هناك مصلحين منقذين للبشريه من الظلم والفساد، فى سوره (الأنبياء: ۱۰۵): (وَ لَقَـدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْـدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ) ، وهذه كتابه ثانيه دائمه حتميه، كالتعبير الذى مرَّ فى اللسان الرابع، إراده إلهيه وكتابه لا معدل لها ولا محوَ لها، أوَليست هى كتابه الله، وقد فسّـر ذلك المفسّرون أنَّ الزبور ليس المراد منه زبور داود، بـل زبر الأنبياء أجمع، وهـذه الآيه سـنقف عنـدها ملياً بتوفيق من الله تعالى للتـدليل على أنَّ المهـدى مبشّـر فى لسـان جميع الأنبيـاء، كمـا أنَّ المصـطفى صـلى الله عليه وآله وسـلم بشّـر به لإفشـاء العـدل والقسط فى الكره الأرضيه، وقرن اسمه باسمه فى البشاره به، (إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ) (الأنبياء: ۱۰۶).

وبیان سادس فی القرآن الکریم متکرّر أیضاً بکثره بأنَّ العاقبه للمتّقین، ولیس المراد منها فقط العاقبه الأخرویه، بل المراد منها العاقبه فی الدنیا أیضاً، فقد جاء فی سوره الأعراف: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) (الأعراف: ۱۲۸)، ونفس وراثه الأرض والتمکین فیها لإقامه الإصلاح والعدل والقسط فیها سُنّه إلهیه، کذلک فی سوره الأعراف: (وَ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِینَ) (الأعراف: ۸۶)، أی إنَّ المفسدین والمجرمین والظالمین مقطوع دابرهم بظهور المصلح المنقذ المنجی، هذه سنن إلهیه.

کذلک فی سوره (یونس: ۳۹)، وسوره (القصص: ۴۰): (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ) .

قد کتب الله أنَّ الظلم والفساد لا یدوم، بأمد ظهور المصلح المنجی، (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُنْذَرِینَ) (یونس: ۷۳)، والملفت أنَّ فی هذه السنن الإلهیه تبیانَ نکته مهمّه جدًّاً فیها، وهی أنَّ النهایه هی الصلاح والإصلاح فی الأرض، وحتمیه الصلاح والقسط وتفشّی العدل، وأنَّ من السنن الإلهیه أنَّ المراحل المتوسّطه من عهود وأزمنه الأمم دوماً یکون المتغلّب فیها کفّه الظالمین والمفسدین، ولکن العقبی تکون للمصلح المنجی، وهذه سُنّه فیها بصائر قرآنیه جمّه، علی أنَّ العهود الوسطی المتخلّله تکون فترات الظلم والفساد وغلبه الظالمین والمفسدین، إلَّا أنَّ العاقبه تکون بظهور المصلح المنجی، إذن هذه سُنّه دائمه إلهیه، بدء الأمم بأنبیائها وهدایتها بالرسل، وتتلوها الفترات المتوسّطه والطویله الأمد بید الظالمین المفسدین ومکابده المستضعفین الصالحین، ولکن

العقبى بظهور المصلح المنقذ المنجى، إذن هذه سُنّه إلهيه دائمه موجوده، فتأكيد القرآن الكريم على عدم الاغترار بالمرحله المتوسّطه الآنيه الحاضره، بل لا بدَّ من الاعتقاد بالعاقبه والمآل لظهور الحقّ، وعاقبه المتّقين بظهور المصلح المنجى.

وهذه آيات عديده من نفس هذه الحقيقه السادسه التى كرَّرها القرآن الكريم فى سوره (آل عمران: ۱۳۷)، وأيضاً فى سوره (النحل: ۳۶): (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) . ولا استمرار ولا دوام للمكذّب بالحقائق الإلهيه وبالغيب الإلهى وبالوعد الإلهى بظهور الصلاح والإصلاح، وإن طالت مدّته، فإنَّ الله يمهل ولا يهمل، (وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى) (طه: ۱۳۲)، (وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ۱۲۸)، وكذلك: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ) (القصص: ۳۷).

* * *

الظاهره الثالثه: الإمام المهدی والخضر علیهما السلام

اشاره

ص:۱۲۳

ظاهره ثالثه يستعرضها لنا القرآن الكريم فى سوره الكهف، وهى ظاهره الخضر عليه السلام فى مطلع سوره الكهف، ومطلع كلّ سوره يحدّد المسار فى تلك السوره، كما ذكر ذلك جمله من المحقّقين المفسّرين لاسيّما من الإماميه من مدرسه أهل البيت عليهم السلام، إنَّ بدايات سوره الكهف كما فى هذه الآيه: (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) (الكهف: ۶)، قد تضمّن تأثّر واغتمام واهتمام النبىّ الشديد بمصير الرساله والإيمان بهذا الدين الذى بُعث به، فمطلع السوره هو المحور الأصلى الذى تدور حوله مقاطع السوره الكريمه سوره الكهف كافّه، وربَّما يقال: إنَّ سوره الكهف فيها من الأسرار والمعارف ما هو حرى بالإمعان والتدبّر الملىء الطويل المديد المستغرق فيها، فإنَّ مطلع السوره حول مصير الرساله واهتمام واغتمام النبىّ حول مصير رسالته، التى وعد الله بأن يظهرها على الدين كلّه، إلَّا أنَّ النبىّ أشفق على مصير هذا الدين وعلى مصير هذه الرساله نتيجه وجود المنافقين والمناوئين والأعداء، ووجود متزلزلى الإيمان وضعاف النفوس، وقد مرَّ بنا فى الحديث عن السنن الإلهيه أنَّ العاقبه تكون للمتّقين، وإلَّا فإنَّ المراحل المتوسّطه دوماً فى السنن الإلهيه مؤهّله للظلم وللفساد، حينئذٍ يكون مصير هذا الدين مع الموعود أيضاً بإظهاره وغلبته على الدين كلّه، هذا هو المحور الأصلى فى هذه السوره، اهتمام واغتمام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بمصير الدين.

ضمان بقاء الدين:

أوّلاً: الفطره:

لكن البارى تعالى يذكر عدّه نماذج لطمأنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول مصير الدين، فذكر نموذج أصحاب الكهف، ثمّ استعرض استخلاف آدم من باب النموذج الأولى فى خليفه الله فى الأرض، ثمّ استعرض لقاء النبيّ موسى مع الخضر، وهذه الصله الوطيده الوثيقه بين استخلاف الله تعالى لخليفه فى الأرض: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً) (البقره: ٣٠)، حيث ذكر هذا فى هذه السوره بعد قصّه أصحاب الكهف، وقصَّتهم تمثّل الهدايه الفطريه من الله عز وجل للأمم وللبشريه، (كلّ مولود يولد على الفطره، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه)(١)، كما ورد فى الحديث الشريف، فإذن الهدايه الفطريه أحد ضمانات بقاء الرساله، وهى ما استعرضه لنا القرآن الكريم فى سوره الكهف حول أصحاب الكهف، وهذا نموذج أوّل يذكره القرآن الكريم لطمأنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حول مصير الرساله.

ثانياً: وجود خليفه الله فى الأرض:

الضمانه الثانيه التى تستعرضها سوره الكهف هى وجود خليفه لله فى الأرض وعدم انقطاعه، بل هو سُنّه دائمه إلهيه من بدء خليقه البشر إلى يوم القيامه، أى ما دام البشر موجوداً على وجه البسيطه، كما قال تعالى: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً) فلم يكن التعبير القرآنى: إنّى جاعل فى الأرض رسولاً أو إنّى جاعل فى الأرض نبيّاً، أو إنّى جاعل فى الأرض آدم خليفه ليخصّ ص ذلك بخصوص النبيّ آدم، كلَّا، إنَّما هى معادله دائمه، سُنّه إلهيه دائمه دائبه مستمرّه لا تقويض لها، ومن ثَمَّ يأتى

١- (١) بحار الأنوار ١٨٧ :٥٨؛ مسند أحمد ٤١٠ :٢.

بعد ذلک تساؤل الملائکه: (أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ) (البقره: ۳۰)، یعنی مع وجود الطبیعه البشریه، تقرن الطبیعه البشریه علی وجه الأرض بالخلیفه، خلیفته الذی یستخلفه الله للتدبیر والقدره.

فوجود الخلیفه فی الأرض وسُنّه استخلاف الله ضمانه ثانیه لبقاء الدین، ومن ثَمَّ لم یقل النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: لا خلیفه بعدی، وإنَّما قال: (لا نبیّ بعدی)، إنَّما هو انقطاع النبوّه لا انقطاع للخلافه الإلهیه، لأنَّها سُنّه دائمه دائبه مستمرّه إلی یوم القیامه، بل أکَّد ذلک فی الحدیث النبوی أنَّ (الخلفاء من بعدی اثنا عشر کلّهم من قریش)، وفی بعض ألفاظ الحدیث: (من هذا البطن من بنی هاشم).

ثالثاً: لقاء موسی والخضر علیهما السلام:

ویذکر ضمانه ثالثه لها صله بوجود الخلیفه فی الأرض، وهی لقاء موسی والخضر، وهنا نستعرض هذه الظاهره.

(وَ إِذْ قالَ مُوسی لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّی أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَیْنِ أَوْ أَمْضِیَ حُقُباً*فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَیْنِهِما نَسِیا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ سَرَباً) (الکهف: ۶۰ و۶۱)، فقد ورد فی روایات الفریقین فی تفسیر المفسّرین تبیان وتفسیر لهذه الظاهره، (فَلَمّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِینا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً) (الکهف: ۶۲)، کان فتاه یوشع وصیّ النبیّ موسی، (قالَ أَ رَأَیْتَ إِذْ أَوَیْنا إِلَی الصَّخْرَهِ فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِیهُ إِلاَّ الشَّیْطانُ أَنْ أَذْکُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِیلَهُ فِی الْبَحْرِ عَجَباً*قالَ ذلِکَ ما کُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلی آثارِهِما قَصَصاً*فَوَجَدا عَبْداً) (الکهف: ۶۵ ـ ۶۳)، هنا بدایه اللقاء، فی مطلع هذه الآیات ما یدلُّ علی ذلک کما ذکر ذلک فی روایات الفریقین والمفسّرون من الفریقین، أنَّ مجمع البحرین وانسیاب الحوت وهو السمک الذی کان

غـداء للنبىّ موسـى ووصـيّه يوشع بن نون وهـذه الحادثه كانت علامه لموضع لقاء النبىّ موسـى عليه السـلام بالخضـر، علامه من الله(۱).

أنظر هـذا التـدبير الأمنى الخفى، إنَّ لقاء النبىّ موسـى وهو نبىّ من أولى العزم ورسول مع الخضـر قد احيط بتمام السـرّيه والخفاء والبرمجه الأمنيه، بحيث وضـعت شفره خاصّه بين الله والنبىّ موسى والخضر، يلقى فيها الخضر من دون أن يعلم حتَّى وصىّ النبىّ موسـى وهو فتاه يوشع بن نون الذى كان معه، أجواء أمنيه شديده السـرّيه، هذا جانب من جوانب الغيبه وهو السـتار الأمنى، الغيبه التى يطرحها القرآن الكريم فى الواقع فى أوليائه هى عباره عن حفاظ وحراسه أمنيه لأولياء الله الذين عهد إليهم الأدوار الخاصّه، إذن هـذه الظـاهره الآـن نراهـا مطـويه ومشـحونه بشـفره أمنيه خـاصّه، لاسـيّما من لـديه مزاوله فى علـوم الإـداره الأـمنيه والتـدبير الاـستراتيجى الأـمنى، يلتفتون إلى أنَّ مثـل هـذه اللقطات كلّها عباره عن شـفرات ومصـطلحات رمزيه، إنَّه الوعـد الإلهى فى لقاء النبىّ موسـى والخضـر عند مجمع البحرين، ثمّ لا بدَّ أن تحدث علامه أخرى تنظمّ إلى مجمع البحرين، وهو انسـياب السمك فى البحر، هـذه علامه أخرى كما يقال، أو رؤيه النبىّ موسـى عليه السـلام لرجل مسـتلقى على قفاه قـد تغطّى بردائه، تشـفير أمنى لا يستطيع أن يطَّلع عليها الأغيار، لا يستطيع الاطلاع عليها من لا يُراد إطّلاعه.

إذن الخضـر قد أحيط بسـياج شديد من الستار، إنَّ تغييب الله لأوليائه لا يعنى أنَّ ذلك كما هو فى نهج البشر قد تتخلَّله خروقات أمنيه، بـل هو سـياج وحفـاظ وحراسه إلهيه لاـ يمكن أن تُخترق إلاَّـ بإيعـاز ربّـانى من الله عز وجـل، نعم بعـد ذلك تواصل الآيه الكريمه: (قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَـدّا عَلى آثارِهِما قَصَـصاً*فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف: ۶۴

۱- (۱) راجع: تفسير مجمع البيان ۳۶۰ :۶؛ تفسير الرازى ۱۴۳ :۲۱.

و۶۵)، هنا بدء اللقاء بين الخضر والنبيّ موسى، وهنا يعرّف القرآن الكريم الخضر، ما هى الهويه الشخصيه والبطاقه الشخصيه التى يعرّف بها القرآن الكريم الخضر؟ لم يعبّر عن الخضر بالنبيّ أو بالرسول، ولم يعبّر عنه بإمام، ولكن عبَّر عنه بما يقرب من الاصطفاء والحجّيه، (فَوَجَدا) أى موسى ويوشع بن نون (عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، هى صفه العبوديه الكامله لديه، وهى صفه الطاعه والطهاره والاصطفاء، أى نوع من العصمه، لأنَّه وصف بهذا الوصف وهو من قمم الأوصاف للفرد البشرى، أن يبلغ مرتبه العبوديه الكامله لله، ومن ثَمَّ كان من أوصاف القمميه لسيّد الأنبياء: (سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) (الإسراء: ١)، وهذا مقام عبوديه للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يبلغه بشر لأنَّه اضيف إلى ضمير (هو) الذى يمثّل غيب الغيوب.

وهنا لم تعرّف التحديدات القرآنيه البطاقه الشخصيه للخضر بأنَّه نبيّ أو رسول، وإنَّما عرَّفته ب- (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، فهل هذا العبد نظير بقيّه البشر؟ كلاَّ، وإنَّما (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) ، فلديه علم لدنّى، وهو اصطلاح قرآنى، ليس نبوّه وليس رساله، وإنَّما هو حجّيه بتزويد ذلك العبد العلم اللدنّى.

ظاهره الخضر عليه السلام وصلتها بضمان ظهور الدين وبقائه:

قصَّه الخضر التى سطّرها لنا القرآن الكريم فى سوره الكهف لها صله وثيقه بديمومه هذا الدين فى هذه الأمّه، وفى هذه الحُقب البشريه وفى أرجاء الأرض إلى يوم الظهور الموعود للإمام المهدى عليه السلام، حيث يُبسط الدين على أرجاء الكره الأرضيه كافّه.

إذن لا بدَّ أن يلتفت القارئ الكريم والمسلم والمؤمن إلى هذه

القصَّه حينما يقرأها فی سوره الکهف، إنَّها ذات صله بالمحور الأصلی فی سوره الکهف، وهو کیفیه تأمین انتشار هذا الدین وبقائه إلی الیوم الموعود لظهور دین رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی ید أحد ذراریه من ذراری فاطمه وعلی علیهما السلام وهو الإمام المهدی علیه السلام.

إذن ما یکتشف من ترکیز القرآن الکریم فی ظاهره الخضر أنَّها ذات صله وثیقه جدَّاً وخطیره ومهمّه، وبالغه الأهمّیه یجب أن یتفطَّن إلیها قارئ القرآن الکریم، وهی أنَّ ما یستعرضه القرآن من ظاهره ثالثه فی سوره الکهف، بل عدّه ظواهر من أصحاب الکهف ومن استخلاف الخلیفه وما له صله بوجود الخلیفه فی الأرض من کونه مصدر دیمومه وبقاء هذا الدین، حیث استعرض لنا القرآن فی سوره الکهف هنا استخلاف آدم کنموذج أوّل لقافله خلفاء الله فی الأرض، ممَّا یدلّل علی استخلاف الله بعد نبیّه سیّد الأنبیاء خلفاء من الله ومن رسوله وهم الذین أنبأ عنهم النبیّ فی حدیثه المعروف بین الفریقین:

(لا یزال هذا الدین عزیزاً منیعاً ینصرون علی من ناواهم إلی اثنی عشر خلیفه) (۱)؛ وإنَّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قد أفاض به وألقاه إلی المسلمین فی مواطن عدیده، فمن الألفاظ التی ورد بها هذا الحدیث النبوی الشریف قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

(إنَّ هذا الدین لن یزال ظاهراً علی من ناواه لا یضرّه مخالف ولا مفارق حتَّی یمضی من أمّتی اثنا عشر خلیفه) (۲)، مفاد هذا الحدیث النبوی الشریف فی الخلفاء الاثنی عشر فی بعض ألفاظه التی وردت من طرق متطابقه عیناً مع مفاد سوره الکهف، إذ یقول تعالی: (فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً) ، هو حدیث الدین، فوجوب بقاء الدین

۱- (۱) الخصال: ۴۷۰/ ح ۱۷؛ مسند أحمد ۹۸ :۵.

۲- (۲) مسند أحمد ۸۷ :۵ .

وحراسته تكون باستخلاف الله عز وجل خليفه له بعد نبيّه فى الأرض، وهم الخلفاء الاثنا عشر كما حدَّثتنا بذلك سوره الكهف قبل استعراضها لظاهره الخضر.

وكذلك فى ظاهره أصحاب الكهف تجد الهدايه الفطريه من الله عز وجل، هذا النبض الدائم الموجود فى الفطره البشريه، وحتَّى فى الشعوب الغربيه والشعوب الآسيويه تجد أنَّ الفطره تنبض، فرغم هذا السيل من التثقيف القالِب للحقائق تبقى الفطره تنبض وترفض وتأبى سياسه أنظمتها الغاشمه، فهدايه الفطره هذه من ضمانات بقاء الدين والإسلام وهو دين الفطره، (فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ) (الروم: ٣٠).

فأوّل ضمانه استعرضتها سوره الكهف هى الهدايه الفطريه كما حصلت لأصحاب الكهف.

أمَّا الهدايه الثانيه أو الضمانه الثانيه التى استعرضتها سوره الكهف لبقاء الدين الحنيف هو وجود الخليفه، ولذلك استعرضت استخلاف آدم قبل استعراضها لظاهره الخضر، والتسلسل الذى فى سوره الكهف تسلسل إعجازى فى الضمانات لبقاء الدين، فالضمانه الأولى التى ذكرت فى سوره الكهف لوجَل النبىّ فى بقاء الدين هى حراسته بالهدايه الفطريه فى نفوس عامّه البشر والتى ألهمها الله عز وجل فى كلّ البشر ومنهم أصحاب الكهف، فإنَّهم لم يُبعث فيهم رسول ولا نبىّ ولا إمام ولا صفى ولا حجّه لله، ولكن هدايتهم كانت عبر نفس فطرهم، (كلّ مولود يولد على الفطره، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه).

وهنا لا يزال التبيان للدين الإسلامى لاسيّما من مدرسه أهل البيت عليهم السلام، والتى هى الرؤيا الواسعه العميقه لدين الإسلام ينافس أى خطاب بشرى آخر فى التنظير.

رابعاً: ذو القرنين ظاهره الحكم العلنى:

الضمانه الرابعه التى تطرحها هى ظاهره ذى القرنين، ظاهره ذى القرنين هى الوصول إلى منصّه الحكومه فى العلن واستتباب القدره المهيمنه على أرجاء الأرض، وهو ظهور المهدى، فهذا رمز فى الظاهره الرابعه، رمز قرآنى، وبيان قرآنى بيّن عن مرحله الظهور، إذن سوره الكهف هى طمأنه لهذا الوجل النبوى، وهذا المحور الأصلى من بقاء الدين، وقد صرَّح ابن كثير صاحب التفسير عندما وصل إلى تفسير هذه الآيه فى سوره (المائده: ١٢): (وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً) ، قال بعد أن أورد حديث: (الخلفاء الاثنى عشر)، وأقرّ بأنَّه الثانى عشر: (والظاهر أنَّ منهم المهدى المبشَّر به فى الأحاديث الوارده بذكره، فذكر أنَّه يواطئ اسمه اسم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم)(١)، وليس ابن كثير فقط ذكر ذلك، بل عشرات من علماء أهل السُنّه أقرّوا بأنَّ الثانى عشر من الخلفاء ينطبق على المهدى الموعود عليه السلام.

خلاصه ما سبق:

ونذكر أنَّ بقاء الدين له أربع دعامات:

الدعامه الأولى: هى من أهمّ الدعامات، وهى الهدايه الفطريه، كما ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (كلّ مولود يولد على الفطره، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه).

الدعامه الثانيه: وجود الخليفه، وهى الهدايه من الخارج، خارج أفراد البشر كنصب الإمام، لذلك استعرضت سوره الكهف قصَّه

١- (١) تفسير ابن كثير ٣۴ :٢.

استخلاف آدم كنموذج لخلفاء الله بعد استعراضها لنموذج أصحاب الكهف، وهذه الدعامه الثانيه قد مرَّت كما فى الحديث النبوى(۱).

الدعامه الثالثه: ظاهره الخضر، والتى سنخوض فيها بشكل مفصَّل إن شاء الله والتى عنوانها: رجال الغيب، أى الرجال الذين هم أولياء لله ضمن مجموعه ومنظومه وشبكه تقوم بأدوار قطبها خليفه الله فى الأرض وهو الإمام المهدى عليه السلام، هذه المجموعه تلتفّ فى منظومه حول خليفه الله فى الأرض كظاهره ثالثه تقوم بأدوار وبرامج إلهيه تقع فى المفاصل المهمّه لمسير البشر من حيث لا يشعر البشر بأدوارهم، وهذه بيعه الخفاء الذى هم فيه، هذه الظاهره الثالثه حالياً سنخوض فيها بشكل مفصَّل.

الدعامه الرابعه: هى مرحله الظهور لذى القرنين، وكما ورد فى الروايات أنَّه قد مَلَك الأرض(۲)، اثنان صالحان واثنان ظالمان، ظالمان كنمرود وفرعون، وصالحان كسليمان وذى القرنين، وهم نماذج لملك التدبير الذى سيولّيه الله عز وجل فى العلن للإمام المهدى عليه السلام فى الظهور، فظاهره ذى القرنين كدعامه رابعه تبيّن نهايه المطاف والذى ذكرت فى السوره رابعه الظواهر.

ظاهره رجال الغيب:

الظاهره الثالثه التى نتكلَّم فيها حالياً هى وجود مجموعه ومنظومه تقوم بأعمال خفيّه وفى ستار الغيب وتسمّى برجال الغيب، (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، إذن ليس هو عبد واحد له هذه البطاقه القرآنيه الخاصّه فى تعريفه، بل هو من

۱- (۱) أى حديث النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّ الخلفاء من بعده اثنا عشر، وقد تقدَّم.

۲- (۲) من ذلك ما ورد فى الروايه عن الإمام الصادق عليه السلام فى حديث طويل قال: (ثمّ ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبّه الله وطوى له الأسباب وملَّكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول الحقّ ويعمل به ...)، (الكافى ۷۰ :۵ / باب معنى الزهد/ ح۱).

ضمن مجموعه هویّتها القرآنیه حسب ما یبیّن القرآن الکریم: (آتَیْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا) ، إذن لدیه رحمه لدنّیه من عند الله عز وجل (وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الکهف: ۶۵)، هذه المجموعه لیست أدواتها العلمیه عبر الأدوات والأسباب الطبیعیه فی تحصیلها للعلم وفی استخدامها لسلاح العلم کأداه تدبیریه کما ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام: (العلم سلطان من وجده صال ومن فقده صیل علیه)(۱)، فهذا العلم الذی لدیهم ضمن هذه المجموعه کما یحدّثنا القرآن الکریم فی هذه السوره فی الدعامه الثالثه هو وجود مجموعه لها هذه المواصفات تعیش فی ستار الخفاء والسرّیه، ومن ثَمَّ ورد فی التعابیر الروائیه أنَّها قد یعبّر عنها کثیر من کتب العلوم الإسلامیّه ب- (رجال الغیب)، وهی ظاهره مهمّه جدَّاً ولها صله وثیقه بالإمام المهدی علیه السلام وغیبته. إذ هذه المعادله (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (البقره: ۳۰)، کما مرَّ بنا معادله ذکرها القرآن الکریم فی سبع سور، ومنها سوره الکهف، استخلاف الله لخلیفه، لیست بنبوّه، ولا رساله، بل تلک مقامات إلهیه ومناصب إلهیه ولکن لیست دائمه، بل قُطعت وختمت بسیّد الرسل (لا نبیّ بعدی)، ولکن لم یرد فی الحدیث النبوی أنَّه لا خلیفه بعدی، بل ورد: (الخلفاء بعدی اثنی عشر)، وهم الخلفاء الذین حدَّثنا القرآن الکریم فی قوله الله تعالی: (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) ، فحینئذٍ هذه المجموعه لها صله بالخلیفه کدعامه ثالثه ذکرها القرآن الکریم فی سوره الکهف بعد الدعامه الثانیه (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، لماذا لم یقتصر القرآن الکریم فی قوله تعالی هنا فی هذه الآیه: (فوجدا عبدا آتیناه ...)؟ ولماذا رکَّز القرآن الکریم فی بیان أنَّ هذا العبد هو ضمن مجموعه أفراد بشریه وصلوا إلی درجه العبودیه والطاعه والتقوی بدرجه فائقه حیث أهّلوا

۱- (۱) شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۳۱۹ :۲۰/ ح ۶۶۰.

لمثل هذه البرامج والمأموريات الإلهيه الخاصّه الخفيّه، إذن القرآن الكريم يريد أن يركّز فى هذه الآيه على أنَّ هذا فرد من مجموعه وليس هو فرداً واحداً.

والظريف أنَّ ما سيأتى فى إجابات الخضر للنبىّ موسى فيما قد خفى سرّه وغايته وهدفه وعاقبته على النبىّ موسى ممَّا ينبئه الخضر ردَّد التعبير وكرَّره بقوله فيما سيأتى: (فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما) (الكهف: ٨١)، لم يقل: (فأردت)، لو كان يريد بهذه الإراده إراده عن نفسه فمن غير المناسب مع الخضر وهو بذلك المقام الذى عرَّفه الله أنَّه آتاه رحمه من عنده وعلَّمه من لدنه علماً أن يتبجَّح بتعظيم وتفخيم نفسه فيقول: (فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما) ، بل هو يتكلَّم عن إراده مجموعيه ضمن نفس مجموعه هذه المنظومه، هذه الشبكه الخفيّه التى ينبئنا بها القرآن الكريم، هذه الظاهره ظاهره الخضر مع مجموعته ومنظومته التى تدور حول خليفه الله فى الأرض وذكرها القرآن الكريم لطمأنه نبىّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ دينه باقٍ بهذه المجموعه، باقٍ بهذه الشبكه، التى تدور فى حلقات دائريه حول قطبها، وهو خليفه الله فى الأرض، كما حدَّثتنا بذلك أيضاً سوره الكهف فى الدعامه الثانيه لبقاء دين النبىّ.

فهنا تقصُّد واضح من ربّ العزّه فى هذه العباره الشريفه من الآيه الكريمه: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، إذن هى مجموعه، وأنَّ الخضر هو واحد ضمن مجموعه ومنظومه من رجال الغيب يقومون بأدوار.

هويه رجال الغيب:

والبطاقه والهويه الشخصيه لهذه المجموعه ولهذه المنظومه أنَّ لديها علماً لدنّياً تتَّصل مع بعضها البعض وتقوم بالأدوار بالتنسيق فيما بين بعضها البعض بواسطه العلم اللدنّى، وليس هو علم عبر الآلات وعبر

الإنترنت أو عبر الأقمار الصناعيه أو عبر ذبذبات الأثير فى الهواء التى يمكن التغلّب عليها واختراقها، وإنَّما عبر العلم اللدنّى، هذا الذى لا يصل إليه البشر، وهو الذى يوحّد أدوار هذه المجموعه وهذه المنظومه بحسب نصّ القرآن الكريم، ومن ثَمَّ تكون هذه فى تمام الخفاء والسرّيه وممَّا لا يمكن اختراقه أو ما لا يمكن التغلّب عليه. وهذه المجموعه هى حراسه ضمانيه لبقاء الدين بأيدٍ بشريه، هذا الذى نذكره كلّه من إفادات وجواهر روايات أهل البيت عليهم السلام، فهم الذين نبّهونا وأرشدونا إلى مثل هذه الحقائق العلميه الموجوده فى ظهور القرآن الكريم، وطريقه اللقاء بين النبىّ موسى وهو المستأمن من الله على خلقه وصاحب شريعه، مع فرد من تلك المجموعه كان عبر تشفير علامه أمنيه خاصّه لم يفشها النبىّ موسى حتَّى إلى يوشع بن نون فتاه ووصيّه، أنظر السرّيه، هكذا يحدّثنا القرآن الكريم، أنَّ تلك العلامتين وهما: مجمع البحرين ونسيان الحوت لم يكن يدرى بها حتَّى فتى موسى، وكان موسى هو وحده الذى أعلمه الله تعالى بهما، هذه كلّها مؤدّيات ومفادات يبرزها لنا القرآن الكريم، ويبيّنها لنا ويلوّح بها. فهذه تعطى بصمات ودلالات على أنَّ هذه المجموعه هى فى تمام الخفاء والحراسه الإلهيه من جهه التخفّى ومن جهه استتار الخلفاء، والغيب المقصود هنا هو غيب المعرفه بهم، غيب الشعور بهم، وهو بهذا المعنى غائب عن علم البشر، غائب عن معرفه البشر.

يبيّن لنا القرآن الكريم أنَّ هذه المجموعه تزاول أدواراً مهمّه عصيبه مفصليه فى مسار البشر فى ظلّ ستار الخفاء. ومن هنا يتَّضح أنَّ قيام أىّ مولى من أولياء الله وحجّه من حجج الله بالمسؤوليه الإلهيه

ودوره فی حفظ النظام البشری لیس مشروطاً بأن یکون ظاهراً مشهوراً شخصه، بل ولو کان خفیّاً مستوراً فإنَّه یتحرَّک بسرّیه ویقوم بأدواره بالتنسیق مع هذه المجموعه، فإنَّ هذا هو نوع من الاضطلاع والأداء للمسؤولیه، هذا هو منطق القرآن، هذا هو بیان القرآن بعدم التلازم بین قیام الإمام بأدواره وکونه ظاهراً فی العلن، وکونه مشهوراً أو معروفاً. وهناک ظواهر عدیده مرَّت بنا وستمرّ أیضاً تدلُّ علی ذلک کما فی ظاهره النبیّ موسی وغیبته. وهذه الدعامه الثالثه لحفظ الدین تابعه وتلحق بالدعامه الثانیه وهی أنَّ لله خلیفه فی الأرض، إذن هذه المجموعه تدور فی تنسیق شبکی مع خلیفه الله فی الأرض، کما هو مقتضی سیاق السوره بعد أن ذکرت الهدایه الفطریه؛ لأنَّ اللطف من الخارج للإنسان لا ینفع الإنسان ما لم یکن فی داخله وفی ذاته فطره تهدیه، ثمّ تکمّل هذه الفطره الهدایه من الخارج، فما لم یکن عقل مطبوع، فلا ینفع العقل المستفاد والمکتسب(۱).

إذن علاقه هذه الظاهره بالإمام المهدی علیه السلام لکونه خلیفه لله عز وجل بضروره جمله من الآیات الکریمه الدالّه علی بقاء أهل البیت علیهم السلام کحجّه للبشر ـ ربَّما نستعرض أکثرها لاحقاً ـ وأنَّهم المبیّنون للقرآن الراسخون فی العلم: (وَ ما یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ) (آل عمران: ۷)، (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ*فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ*لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعه: ۷۹ ـ ۷۷)، وأهل آیه التطهیر هم أهل البیت علیهم السلام، یدلُّ علی

۱- (۱) قال أمیر المؤمنین علیه السلام: (العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ینفع المسموع إذا لم یکن المطبوع). (نهج البلاغه ۷۹ ۴:/ ح ۳۳۸).

أنَّ هـذين عِـدْلان ثِقْلان مقترنـان مع بعضـهما البعض إلى يوم القيامه بنحو ثابت مستمرّ، (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (البقره: ۳۰).

فهـذه المجموعه لها صـله بخليفه الله، لأنَّ الآيه فی صـدد بيان الضـمانات الإلهيه لحراسه وبقاء الـدين، وهـذا لا يتحقَّق إلَّا بوجود الخليفه وهو الإمام المهدی عليه السلام مع هذه المجموعه المباركه.

وبيان آخر لهذه الصـله وهو الذی مرَّ بنا أيضاً أنَّ هناك حججاً لله وأولياء وأصـفياء يقومون بأدوار، لكن فی ظلّ السـتار والخفاء، فی ظـلّ سـتار غيبه الشـعور بهم، فـالقرآن الكريم من اسـتعراضه لهـذه الظاهره يريـد أن يثبّت منطقاً مهمّاً، هـذا المنطق هو الـذی توصَّلت إليه البشريه فی القرون الأخيره، من أنَّ القيام بأدوار يمكن أن يتمّ فی ظلّ الخفاء، ويتمّ فی ظلّ السرّيه، وليس هناك أیّ ضروره تلازم بين القيام بالأدوار المهمّه المصـيريه وبين الانكشاف والظهور فی العلن، بل يمكن أن يقوم الحجّه بهذه الأدوار فی الخفاء، وهذا ينكشف من خلال الصله بين ظاهره الخضر ومجموعته، مع الإمام المهدی وغيبته.

لقاء موسی بالخضر عليهما السلام:

كم هی سطحيه وخاويه تلك الإشكالات وذلك التهريج الذی يواجه بها الخصوم مدرسه أهل البيت عليهم السلام والتی مفادها: كيف يكون الإمام مع كونه إماماً معيّناً من الله غائباً أكثر من ألف سـنه؟ وفهمهم للغيبه بمعناها الخاطئ طبعاً، وهو أنَّه المبتعد عن ساحه التدبير، المنكفئ عن التصدّی لإداره الأمن، فی حين أنَّ الغيبه تعنی الخفاء، وأنَّه يقوم بأدوار خفيّه مهمّه فی مسير البشر من دون أن يعلم به الآخرون؟ ومن دون أن يعلم به حتَّی الكثير من النخبه البشـريه، بل هاهنا النبیّ موسی عليه السلام لم يتوصَّل إلی الالتقاء بفرد من هذه المجموعه إلَّا عبر شفرات

أمنيه نصبها وأخطرها الله وأشار بها إلى موسى كى يصل إلى ذلك الفرد البشرى، يعنى أن يصل إلى لقائه ويتعرَّف عليه.

إذن قضيّه الخفاء والغيبه إذا كانت خرافه هلاميه وفكره باطنيه وما أشبه ذلك من الكلمات والمهاترات التى يهرّج بها الكثير ممَّن لا يريد أن يتَّبع الحقائق القرآنيه، فماذا يُصنع مع ظاهره الخضر ومجموعته البشريه، هل هذه أسطوره هلاميه؟ (أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (البقره: ٨٥)، بل يجب الإيمان بجميع الكتاب، هذا صرح مشيّد قرآنى يعلّمنا درساً بأنَّ الحجّه لله والمنصوب والمضطلع بأدوار مهمّه وخطيره يقوم بتمام تلك الأدوار والحركه والفاعليه والنشاط فى ظلّ ستار الخفاء، ليكون أفسح مجالاً للقيام بتلك الأدوار وأبعد عن أيدى المشاغبين والظالمين والمفسدين، وقوى الشرّ. وهذا منطق قرآنى أصيل، فعلى هؤلاء أن يراجعوا عقولهم ويراجعوا خلفياتهم الدينيه ومحاسباتهم، ويرجعوا إلى أصولهم الدينيه حيالَ منطق القرآن الكريم فضلاً عن المنطق البشرى الراهن الذى يعى من السرّيه والخفاء أنَّه أسلوب نظام قوّه وزياده قدره على إداره وتدبير للأمور بسلامه عن معاوقه الأعداء والخصوم.

أخى القارئ الكريم بعد هذا نستعرض هذه الآيه الكريمه: (قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۶)، ففى هذه الآيه ملحمه عظيمه، ويمكن أن نلمس فيها أنَّ نبيّاً من أنبياء الله ورسولاً من رسل الله من أولى العزم الخمسه يطلب اتّباع حجّه لله آخر، ووليّ لم يعرّفه القرآن الكريم وهو الخضر بالنبوّه أو الرساله فضلاً عن أن يكون من أولى العزم، إنَّما عرَّفه القرآن الكريم بأنَّه مصطفىً، (عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا) مزوّد بالعلم اللدنّى وبلطف من الرحمه الإلهيه الخفيّه الخاصّه، هذا الذى له هذا المقام

یرید النبیّ موسی أن یکون له تابعاً، طبعاً فی هذا الجانب، وإلاّ فهو صاحب شریعه ویکون الخضر تابعاً للنبیّ موسی فی شریعته، ولکن فی العلم اللدنّی وعلم الولایه یرید النبیّ موسی أن یتّبع ویتعلّم ممَّا قد عُلّم الخضر علماً إلهیاً لدنّیاً.

هنا محطّه مهمّه یجب أن یلتفت إلیها المسلمون، أنَّ هذه الظاهره وهذه الملحمه القرآنیه لیس لها تفسیر فی غیر مدرسه أهل البیت؛ وذلک لأنَّ فی المدارس الإسلامیّه الأخری لم تفسّر ولم تبیّن المقامات والمناصب الإلهیه إلاَّ النبوّه والرساله، أمَّا مناصب ومقامات أخری فلم تذکر فی منهاجهم العقائدی، بینما المنهج العقائدی لمدرسه أهل البیت علیهم السلام یبیّن أنَّ هناک قنوات ارتباط بین الباری تعالی، وبین بعض الأفراد المصطفین المطهّرین، وهو غیر وحی النبوّه وغیر ارتباط وحی الرساله، بل هو ارتباط العلم اللدنّی، کما فی الإمام، وکما فی الحجّه المصطفی الذی ربَّما یکون غیر إمام کفاطمه الزهراء، وکمریم بنت عمران، حیث تتّبع سیّدتها فاطمه الزهراء، لأنَّها کما ورد فی نصوص المسلمین المتواتره أنَّها (سیّده نساء أهل الجنّه)(۱)، ومریم من رعایا الجنّه، فسیّده مریم هی

۱- (۱) روی الشیخ الصدوق فی أمالیه (ص ۱۸۷/ ح ۷/۱۹۶): بسنده إلی الحسن بن زیاد العطّار، قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (فاطمه سیّده نساء أهل الجنّه)، أسیّده نساء عالمها؟ قال: (ذاک مریم، وفاطمه سیّده نساء أهل الجنّه من الأوّلین والآخرین). وروی البخاری فی صحیحه (ج ۴/ ص ۱۸۳): بسنده إلی عائشه، قالت: أقبلت فاطمه تمشی کأنَّ مشیتها مشی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، فقال النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: (مرحباً یا بنتی)، ثمّ أجلسها عن یمینه أو عن شماله ثمّ أسرَّ إلیها حدیثاً فبکت، فقلت لها: لم تبکین، ثمّ أسرَّ إلیها حدیثاً فضحکت، فقلت: ما رأیت کالیوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عمَّا قال؟ فقالت: ما کنت لأفشی سرّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتَّی قبض النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، فسألتها، فقالت: (أسرَّ إلیَّ أنَّ جبریل کان یعارضنی القرآن کلّ سنه مرَّه، وإنَّه عارضنی العام مرَّتین، ولا أراه إلاَّ حضر أجلی وإنَّک أوّل أهل بیتی لحاقاً بی)، فبکیت، فقال: (أمَا ترضین أن تکونی سیّده نساء أهل الجنّه - أو نساء المؤمنین -؟)، روی نحوه الترمذی فی سننه (ج ۵/ ص ۳۶۸/ ح ۳۹۸۵).-

فاطمه علیها السلام، بل وفی نصوص القرآن إشارات علی رفعه مقام فاطمه علیها السلام علی مقام مریم، فمریم التابعه لفاطمه علیها السلام مقامها لیس نبوّه ولا- رساله ولا- إمامه ولکن مقام حجّیه، (إِنَّ اللّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ) (آل عمران: ۴۲)، هذا المقام لا تجد له تفسیراً فی غیر مدرسه أهل البیت، الذی هو نظام عقائد القرآن الکریم بعمق وأصاله.

إذن لا یفتأ القرآن الکریم یبیّن العلم اللدنّی، وینبّه ویؤکّد أنَّ هناک مجموعه وسلسله من أفراد البشر لیسوا بأنبیاء ولا رسل ولکن حجج مصطفون أئمّه أو غیر أئمّه لهم ارتباط مع الغیب، ولهم ارتباط مع الله بعلم لدنّی یعنی من لدن الله تعالی غیبی.

فلماذا یهرّج أولئک الذین یقفون أمام هذه البیّنات الباهره لمدرسه أهل البیت، کأنَّما یحصرون الارتباط بالغیب بالنبوّه والرساله؟ کلاَّ- فهناک ارتباطات بالغیب أصیله فی منطق القرآن وفی سور کثیره یبیّنها القرآن الکریم، وهو ارتباط بالغیب لیس عبر قناه الوحی النبوی أو وحی الرساله، وإنَّما هو علم لدنّی، وإن کان صاحب هذا العلم اللدنّی تابعاً لرسول الله أو تابعاً لصاحب الشریعه، ولکنَّ ارتباطه بالغیب من خلال العلم اللدّنی وراثه عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

ما هو العلم اللدنّی ؟

الآیات القرآنیه تقول: (عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) ، وهذا العلم من الدرجه والمقام بحیث أنَّ نبیّ الله موسی الرسول أراد أن یتَّبعه، وطبعاً فی مدرسه أهل

البيت فإنَّ أفضل الخلق على الإطلاق سيّد الرسل محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو إمام الأئمّه، وهو إمام للأئمّه الاثنى عشر وسيّدهم وأفضلهم، وهم تابعون له، وقد ورد فى روايات المسلمين من الفريقين أنَّ النبيّ عيسى عند نزوله يتبع الإمام المهدى، وقد أقرَّ بذلك علماء الفِرَق الإسلاميّه أنَّ النبيّ عيسى عندما ينزل يصلّى خلف المهدى، ويكون تابعاً له وهو نبيّ من أولى العزم، وربَّما لا يروق ذلك لمن لا يُكنُّ المودّه لأهل البيت، ويغمطهم فضائلهم ومقاماتهم التى حباها الله إيّاهم، ويغيضه أيضاً أن يقرأ من هذه الأحاديث التى رواها محدّثو الفريقين أجمع القائله بأنَّ النبيّ عيسى يصلّى خلف الإمام المهدى، ويكون تابعاً له.

ولرُبَّ أحد يقول: هذا مضمون لا أقبله، أو أنَّ هذا مضمون منكر.

فنقول: لكن القرآن الكريم هاهنا قد حدَّثنا بأنَّ النبيّ موسى عليه السلام قد أراد اتّباع الخضر لما للخضر من علم لدنّى، فهذه سُنّه بيَّنها القرآن وليست سُنّه منكره، وأنَّ هذا المضمون له صله وثيقه ووطيده بظاهره الإمام المهدى عليه السلام وغيبته وظهوره، وهو أنَّه عند ظهور الإمام المهدى عليه السلام فإنَّ النبيّ عيسى عليه السلام مع أنَّه نبيّ مرسل من أولى العزم يأتمّ به ويصلّى خلفه، وقد قال بذلك جمهره من علماء الفريقين(۱).

العلم اللدنّى وارتباطه بغيبه أولياء الله:

هذا العلم اللدنّى يؤهّل الخضر ومجموعته من الاطّلاع على الإرادات

۱- (۱) رواه جمهور الخاصّه والعامّه بألفاظ عدّه والمعنى واحد، راجع - لا على الحصر -: الكافى ۴۹ :۸/ ح ۱۰؛ كمال الدين: ۷۸؛ الغيبه للنعمانى: ۶۵/ باب ۴/ ح ۱؛ مسند أحمد ۳۳۶ :۲؛ صحيح البخارى ۱۴۳ :۴؛ صحيح مسلم ۹۴ :۱؛ المعجم الكبير ۶۰ :۹؛ كنز العمّال ۲۶۶ :۱۴/ ح ۳۸۶۷۳؛ تاريخ مدينه دمشق ۵۰۱ :۴۷؛ ... وغيرهم.

التفصيليه الإلهيّه، والتدبيرات التفصيليه الجزئيه فى كلّ مراحل التطبيق لإصلاح النظام البشرى، ويؤهّلهم للاطلاع على برنامج تلك الإرادات؛ لأنَّ فى الشريعه قوانين عامّه كلّيه فى أفق التنظير، وعندما يراد لهذه المنظومه من التشريعات التنفيذ والتطبيق والإجراء لا محال هنا يكون معترك تزاحم ومعترك أولويات ومعترك فحص موضوعى، فإذا كان بنحو التدبير الإلهى الذى لا يخطئ فحينئذٍ يحتاج إلى التزوّد بالعلم اللدنّى، ولننظر كيف ينبئنا القرآن الكريم عن تأهيل الخضر ليطّلع على الإراده الإلهيه بتوسّط هذا العلم، وماذا يعبّر عنه فى الآيات الكريمه فى ذيل هذه القصّه، وهى الظاهره التى يستعرضها لنا القرآن الكريم مع النبىّ موسى: (وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَهِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ) ، هنا يريد الخضر أن يخبر النبىّ موسى عليه السلام بإراده تفصيليه وليست إراده تشريعيه كلّيه عامّه، إراده تفصيليه تطبيقيه لتشريعات الشريعه، (فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى) (الكهف: ٨٢)، والمجموعه التى معه تمتلك أنشطه وبرامج مفصليه مصيريه للنظام البشرى، ليست من قريحه اقتدار لأنفسهم، وإنَّما طبق أوامر جزئيه تفصيليه تطبيقيه إلهيه، فالخضر فى أجوبته كما سنقرأها تفصيلاً، وما جرى بينه وبين النبىّ موسى من أحداث شاهدها النبىّ موسى أمام عينه قد فسَّرها الخضر طبقاً لما هو مشرَّع فى شريعه النبىّ موسى، ومن ثَمَّ قنع وارتبط مع النبىّ موسى، فالخضر لم يكن فى تطبيقه وتنفيذه متخطّياً لشريعه النبىّ موسى، بل مطبّقاً ومنفّذاً لها، ولكن هذا التنفيذ أيضاً يحتاج إلى أوامر إلهيه، يحتاج إلى أحكام سياسيه إلهيه، إلى أحكام قضائيه إلهيه، إلى أحكام تدبيريه إلهيه.

هذا هو الفرق بين مدرسه أهل البيت عليهم السلام ومدارس المسلمين الأخرى،

بل بين مدرسه أهل البيت وكلّ الأديان الأخرى من النصارى واليهود أو غيرهم، حيث إنَّ أغلب الملل والنحل الآن من غير مدرسه أهل البيت تقول بانقطاع الاتّصال بين الأرض والسماء، وأنَّ الارتباط بين البشر وبين السماء بختم النبوّه والرساله، بينما مدرسه أهل البيت هى المدرسه الوحيده التى تشهد بحقّانيه هذا الصرح العقائدى، القرآن يشهد بأنَّ حاكميه الله تعالى ليست على صعيد التنظير فقط وإرسال الشريعه المباركه المقدَّسه، بل لله عز وجل أيضاً برامج ومنظومات وأحكام وأوامر لتطبيق تلك الشريعه، وليس لتشريع جديد، ففى شريعه النبىّ موسى مثلاً كانت هناك مجموعه أوامر إلهيه تصل لأولياء الله الحجج الذين لم يكونوا أنبياء ولا رسلاً، وذلك من خلال العلم اللدنّى لبسط حاكميه الله السياسيه وليست فقط حاكميه الله فى التشريع، (إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ) (يوسف: ۶۷)، التوحيد فى حاكميه الله، التوحيد فى الحاكم الأوّل هو الله وحده لا شريك له، وليس فى عرضه أحد، هذه الحاكميه والتوحيد فى الحاكميه لله لا تقتصر مدرسه أهل البيت فيها على نظام السلطه التشريعيه والتشريع فقط، بل على نطاق التطبيق أيضاً، ويعنى أنَّ التوحيد فى حاكميه الله ليس فقط فى التشريع، بل على مستوى التطبيق أيضاً، وعلى مستوى الحاكميه السياسيه والقضائيه والعسكريه والإداريه، وعلى كلّ نطاق تلك المجالات والحقول والبيئات أيضاً، فالحاكم الأوّل فيها هو الله وحده لا شريك له، ليس فى عرضه أحد، هذا اللون من التوحيد لا يوجد فى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

حيث تصرُّ هذه المدرسه على أنَّ الارتباط بين الأرض والسماء لن يقطع، وإن انقطعت النبوّه والرساله، إلَّا أنَّ بقيّه ألوان الارتباط بين الأرض والسماء وهى نظير ظاهره العلم اللدنّى التى تؤمّن تفسير حاكميه الله السياسيه ونزول الأوامر السياسيه لله ونزول الأوامر القضائيه فى منعطفات خطيره فى مسيره النظام البشرى

ونزول الأوامر العسكريه ونزول الأوامر التنفيذيه ليست فقط أوامر تشريعيه عامّه، كلّا فهناك أوامر تفصيليه له تعالى فى كلّ حقبه بشريه وهناك من يقوم بها، كهذه المجموعه البشريه فى حكومتهم الخفيّه، لأنّهم يديرون ويدبّرون الأمر فى خفاء من اختراقهم للنظم البشريه الأخرى، ويدبّرون ويديرون كلّ ما يملى عليهم من الله تعالى، لذلك ترى الخضر عندما وصفه القرآن: (وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) يعنى بهذا الوصف تأهّل الخضر أن يخبر عن إراده الربّ التفصيليه التنفيذيه فى الحاكميه، حيث قال: (فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا) ، يخبر النبىّ موسى بأنّ ما قام به من أدوار ليست اقتداراً منه أو من مجموعته فى الشبكه البشريه الخفيّه (عَبْداً مِنْ عِبادِنا) والمأموره بأوامر الله تعالى، بل: (فَأَرادَ رَبُّكَ) ، فالإراده التفصيليه غير الإراده العامّه الكلّيه فى التشريع كقانون كلّى عامّ، فهناك إرادات تفصيليه تتنزّل تطبيقاً لتلك الإرادات التشريعيه العامّه بخصوص الموارد المهمّه، (فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ٨٢)، ف- (ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى) هو عن أمر الله عز وجل.

إذن هذه السوره تثبت وجود مجموعه أوامر لله تفصيليه تنفيذيه تطبيقيه لشرائع الأنبياء أولى العزم فى كلّ عصر، وفى عصرنا الحاضر من الذى تتنزّل عليه أوامر الله التنفيذيه التطبيقيه كما تنبئنا بذلك سوره الكهف؟ وعند أىّ مدرسه إسلاميّه تفسَّر هذه الظاهره؟ هذه الحقيقه القرآنيه بأنّ هناك تنزُّلاً على أفراد مبشّرين حججاً مزوّدين بالعلم اللدنّى وليسوا بأنبياء ولا رسل تتنزّل عليهم الأوامر الإلهيه لتنفيذ تدبيرات مهمّه، أوَليس هذا القرآن قرآننا؟ أوَليس هذا الدين ديننا؟ أوَلا يجب علينا أن نؤمن بما يقوله القرآن الكريم؟ أوَليس ظاهره

الخضـر ذكرها القرآن الكريم إجابه لما قد حصل من وجل واهتمام من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى مطلع السوره على بقاء الدين، فكانت هذه إجابه وضمانه وبيان من الله لكيفيه بقاء الدين.

فما يُـذكر فى قصَّه الخضـر يتعلَّق بهذا الدين الخاتم، يتعلَّق بهذه الحقبه البشـريه من بعد الرسول إلى يوم القيامه، فهناك إذن من تتنزَّل عليه الأوامر الإلهيه التفصـيليه التنفيـذيه التطبيقيه، ولا يسـتطيع أحد أن يجيب عن حقيقه هذا الإنسان غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام القائله ببقاء الاتّصال بالغيب بقناه غير قناه النبوّه وغير قناه الرساله وغير الوحى النبوى ووحى الرساله، لكنَّه علم لدنّى كما يثبته القرآن ليس فى هذه السوره فحسب، بل فى سور عديده أخرى.

فهذه الظاهره تتَّضح صـلتها بالإمام المهدى عليه السلام وغيبته من خلال أنَّ الإمام المهدى عليه السلام هو ذو علم لدنّى، لأنَّه من هذه الأمّه، وقد أنبأ النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم به وأخبر بأنَّ خلفاءه اثنا عشر، تتنزَّل عليه الأوامر الإلهيه والبرامج الإلهيه لنظم وإداره البشـر والأخـذ بأيديهم من المنزلقات فى المنعطفات الحادّه فى أىّ بيئه من البيئات سواء الاقتصاديه أو التجاريه أو الخلقيه أو الزراعيه أو العقائديه أو الفكريه أو الروحيه أو السياسـيه أو العسـكريه، نعم تتنزَّل عليه أوامر إلهيه ليقوم بأداء كلّ تلك الأوامر الحساسه، ويعضـده وينصـره ويؤازره مجموعه بشـريه حكاها لنا القرآن الكريم، مجموعه عباد، والخضـر واحـد من أولئك العباد موصوفون بأنَّ عنـدهم رحمه بلطف خاصّ من عنـد الله عز وجل ولـديهم علم لـدنّى يخضع ضـمن سلسـله مراتب القياده الإلهيه، فالخليفه هو المركز، ومَن دونَه يتبعه ويتلوه.

وهـذا هو الـذى قالت به مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام، أى إنَّ الإمامه يجب أن تكون أيضاً منصباً إلهياً على ارتباط بالغيب، على ارتباط مع السـماء، وإن كانت الإمامه تبعاً للرساله، وإن كانت الإمامه تطبيقاً لشـريعه النبىّ المرسل الخاتم، ولكن فى التطبيق تحتاج إلى نظاره السماء وحاكميه الله عز وجل.

هذا اللون من التوحيد من اتّساع حاكميه الله ليس على صعيد التشريع فقط، بل على صعيد التطبيق فى مظهر الاعتقاد والإيمان بأنَّ الإمام هو مهبط ومحطّه لهبوط الأوامر الإلهيه التفصيليه التنفيذيه، وبتزويده بالعلم اللدنّى يتأهَّل لهبوط ونزول الأوامر التفصيليه، ما هو إلاَّ إشعاع من مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

فمـا يُهرّج به رخصـاء الكلاـم من أنَّ الشـيعه يقولون فى أئمّتهم بالنبوّات يريـدون أن يتعاموا عمَّا يبيّنه القرآن الكريم عنـدما ذكر الخضـر وشـبكته البشريه المزوّده بالعلم اللدنّى، فإنَّه لا يقول بأنَّ الخضر بُعث بشريعه تنافس شريعه النبىّ موسى، أو بشريعه تضاد شريعه النبىّ موسـى، بل على العكس، الخضـر عليه السـلام وضَّح بعد ذلك للنبىّ موسـى عليه السـلام أنَّ كلّ ما قام به هو تطبيق لنفس شـريعه النبىّ موسـى، ومن ثَمَّ قنع بذلك، لذلك تقول الآيه: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ٧٨)، بأنَّه تطبيق لنفس الشـريعه، ولكنَّه تطبيق خفى بتـدبير من الله، ولا يمكن أن يكون من تدبير البشـر. فإنَّ الشـريعه الإلهيه يراد لها تطبيق إلهى وليس على مسـتوى النظريه فقط، وهـذا ما لا يوجـد فى غير مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام، فهـذا إذن محور مهمّ تعلّمنا وتربّينا عليه سوره الكهف وظاهره الخضر هذه الظاهره المشيّده.

بعد ذلك تواصل الآيات سردها لظاهره الخضر: (قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۶)، وهنا يبيّن القرآن الكريم أنَّ نبيّاً مرسلاً من أولى العزم يتَّبع من يكون مزوَّداً بالعلم اللدنّى، فإذن لا يمكن أن يستنكر أحدهم تبعيه النبىّ عيسى عليه السلام للإمام المهدى عليه السلام، فها هو القرآن يبيّن لنا هذا النموذج، ثمَّ إنَّ هذا الاستنكار مِن ماذا؟ ألأنَّ المهدى من ذوى القربى من أهل البيت أفلا يكنّ له محبّه وقد عظَّم القرآن من شأنه؟!، بل هو الخليفه على الخضر، فإن كان النبىّ موسى قد تبع الخضر مع أنَّ القرآن الكريم لم يصفه بأنَّه خليفه، بل وصفه بأنَّه حجّه مصطفاه، وفى ضمن مجموعه بشريه، ولكن هذه المجموعه البشريه هى تبع للخليفه الذى ذكرته سوره الكهف كضمانه له، وذكرت الخضر كضمانه ثالثه لبقاء الدين، فمجموعه الخضر وشبكته تدور فى دوائر مرتبطه متّصله بالمركز، وهو الخليفه، فهذه حقيقه عقائديه عقديه قرآنيه بيّنه بائنه برهانيه لا يستطيع الإنسان المسلم والمؤمن التنصّل منها أو التجاوز عليها.

الكثيرون وربَّما فى سطحيه من التفكير يتبادر إليهم أنَّ الحكومه التى يديرها ويدبّرها الإمام المهدى عليه السلام يجب أن تكون معلنه مكشوفه الأوراق والأدوات والأجهزه، بينما القرآن الكريم مذ نزل على النبىّ الخاتم الأمين صلى الله عليه وآله وسلم بيَّن لنا أنَّ السُنّه الإلهيه التى هى ليست خاصّه بهذه الأمّه، بل سُنّه إلهيه من زمن النبىّ موسى فضلاً عن هذه الأمّه هى أنَّ هناك مجموعه بشريه (عَبْداً مِنْ عِبادِنا) تمثّل وتجسّد حكومه إلهيه خفيّه فى كلّ الأزمان، وظاهر هذا البيان القرآنى أنَّ هذه الحكومه

موجوده لدی کلّ الحجج والأنبیاء والمرسلین السابقین من لدن آدم إلی نوح إلی إبراهیم(۱)، وکذلک فی حقبه النبیّ موسی وعیسی وفی عهد خاتم النبیّین صلی الله علیه وآله وسلم فهو إمام الأئمّه وإمام البشر وسیّد الکائنات، إلی حقبه ما بعد النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من الأئمّه الخلفاء الاثنی عشر من أهل بیته، إلی هذه الحقبه التی نعیش نحن فیها، حقبه غیبه وخفاء وتکتّم وسرّیه، فهناک حکومه خفیّه، ألا ترى أنَّ الله عز وجل أخبر إبراهیم فی سوره البقره فقال: (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً) ، فقال إبراهیم بعد ذلک: (وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) (البقره: ۱۲۴)، یعنی أنَّ غیر الظالمین من ذرّیته ینال ذلک، وقد وصف القرآن الکریم إسحاق ویعقوب وبقیّه ذوی وذراری إبراهیم بأنَّهم أئمّه: (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ) (الأنبیاء: ۷۳)، أو فی آیه أخری: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا

۱- (۱) عن محمّد بن عبد الله بن محمّد طیفور قال فی قول إبراهیم علیه السلام: رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتی... الآیه (البقره: ۲۶۰): إنَّ الله عز وجل أمر إبراهیم أن یزور عبداً من عباده الصالحین، فزاره فلمَّا کلَّمه قال له: إنَّ لله تبارک وتعالی فی الدنیا عبداً یقال له: إبراهیم اتَّخذه خلیلاً، قال إبراهیم: وما علامه ذلک العبد؟ قال: یحیی له الموتی، فوقع لإبراهیم أنَّه هو فسأله أن یحیی له الموتی، قالَ أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلی وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی یعنی علی الخلّه، ویقال: إنَّه أراد أن تکون له فی ذلک معجزه کما کانت للرسل، وإنَّ إبراهیم سأل ربَّه عز وجل أن یحیی له المیّت فأمره الله عز وجل أن یمیت لأجله الحیّ سواء بسواء وهو لمَّا أمره بذبح ابنه إسماعیل، وأنَّ الله عز وجل أمر إبراهیم علیه السلام بذبح أربعه من الطیر، طاووساً ونسراً ودیکاً وبطّاً، فالطاووس یرید به زینه الدنیا، والنسر یرید به الأمل الطویل، والبط یرید به الحرص، والدیک یرید به الشهوه، یقول الله عز وجل: إن أحببت أن یحیی قلبک ویطمئن معی فاخرج عن هذا الأشیاء الأربعه، فإذا کانت هذه الأشیاء فی قلب (عبدی) فإنَّه لا یطمئن معی، وسألته: کیف؟ قال: أوَلم تؤمن؟ مع علمه بسرّه وحاله، فقال: إنَّه لمَّا قال: رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتی، کان ظاهر هذه اللفظه یوهم أنَّه لم یکن بیقین فقرَّره الله عز وجل بسؤاله عنه، إسقاطاً للتهمه عنه وتنزیهاً له من الشکّ. (علل الشرائع ۳۶ :۱/ باب ۳۲/ ح ۸).

لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) (السجده: ۲۴)، وفی سوره النساء: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، فالقرآن يخبر بأنّه قد جعل إبراهيم وآل إبراهيم أئمّه: (وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) ، مع أنَّ التاريخ البشری لا يحدّثنا أنَّ النبیّ إبراهيم أو ذرّيه من آله رغم كونهم أئمّه من قِبَل الله للناس، أنّهم قد أسَّسوا حكومات معلنه أو ملكاً معلناً، لكن القرآن الكريم هو أصدق القائلين: (وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلًا) (النساء: ۱۲۲)، ينبئنا ويخبرنا أنّه آتى آل إبراهيم ملكاً عظيماً، فأیُّ ملك هذا؟ الملك هو الإمامه منهم، المصطفون منهم، المجتبون منهم، ولملكهم بُعد فی الملكوت من إطاعه الملائكه لخليفه الله الإمام بنصّ سوره البقره وغيرها من السور بأنَّ الخليفه مطاع، فالملائكه كلّهم جند مجنَّده وأعوان لخليفه الله فی الأرض.

ومن صلاحيات ذلك الخليفه الموجود والمستمرّ إلى يوم القيامه _ كما يعرّف ذلك لنا القرآن الكريم _ هو السجود له من قِبَل الملائكه: (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا) (الإسراء: ۶۱)، وهو هنا كنايه عن مطلق الطاعه والخضوع والانقياد والمتابعه، وفی آيه أخرى: (وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ*فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ*فَسَجَدَ الْمَلائِكَهُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) (ص: ۷۳ _ ۷۱)، أنظر التعبير فی القرآن الكريم ف- (أل) صيغه جمع تعميم، صيغه استيعاب وشمول، وكذلك الواو والنون فی (أَجْمَعُونَ) يدلُّ كذلك على أنَّ القرآن الكريم لم يستثن تجنيد أیّ مَلَكٍ من الملائكه حتَّى الملائكه المقرَّبين عن طاعه وعون خليفه الله فی الأرض، وهذا طبعاً مُلك عظيم،

وصف بالملك العظيم إذا كان كلّ درجات الملائكه وكلّ مقامات الملائكه طوّعت وأخضِعَت وأمرت بالانقياد والمتابعه لخليفه الله فى الأرض، فلا ريب من أنَّ هذا مُلك عظيم يتجاوز مُلك وقدرات البشر، وحتَّى فى سوره الكهف وفى سبع سور قرآنيه أنَّ الخليفه من صلاحياته وقدراته وسلطته وسطوته طوعانيه وإطاعه جميع الملائكه له كحكومه ملكوتيه.

قد يقول القائل: إذا كان الإمام والخليفه عنده هذه القدره، فلماذا لا يصلح الأرض فى ليله وضحاها؟ هذا ما يقوله الكثيرون ممَّن يسترخصون الفكر ويسترخصون الكلام ويحبّون المشاغبه بأىّ إثاره ولو كانت رخيصه أو خاويه، وهذا السؤال لا يوجّه لقضيّه الإمام المهدى فقط، بل يوجّه للنبىّ إبراهيم حيث كان إماماً من قبل الله، فلماذا لم يسحق نمرود بالملائكه، فيأتى جناح جبرائيل فيجعل سافلها عاليها؟ وهذا حينئذٍ يكون خلاف البرنامج الإلهى من امتحان البشر، وخلاف الحكمه الإلهيه لامتحان البشر، فلا تفويض للبشر لجعل زمام أمورهم بيدهم، ولا جبر، وإنَّما أمر بين أمرين، فلو كان قسراً وإلجاءً إلى الله فى كلّ الأمور لكان جبراً، وبذلك تبطل حكمه الامتحان والاختيار، ولو كان انعزالٌ للإراده الإلهيه فى التنفيذ أو انعزالٌ للحاكميه الإلهيه فى التنفيذ، لكان نفوذاً للبشر وتفويضاً باطلاً فنحن لا نقرأ بطلان التفويض على صعيد الفعل الفردى فقط، بل نقرأ بطلان نظريه التفويض على صعيد النظام الاجتماعى والنظام السياسى والنظام البشرى، فليس البشر مفوّضين إلى أمرهم أو موكّلين إلى إرادتهم البشريه، ولا مجبرين بالقسر، وإنَّما أمر بين أمرين، إراده بشريه وإراده إلهيه تمتزجان وبالتالى

تكون جاده الامتحان وجاده الاختبار الإلهى والحكمه الإلهيه (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ) (الأنفال: ۴۲).

فنظريه الاختيار تتجلّى على صعيد الرؤيه الاجتماعيه وعلى صعيد النظام الاجتماعى والسياسى، أى إنَّه لا جبر ولا تفويض فى النظريه الاجتماعيه والنظريه السياسيه، وهذا يتمثَّل بعقيده الإمامه الإلهيه، بعقيده أنَّ هناك خليفه من الله منصوب، حكومه خفيّه، وكما مرَّ بنا فإنَّ إبراهيم وآل إبراهيم آتاهم الله ملكاً عظيماً، توصف هذه القدره وهذا التدبير بالملك العظيم لأنَّه كما حدَّثنا القرآن الكريم أنَّه يطوّع الله عز وجل للخليفه كلّ ملائكته بلا استثناء حتَّى الملائكه المقرَّبين فى حكومته الملكوتيه، نعم الكثير يظنّ فى محاسباته الفكريه على أدبيات ربَّما سياسيه قديمه أكل الدهر عليها وشرب من أنَّ الحكومه لا يقرّ بوجودها إلاَّ إذا كانت معلنه مكشوفه فى العلن إلى منصّه الظاهر ومنصّه العلم البشرى والمعرفه البشريه، وهذا طبعاً منهج وفكر خاطئ فى الأدبيات السياسيه والإداريه والأمنيه والنظميه، فقد بات واضحاً بديهياً فى الأدبيات الأكاديميه حتَّى السياسيه والعلوم الاجتماعيه السياسيه أنَّ هناك أشكالاً وألواناً متعدّده من الحكومات، فالكثير من قوى النفوذ الحكوميه فى الدول ليست هى فى الحقيقه عبر ما يشاهد من وزارات رسميه معلنه معروفه أو آليات وأدوات عسكريه إداريه رسميه، بل إنَّ الحكومات الخفيّه هى فى الواقع مصدر القدره النافذ للدول وباتت الآن أمراً واضحاً بديهياً لديهم.

وهذه النظريه والرؤيه فى العلوم الاجتماعيه السياسيه وفى معرفه معنى الحكومه وتنوّعها قد بيَّنها القرآن الكريم فى الواقع فى سور

عديده قبل أربعه عشر قرن وقبل أن يهتدى إليها البشر فى القرون الأخيره، حيث إنَّ القرآن الكريم _ كما مرَّ بنا _ يصف إمامه إبراهيم وآل إبراهيم أنَّها إمامه فعليه للناس، نصبوا من قبل الله عز وجل، وهذا منصب إلهى _ كما مرَّ بنا غير منصب النبوّه والرساله _ لا تجد له تفسيراً عقدياً إعتقادياً فى غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فهناك منصب الرساله، ومنصب النبوّه، وهناك منصب الإمامه وهو منصب الخلافه الإلهيه، والإمامه من المناصب التى صرَّح ونادى بها القرآن الكريم: (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) ، والخلافه اسم آخر لنفس المسمّى وهى الإمامه، ولم يقل النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا خليفه بعدى، بل قال: (الخلفاء بعدى اثنا عشر)، نعم هذه الإمامه وهذه الخلافه وصفها القرآن الكريم بأنَّها ملك عظيم، ولم يحدّثنا التاريخ البشرى _ كما قلنا _ بأنَّ إبراهيم استولى على حكومه ظاهريه معلنه معروفه المعالم، أو رسميه رسمت وعرفت من قبل العرف البشرى، ولكن مع ذلك قام بأدوار تعجز عنها أكبر الحكومات، ففى عهد وظلّ إمامته نجح فى هدايه البشريه من عباده غير الله من الأصنام أو النجوم أو الكواكب إلى الملّه الحنيفه وعباده الله الواحد الخالق، إذ أنَّ شعوب الشرق الأوسط اهتدت على يديه، وهى ما يعادل الآن ثلاثين دوله أو أكثر، شعوب ثلاثين دوله استطاع النبىّ إبراهيم أن ينشر تعاليم رسالته بما لا تستطيع أن تقوم به دول عظمى فى عصرنا الحاضر، لأنَّ التبديل العقائدى أصعب أنواع التبديل والتغيير، إذ ربَّما يحدث تغيير سياسى أو تغيير عسكرى أو تغيير اقتصادى، أو تغيير فى الأخلاق الاجتماعيه، لكن التغيير العقدى الاعتقادى فهذا لا تستطيع أن تقوم به

دول، ومع ذلك قام به إبراهيم كفرد أو فى ضمن مجموعه أو شبكه بشريه خفيّه، حيث تتشكّل الحكومه الخفيّه للنبىّ إبراهيم فى بُعدها الملكى وفى بُعدها البشرى وفى بُعدها من ناحيه الأسباب الماديه مضافاً إلى الحكومه الملكوتيه من طاعه الملائكه عبر برمجه البرنامج الإلهى والأوامر الإلهيه، وهذه الحكومه التى يصفها القرآن بالمُلك العظيم فى سوره النساء توجد فى هذه الأمّه الإسلاميّه مثلها حيث إنَّ هناك ثلّه قد آتاهم الله منصب الإمامه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، هذا الملك العظيم الذى يصفه القرآن الكريم لآل إبراهيم يتجسَّد فى هذه الأمّه أيضاً من خلال وجود الخلافه، وهو طاعه الملائكه وغيرهم وتجنيدها بما فيهم المقرَّبون، وهنا أيضاً تطالعنا ظاهره الخضر، فهذه الحكومه مفعّله من قبل الله عز وجل من لدن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى إلى نبيّنا الأكرم سيّد الرسل وسيّد الكائنات، ثمّ الخلفاء من بعده التابعين له المنقادين له.

فمن السذاجه أو من الغفله أن يظنّ الظانّ أو القارئ للقرآن الكريم أو المسلم أو المؤمن أنَّ حكومه المهدى عليه السلام تتشكَّل فقط فى عصر الظهور، بل هى مشكّله الآن من هذه الشبكه البشريه: (فَوَجَدا عَبْداً) ، من مجموعه (مِنْ عِبادِنا) ، هنا يعزى لهم القرآن الكريم أدواراً خطيره فى مصير البشريه، هذه نكته ونقطه مهمّه وحساسه وهى أنَّ القرآن الكريم ينبئنا فى إجابته عن الضمانات لوجل النبىّ فى بقاء الدين وانتشاره وظهوره على الدين كلّه، ليس من عمل المصادفه تحقّق الوعد الإلهى، وليس من الفجأه، وليس أيضاً من الإلجاء الإلهى، فإنَّ سُنّه الله

أن تجرى الأمور بأسبابها (لا- جبر ولا- تفويض)، هذا الدور الذى يقوم به الحجّه ليس دوراً فردياً، وإنَّما هو دور منظومى ومجموعى، دور فى ظلّ حكومه خفيّه وفى ظلّ مجموعه بشريّه وشبكه بشريه منتشره فى أرجاء الأرض، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم، حتَّى فى أوّل اللقاء بين موسى والخضر فى مجمع البحرين، فهذه الشبكه موجوده فى بقاع الأرض وأرجاء الأرض كافّه، ولكن لم يفصّل لنا القرآن الكريم إلاَّ بهذا القدر، هذا درس وصرح عقائدى يبرزه لنا القرآن الكريم فى سوره الكهف لهذه الأمّه لهذه الحقبه الزمنيه إلى موعد الظهور والإنجاز الإلهى من إظهار الدين على أرجاء الأرض كافّه.

هناك إذن حكومه حقبه بشريه، غايه الأمر أنَّ البشر لا بدَّ أن يقوموا بالمسؤوليه التى على عاتقهم من النصره لدين الله والنصره لإنجاز وعد الله.

دور الإمام المهدى عليه السلام ليس فردياً فى الغيبه:

هناك شاهد قرآنى عظيم على حقيقه الإمام المهدى عليه السلام، لأنَّ طول عمر الخضر متسالم عليه باتّفاق كلمه المفسّرين واتّفاق كلمه فِرَق المسلمين، إلاَّ من شذَّ وندر، وطول العمر هذا مقارن لقيامه واضطلاعه بأعباء المسؤوليه التى توكل إليه من ربّ العالمين، من خلال العلم اللدنّى الذى زوَّده به الله تعالى، والقرآن لم يحدّثنا كثيراً عن مجموعه الخضر إلاَّ أنَّه عرَّفهم بأنَّ عندهم رحمه ولطف خاصّ من الله: (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف: ۶۵)، فعبوديه الخضر ومجموعته تتَّصف بمثل هذا المقام، وهو مقام العلم اللدنّى، وفى الواقع فإنَّ هذه الأدوار التى سنخوض فيها شيئاً فشيئاً نرى أنَّها ليست أدوار فعل

فردی، بـل أدواراً ترتبـط بالفعـل النظامی والنظمی والفعل الاجتماعی والظاهره الاجتماعیه والسیاسـیه والاقتصادیه، وبعباره أخری الفعـل بالظـاهره النظمیه فعـل فی النظم وفی التـدبیر، وفی الإداره والمس والمسـیس بمجمل النظام البشـری، مثلاً فی بـدایه هـذه الأنشـطه التی یحـدّثنا بهـا القرآن الکریم عن الخضـر ومجموعته، تواصـل الآیات: (قالَ لَهُ مُوسـی هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْـداً) (الکهف: ۶۶)، تبیّن الآـیه هنـا الرشـد مقابـل الغیّ، وهی هـدایه مقابـل هوایه، إذ لم یعبّر النبیّ موسـی بالقول: هل أتبعـک علی أن تعلّمنی ممَّا علّمت شـریعه، أو ممَّا علّمت منهاجـاً، أو ممَّا علّمت من الـدین الإـلهی وإنَّمـا: (مِمّا عُلِّمْتَ رُشْـداً) ، والرشـد هو الصواب فی تطبیق الشـریعه وإقـامه الشـریعه فی النظام الاجتماعی، وهـذا أیضاً تـدلیل آخر دالٌّ علی أنَّ دائره وحومه وحوزه البرنامـج الذی یقوم به الخضـر والشـبکه البشـریه هی فی مجال إقامه الشـریعه، وفی مجال إقامه النظام للشـریعه وتطبیقها، (قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ) ، فقال له موسی علیه السلام: (هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) .

قال الشهید الثانی قدس سره(۱):

۱- (۱) هو الشـیخ الشـهید السـعید زین الدین بن نور الدین علی بن أحمد العاملی الشامی الجبعی المعروف بالشـهید الثانی، من مشاهیر الفقهاء المتبحّرین العظام، ومن الوجوه المشـرقه فی التاریخ الدموی للإسلام، ولد فی (۱۳) شوال سنه (۹۱۱ه-) فی جبع، ختم القرآن وعمره تسع سـنوات، درس علی والده ثمّ سافر إلی میس ودرس فیها، ثمّ ارتحل إلی الشام ودرس فیها علی عدّه من علمائها، ثمّ ذهب إلی مصـر ودرس فیها عنـد أفاضل علمائها، له من الآثار (۷۹) مصـنَّفاً، أشهرها الروضه البهیه ومسالک الأفهام، واستشهد رحمه الله سنه (۹۶۵ه-) فی قصَّه مفصَّله کما حکاها السیّد الأمین فی أعیان الشیعه ۱۴۳ :۷ - ۱۵۸/ الرقم ۴۹۳، فراجع.

(إنَّ قول موسى عليه السلام: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) ، دلَّت على اثنتى عشره فائده من فوائد الأدب)(۱)، ولا ريب أنَّ هذه

۱- (۱) قال الشهيد الثانى قدس سره فى كتابه (منيه المريد: ۲۳۵ - ۲۳۷): (وفى قوله: سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِ لَكَ أَمْراً جمله جليله من الآداب الواقعه من المتعلّم لمعلّمه، مع جلاله قدر موسى عليه السلام وعظم شأنه، وكونه من أولى العزم من الرسل، ثمّ لم يمنعه ذلك من استعمال الآداب اللائقه بالمعلّم، وإن كان المتعلّم أكمل منه من جهات أخرى... نشير إلى ما يتعلَّق بالكلمه الأولى، وهى قوله: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً. فقد دلَّت على اثنتى عشره فائده من فوائد الأدب: الأولى: جعل نفسه تبعاً له، المقتضى لانحطاط المنزله فى جانب المتبوع. الثانيه: الاستيذان ب (هَلْ)، أى هل تأذن لى فى اتّباعك، وهو مبالغه عظيمه فى التواضع. الثالثه: تجهيل نفسه والاعتراف لمعلّمه بالعلم بقوله: عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ. الرابعه: الاعتراف له بعظيم النعمه بالتعليم، لأنَّه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله تعالى به، أى يكون إنعامك علىَّ كإنعام الله عليك. ولهذا المعنى قيل: (أنا عبد من تعلَّمت منه). و(من علَّم إنساناً مسأله ملك رقّه). الخامسه: أنَّ المتابعه عباره عن الإتيان بمثل فعل الغير، لكونه فعله لا لوجه آخر، ودلَّ ذلك على أنَّ المتعلّم يجب عليه من أوّل الأمر التسليم، وترك المنازعه. السادسه: الإتيان بالمتابعه من غير تقييد بشىء، بل اتّباعاً مطلقاً، لا يقيّد عليه فيه بقيد، وهو غايه التواضع. السابعه: الابتداء بالاتّباع، ثمّ بالتعليم، ثمّ بالخدمه، ثمّ بطلب العلم. الثامنه: أنَّه قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ، أى: لم أطلب على تلك المتابعه إلَّا التعليم، كأنَّه قال: لا أطلب منك على تلك المتابعه مالاً ولا جاهاً. التاسعه: مِمّا عُلِّمْتَ إشاره إلى بعض ما علم، أى لا أطلب منك المساواه، بل بعض ما علمت، فأنت أبداً مرتفع على زائد القدر. العاشره: قوله: مِمّا عُلِّمْتَ اعتراف بأنَّ الله علَّمه، وفيه تعظيم للمعلّم والعلم وتفخيم لشأنهما. الحاديه عشره: قوله: (رُشْداً) طلب الإرشاد، وهو ما لولا حصوله لغوى وضلَّ، وفيه اعتراف بشدّه الحاجه إلى التعلّم، وهضم عظيم لنفسه، واحتياج بيّن لعلمه.-

الآداب آداب إلهيه علَّمها الله عز وجل أنبياءه، ممَّا يدلّ على خطوره الأمور وواقعيه هذه الشبكه والمجموعه البشريه التى تقوم بهذه الأدوار، بعد ذلك تواصل الآيات: (قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً*وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) (الكهف: ۶۷ و۶۸)، هنا يبيّن الخضر قاعده معرفيه أو ضابطه فيها معارف جمّه يستنير منها الإنسان، وهى أنَّ طبيعه الإنسان أنَّه لا يصبر على ما لم يحط به علماً دوماً، باعتبار أنَّ العلم يوسّع أفق الإنسان ويشرح صدره وبالتالى يزيد فى صبره ومقاومته وقوّته، ومن ثَمَّ فإنَّ الذى ييأس من بصيص الأمل تكون حصيله صبره لا ريب ضعيفه وقليله، بخلاف الذى يفتح له الأمل والاحتمال الذى هو عباره عن اتّساع الأفق، والنظر إلى ما وراء، وعدم الاحتجاب بحجاب قاصر، بل رمى البصر والبصيره إلى أبعاد وسيعه، ومن ثَمَّ يعلم ضروره الاعتقاد والإيمان بالمنجى والمصلح، وأنَّه لماذا (أفضل أعمال أمّتى انتظار الفرج من الله عز وجل)؟ كما ورد فى الحديث النبوى؛ لأنَّ انتظار الفرج باعث على الحيويه وباعث على الأمل وباعث على عدم الركوع والخنوع والانكسار والسقوط، بل فى الواقع يضخّ فى الإراده الإنسانيه أو فى إراده المجتمع الإسلامى مزيد القوّه ومزيد الإراده، لأنَّ الأمل يوسّع ويتَّسع ويفتح ويفرج ولذلك سمّى الفرج فرجاً، لأنَّه يفرج فى الواقع من ضيق الأفق

إلى آفاق أوسع وأوسع، ومن ثَمَّ تكون حينئذٍ إراده المجتمع الإسلامى إراده قوّيه حديديه لا تنكسر أمام الخصوم وأمام ضغوطات الأعداء، مهما كانت تلك الضغوطات وتلك المخطّطات الهدّامه التى تفت فى العضد، ولكن مع وجود بارقه الأمل تجعل الثبات والصبر وطيداً.

أنقل هنا عباره لخبير أمنى استراتيجى فرنسى يُدعى (فرانسوا توال) كتب كتابه (الجغرافيا السياسيه للشيعه) بعد سقوط الطاغيه صدام ونشر فى مراكز الدراسات الغربيه حيث يذكر فيه أنَّ الاعتقاد بالإمام المهدى يضخّ وينبض بالأمل وبالإراده وبالثبات وبقوّه الاستقامه وقوّه الشخصيه لأتباع أهل البيت، لأنَّ وجود الأمل يجعلهم لا ينكسرون ولا ييأسون ولا يستيئسون، بل حينئذٍ يدوم ثباتهم وغايتهم وقوّتهم، وكذلك ذكر فى كتابه أنَّ معنى الغيبه للإمام المهدى عليه السلام يعنى فيما يعنيه الخفاء فى الحركه والنشاط وحيويه الحركه فى أفق واسع متّسع فى الغيبه.

فهو باعتباره خبيراً أمنياً فَهِم والتقط الشفره العقائديه المهمّه فى معنى الغيبه، وأنَّها ليست بمعنى أسطوره وخرافات، وإنَّما الغيبه تعنى خفاء وسرّيه الحركه فى ظلّ نشاط وأدوار فى النظام البشرى، هذا الذى استوحاه من معنى عقيده الغيبه للإمام المهدى عليه السلام، بل الملفت للنظر فى كلامه أنَّه لا يتعرَّض لغيبه المهدى عليه السلام تحت عنوان أنَّ الشيعه تزعم ذلك، بل يتعاطى مع غيبته كحقيقه راهنه مفروغ عنها وأنَّها سرّ قوّه التشيّع والشيعه.

كما قال أيضاً حول العقيده بالعداله المهدويه: (هذه العقيده مرشّحه لأن تعتنقها المجتمعات البشريه أجمع بين ليله وضحاها، وبأسرع ممَّا انتشرت فيه الشيوعيه)، هذا نصّ عبارته، ومن ثَمَّ يكتب عن هذه

الحقيقه فيقول: (أنا أهيب بالساسه الدوليين والمراقبين الدوليين أن يتعرَّفوا على نظريه وعقيده العداله المهدويه، لأنَّها هى الأطروحه المستقبليه التى لا بدَّ أن يتصدّى فى قبالها نظم وأنظمه الغرب)، ومن ثَمَّ هو يهيب بالمراقبين الدوليين والساسه العالميين أن يولوا العنايه والتفكير بدراسه مثل هذه الأطروحه لأجل التصدّى، وما شابه ذلك حسبما هو يذكره.

وهناك جمله من الباحثين فى علم الاجتماع يذهبون إلى أنَّ الغرب وحتَّى شرق آسيا قد ينعم بنسبه من الحرّيه ونسبه من العداله، ولكن إلى الآن لم ينعم هؤلاء بالعداله، وهم يتطَّلعون إلى العداله الكامله ومن ثَمَّ الأطروحه التى تحقّق مثل هذا الأمل، أو هذه الأنشوده التى تخفق بها قلوب البشر، سرعان ما تنجذب البشريه إليها بشكل خفّاق وسريع وأخّاذ بمجامع القلوب والعقول.

والحاصل إنَّ أدنى منصف نخبوى يفهم لغه الأمن الاستراتيجى، ولغه الأدوار النظميه يفسّر معنى الغيبه للإمام المهدى عليه السلام أنَّها عباره عن هذا المنهاج وهذا التقدير الإلهى الذى هو فى الواقع نوع من التوطيد الأكثر دقّةً لقيام الإمام المهدى عليه السلام مع الشبكه التى تحيط به، وهى ظاهره الخضر ومجموعته المزوَّدون بالعلم اللدنّى بقيامهم بدور الحكومه الخفيّه.

وهنا يحضرنى كلام لوزير الدفاع الأمريكى كتبه فى مجله اسمها ما ترجمته (الشؤون الخارجيه الأمريكيه) فى عددها الصادر فى (٢٠٠٢م) لعدد شهر مايو الشهر الخامس والسادس الميلادى، حيث تحدَّث عن التحوّلات العسكريه فى المنطقه وفى العالم، قال: (إنَّ

التحدّى الذى يواجهنا فى القرن الجديد تحدٍّ مختلف، علينا الدفاع عن أمّتنا ضدّ المجهول غير المعلوم غير المرئى وغير المتوقّع).

لماذا وصف العدوّ فى زعمه أنَّه عدوّ (مجهول) علينا الدفاع عن أمّتنا ضدّ المجهول؟، ويا ليته ينتشل أمّته من الفقر ومن الحرمان الذى يفرضه واقع الطبقه الاقطاعيه، لأنَّه كما تحدَّثت منظّمه الأمم المتّحده قبل سنين فى تقرير لها: أنَّ ما يقرب من تسعين بالمائه من ثروات أمريكا هى بحوزه ما يقرب من أربعه بالمائه من الشعب الأمريكى. وبقيّه الشعوب الأمريكيه من الطبقات المتوسّطه أو المحرومه المسحوقه، وهنا يدّعى الدفاع عن أمّته، والحال أنَّ الإمام المهدى عليه السلام يبعثه الله لإفشاء ونشر العداله والقسط فى الأرض. فذكر أربع صفات: المجهول، غير المعلوم، غير المرئى، غير المتوقّع. هذا يكتبه فى مقاله تصدر فى مجله رسميه تصدرها وزاره الخارجيه الأمريكيه، بعد ذلك يواصل عبارته:

(ممكن أن يبدو ذلك مهمّه مستحيله، لكن هذا هو الحلّ للقيام بها، علينا أن نضع جانباً الطُرق المريحه للتفكير والتخطيط، وأن نأخذ المخاطر ونجرّب أشياء جديده)، يقول هو حسب زعمه: (هكذا يمكننا مواجهه وهزيمه الخصوم الذين لم يبرزوا بعد ليتحدّونا)، خصوم وصفهم بأنَّهم لم يبرزوا بعد، ولا يشير هذا الوصف إلى القاعده فإنَّها إن صحَّ مواجهتها للدول الغربيه وما شابه ذلك، فهى الآن أصبحت معلومه، وبرزت فى ميدان مع الغرب على حسب السيناريو الظاهر المطروح.

فالمقصود بتعبيره: (الذين لم يبرزوا بعد ليتحدّونا)، وتعبيره: (ضدّ المجهول، غير المعلوم، غير المرئى، غير المتوقّع) أنَّهم يقرأون من هذه الأدبيات أنَّ غيبه الإمام المهدى عليه السلام هى غيبه خفاء وليست غيبه مزايله

عن ساحه الحدث وابتعاد عن مجريات الأمّه، بل هو فی کبد شؤون الأمّه، وتحیطه مجموعه من خلالها یقوم بأدوار یعیی ویعجز البشر بالرغم ممَّا أعدّوا من أسلحه عملیه وقنوات استخباراتیه وآلیات ضخّ المعلومات؛ لأنَّهم لا یستطیعون إلی الآن أن یکتشفوا مثل هذه المجموعه المؤثّره التی نقرأها فی أدبیات المسلمین وأحادیث النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم والقرآن وأحادیث أهل البیت علیهم السلام حول الإمام المهدی علیه السلام، وأیّما خبیر أمنی استراتیجی تعطیه سوره الکهف أو ظاهره الخضر لیقرأها فإنَّه یستنبط منها أنَّها عملیه مجموعه أو منظومه تقوم بأدوار حکومه فی الأرض، أو تقوم بمثل هذه الأدوار فی ظلّ خفاء مطبق؛ لأنَّ أدواتها العلمیه لیست عن طریق الأثیر ولا عن طریق الأسباب المادیه، بل عن طریق العلم اللدنّی الذی زوّدت به، وهو رحمه ولطف إلهی خاصّ، فهو یفوق أفق البشر.

نعم تواصل الآیات فی قول الخضر للنبیّ موسی: (قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً*وَ کَیْفَ تَصْبِرُ عَلی ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) (الکهف: ۶۷ و۶۸)، فالأزمه فی البشریه هی المعرفه، أی إنَّها تجحد ما وراء علمها، وهذا هو منهج: (بَلْ کَذَّبُوا بِما لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ) (یونس: ۳۹)، وهذه توصیه من القرآن أنَّ الإنسان عندما لا یحیط بشیء علماً أو خبراً فلا یجحده، بل یسعی ویجری إلی الفحص عن حقیقته؛ فإذا کان شعار الإنسان التصدیق بما یحیط به علماً، والإنکار بما لا یحیط به علماً، فهذا شعار تفشّی الجهل، والجهل عدوّ، لأنَّ قوافل العلم فی العلوم المختلفه عند هؤلاء البشر هو اکتشاف المجهول، ولو لم یکن حرص البشر وأمل

النخبه المتخصّصه من البشريه فی أیّ علم من العلوم لأجل اکتشاف المجهول والرغبه فی کشف الستار عن علم خفی عن حدود إحاطه البشر، فلو لم تکن لدیهم تلک الرغبه، ولو لم یکن لهم ذلک الأمل لوقفت قوافل العلوم البشریه، فالنهج العلمی هو عدم إنکار المجهول، وذلک بالسعی والبحث عنه، إذ له أعیان وعینیه تکوینیه فی الخارج.

وإنکار ما لا یعلمه الإنسان لیس قاعده ولا منهجاً علمیاً، وإنَّما هو منهج جهاله، لاسیّما مع عدم الإحاطه الحسّیه بالأشیاء، وقد تکون أمور کثیره یعلمها الإنسان الآن، کالکهرباء إذ لا یشاهدها بالحسّ ولکن یعلمها عن طریق استخدامها، وکثیر من الأمور المغیبه عن حسّ الإنسان، فهل من الصحیح أن یبادر الإنسان بالتکذیب والجحود بها؟ هذا منهج الجهلاء وطریقه الأمیین، فشعار العلم هو الفحص والتحرّی والتنقیب عمَّا لا یعلمه الإنسان، لا المبادره والمسارعه بالإنکار والجحود للذی لا یعلمه، هذا ما یوصی به الخضر: (قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً) ، هذه هی طبیعه الإنسان، (وَ کَیْفَ تَصْبِرُ عَلی ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) ، ما لا یعلمه الإنسان من ضیق أفقها فی طبیعتها _ وإن کان الأنبیاء منزّهین طبعاً عن ذلک _ وإنَّما هی طبیعه الخلقه البشریه، الأنبیاء بما زوّدوا من کمالات لا ینحازون لمثل هذا النقص البشری، ولکن هذا النقص موجود عند الإنسان عندما لا یحیط بشیء یتأکّده، ویثقل علی کاهله التفتیش والتنقیب والتعلّم عمَّا لا یعلم، فیبادر بالإنکار والجحود، کما ورد عن الباقر علیه السلام: (لو أنَّ العباد إذ جهلوا وقفوا، لم یجحدوا ولم یکفروا)(۱).

۱- (۱) المحاسن للبرقی ۲۱۶ :۱/ ح ۱۰۳.

هل يمكن ادّعاء شخص أنَّه من رجال الغيب ؟

سؤال: هل يمكن أن يـدّعى أحد أنَّه من عناصـر الشـبكه التى عرفناها فى القرآن الكريم من خلال سوره الكهف فى قوله تعالى: (عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ؟ الجواب: لا يمكن أن يدّعى أحد هذا الادّعاء، وإن ادّعى هذه الدعوى فهذه علامه الكذب والدجل والافتراء، لأنَّ من خاصّيه هذه الشبكه هى السرّيه التامّه والخفاء التامّ، إذ كان لقاء النبىّ موسـى مع الخضر محاطاً بهاله من السرّيه والتعتيم والتكتّم الإلهى بعلامتين (مجمع البحرين) و(ضـياع الحوت) ضـياع السمك الذى لديهم وانسيابه فى عمق البحر. علامتان خفيّتان جدًّاً لم يعلم بهما حتَّى صاحب موسـى وفتاه ووصـيّه يوشع بن نون، وإنَّما علم بهما النبىّ موسى ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه المجموعه يحيطها الله بهاله من الخفاء والسرّيه وعدم الانكشاف من أىّ عنصر من عناصر الدليل.

نعم دور الإمام والشـبكه الخفيّه التى تحيط به متفاعل مع البشـر من دون أن يشـعر به كما مرَّ بنا فى قصَّه يوسف وفى قصَّه موسى وغيبتهمـا، هـذان النبيّان حينما كانت لهما أدوار مهمّه مصـيريه متفاعله مع النظام البشـرى يتعاطون معهم من دون أن يشـعر أحد منهم، فمـا نقوله بانقطـاع الواسـطه لاـ يعنى ذلك أنَّ هناك انقطاعاً فى التفاعل، لكن من طرف واحـدٍ لا من طرفين، التفاعل من طرف الإمام المهدى ومجموعته مع البشـر ونظامه الاجتماعى السياسـى من دون شعور الطرف الآخر به، فهذه محطّه بالغه الأهميه لكى لا ينفتح باب النصب والاحتيال والدجل والافتراء والكذب. فمن الأدبيات الجليّات فى علم الأمن البشرى فضلاً عن علم

الأمن الإلهی، إنَّ عناصر الخفاء یجب أن تبقی فی الخفاء، وما إن تظهر إلی منصّه الظهور فهذا هو موتها وزوالها.

فالبروز والظهور والانکشاف والانفضاح والاشتهار منافٍ لأوّلیات صرح وجودها وتأسسها من قبل البرنامج الإلهی، ومن ثَمَّ فإنّض هذه المجموعه _ کما تحدّثنا الکثیر من الروایات الوارده عن بعض حالات أصحاب عناصر هذه المجموعه _ ما أن یکتشف أحد عناصرها أنَّه من الأبدال وما شابه ذلک تعاجله رصاصه الموت، ویعاجله الأجل من الله عز وجل، لأنَّ المقدَّر لهذه المجموعه أن لا تکشف ولا تبدی ولا تبرز عناصرها، ومن ثَمَّ ما أن یحین انکشاف عنصر من عناصرها وواحد من أفرادها حیث یعرف بالتقی وبالصلاح وبأنَّ له نحو من الأدوار الغیبیه یعاجل بمجیء الأجل الإلهی، ومجیء الأجل نوع من التصفیه لوجوده العلنی، کی لا یصبح وجوده مخلاً ومربکاً لدور تلک المجموعه، وهذا شبیه ما یعتمد الآن فی المجموعات الأمنیه أنَّه إذا عُرف تورّط عنصر فی الدول العصریه مثلاً ـ فی جهاز معیَّن أو ما شابه ذلک یصفّی من قبل نفس ذلک الجهاز کی لا یکون نافذاً لتسرّب واختراق العدوّ فی ذلک الجهاز، وإن کانت هذه تصفیه تنتهجها أجهزه الظالمین وأجهزه دول الطغیان، ولکن هذا النهج موجود أیضاً فی التقدیر والقضاء الإلهی ولیس من باب الغشومه والعدوان، ولکنَّ أصل برنامج ونظام الخفاء الأمنی یستدعی مثل هذه الإحاطه وهی عدم بروز العناصر وانکشافها، وإلاَّ ـ لوافاها الأجل، فإذن ما یری بین الفینه والأخری من ظهور مدّعین أو متشدّقین بمثل هذه المقامات فی العلن والاشتهار، فهو فی الحقیقه نوع من النصب

والـدجل والحيله والاـفتراء لأجـل جـذب ضـعاف العقول أو قليلى المعلومـات أو الأـميّين ومن هم على شـاكلتهم، لحرف مسـيره المؤمنين عمَّا هى عليه من الاسـتقامه، ولقد بات ضرورياً فى مذهب الإماميّه حتَّى عرفته عنهم المذاهب الإسلاميّه كافّه، أنَّ الإمام المهدى عليه السلام فى غيبه وخفاء عن شعورنا به وبوجوده وخفاء إحساسنا به، لأنَّنا فى معرض التفاعل مع أدوارهم من حيث لا نشعر، وهو يقوم مع المجموعـات الإـلهيه بتلـك الأـدوار الحسـاسه الخطيره من حيث لاـ نشـعر ولاـ نعرف تلك الأدوار وطبيعتها وآثارها القريبه، وإن كنّا نشعر بالآثار العامّه التى يقومون بها، ومن ثَمَّ فقد اتَّفقت مدرسه أهل البيت وأتباعها أنَّ من ادّعى الرؤيه فهو كاذب، والمقصود من الرؤيه ليس أصل التشرّف بالإمام المهدى عليه السلام، وقد بيّنا أنَّه يمكن أن تصبح هناك حالات من التشـرّفات، كمـا فى ظـاهره النبىّ يوسف وغيبته أو حتَّى ظاهره الخضـر، وإنَّما المقصود هو أن من يـدّعى الرؤيه لا يـدّعى بها إلاَّ لأجل غرض احتلال موقعيه الوساطه بين الإمام الغائب وبين البشـريه، وهذه الدعوى وإن لم تُدَّعَ صريحاً من قِبَل أصحاب النصب والاحتيـال والـدجل والفريه، إلاَّـ أنَّهـا ادُّعيَت على مسـتوى الوصول والالتقـاء بالإمام الغائب أو برجال الغيب الـذين هم من هـذه المجموعه التى يستعرضها لنا القرآن الكريم.

فمثل هـذه الـدعاوى تغلّف الـدعوه الأصـليه التى يريد صاحب النصب والاحتيال ادّعاءها، وهو أنَّه سـفير أو نائب خاصّ أو كونه واسـطه أو كونه من موالى الإمام الغائب الحجّه مع بقيّه الـدوائر البشـريه، وللأسف فإنَّ هـذا نوع من الافتراءات والأكاذيب تنطلى على ضعاف

العقول وعلى قليلى المعرفه، وإلاّ فقـد بات الأمر ضـرورياً كما تؤكّد سوره الكهف لهذه المجموعه أن تكون فى الخفاء، ومن ثَمَّ نشاهد فى بدء لقاء النبىّ موسـى مع الخضـر أنَّ الله وضع لموسى من دون علم وصيّه يوشع بن نون ـ الذى عبَّر عنه فى الآيه بفتاه ـ علامتين هما: مجمع البحرين، وانسـياب السـمكه أو الحوت إلى الماء، فتلك العلامتان رمزيتان خفيّتان وضـعاً، إذا افترضـنا أنَّه سوف يشاهد الخضـر من تلك المجموعه، وحتَّى بعد اللقاء فإنَّ النبىّ موسـى يطلب وبالتماس من الخضر أن يواصل لقاءه وبقاءه معه، (قالَ لَهُ مُوسـى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۶)، يستجيز الخضر ليبقى معه، فأجابه الخضر: (قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً*وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) (الكهف: ۶۷ و۶۸)، إلاَّ أن الفتره كانت وجيزه، وكان اللقاء متواصلاً بين النبىّ موسى والخضر حتَّى وصل إلى ساعه الافتراق (قالَ هذا فِراقُ بَيْنِى وَ بَيْنِكَ) (الكهف: ۷۸).

فنبىّ الله موسـى المرسل وهو من أولى العزم لم يـدم وصاله واتّصاله بهـذه المجموعه، فكيف بغيره؟! على أنَّ نفس الآيات تعطينا زوايـا عديـده وملامـح كثيره على سرّيه وخفـاء هـذه المجموعه وأنَّها لا تتَّصل فى المكشوف مع علم البشـريه، وإن كانت تقوم بأدوار فى خضم المجموعه البشـريه وفى خضم النظم البشـريه، ولكن ليس هناك معرفه بهم وبهويتهم وبحقيقه ما يقومون به من أدوار، هـذه التعبيرات ليست عبطـاً وإنَّمـا هى تعبيرات لهـا مؤدّيـات أمنيه إستراتيجيه فى الخطّه الإلـهيه لإصـلاح البشـر، حيث إنَّ ظاهره الخضـر كما تعرَّضنا لها مراراً استعرضت لأجل طمأنه النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى بدء سوره الكهف عن وجله حول بقاء الدين وتحقيق الوعد الإلهى بإظهار الدين على الدين كلّه ولو كره المشركون

کما فی الآیه: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) (التوبه: ۳۳)، حیث استعرضت المحور الأصلی فی هذه السوره: (فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً) (الکهف: ۶)، حینئذٍ تواصل السوره بیان ضمانات إلهیه لطمأنه النبیّ بإبقاء الدین من الحاله الفطریه للبشر کما فی مثال أصحاب الکهف والرقیم، ومنها استخلاف الخلیفه وهو الإمام الذی له ملک عظیم یعنی ملک التدبیر وملک القدره، وطاعه کلّ ملائکه الله بکلّ طبقاتهم له، کما استعرض ذلک القرآن الکریم فی سور عدیده، ومنها إحاطه هذا الخلیفه بضمانه ثالثه وهی المجموعه البشریه: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَیْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا) (الکهف: ۶۵)، مجموعه عباد مزوَّدین بالعلم اللدنّی ومزوَّدین برحمه ولطف إلهی خاصّ یقومون بهذه الأدوار، فالسیره التی شاهدها النبیّ موسی من الخضر هی أدوار مفصلیه مصیریه خطیره عصیبه جدًّاً وحساسه فی النظام البشری مشحونه بالجوّ الرمزی وجوّ الخفاء الأمنی فی التعامل بین النبیّ موسی والخضر فی اللحظه الأولی: (قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِی فَلا تَسْئَلْنِی عَنْ شَیْ ءٍ حَتّی أُحْدِثَ لَکَ مِنْهُ ذِکْراً) (الکهف: ۷۰)؛ لأنَّ عملیه الأخذ والعطاء الحواری والکلامی تسبّب کشف القناع عن تلک الأوامر والمسؤولیات والأدوار التی أوعزت إلی تلک المجموعه والتی تقتضی الخفاء فی کیفیه التنفیذ وفی کیفیه القیام بها وفی کیفیه مواصلتها، ومن ثَمَّ فالآیه الکریمه توحی بالأجواء الأمنیه بشکل واضح، وإنَّ من شرائط صحبه النبیّ موسی للخضر فیما یقوم به من أدوار أن یکون هناک نوع من الصرامه فی الإجراء وفی التنفیذ من دون أیّ عائق وأیّ تلجلج وأیّ تلکّؤ. وطبیعه الأدوار الخفیّه سواء أکانت بیئتها اقتصادیه أم أمنیه أم سیاسیه أم اجتماعیه خیریه محضه تتطلَّب أن تنجز فی ظلّ الأجواء السرّیه والحکومه الخفیّه، وطبیعتها تتطلَّب نوعاً من الصرامه والسرعه فی الإنجاز

والإنفـاذ، ومن دون أىّ معوّق واعتراض وما شابه ذلك، يعنى ليست طبيعه أداء تلك الأدوار أن تأخـذ لوناً وطابعاً كما هى أدوار الحكومه فى العلن وعلى المكشوف من مـداوله الأمور وبترسّـل وأخـذ ونقـاش ومصادقه مجلس نيابه أو ما شابه ذلك من أمور معيّنه، بل تلك الأمور فى حاله الخفاء تتَّخذ جانب السرعه والإنفاذ والبتّ والصرامه وعدم المعوّقات، فهذه آيه أخرى من الآيات فى ظاهره النبىّ موسـى مع الخضـر عليهما السـلام ومجموعته وشبكته البشريه تدلّل على أنَّ الأدوار فى أىّ حقل من الحقول التى هى أدوار فى الخفاء تمتاز بهذا الطابع وبهذه المعالم.

الأدوار الثلاثه للخضر:

نعم بعـد ذلـك تواصـل الآيات اسـتعراض مثل هـذه الأدوار التى يقوم بها الخضـر (فَانْطَلَقا حَتّى إِذا رَكِبا فِى السَّفِينَهِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَـدْ جِئْتَ شَـيْئاً إِمْراً*قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً*قالَ لا تُؤاخِـذْنِى بِما نَسِـيتُ وَ لا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْـراً*فَانْطَلَقـا حَتّى إِذا لَقِيـا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّهً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَـدْ جِئْتَ شَـيْئاً نُكْراً*قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِىَ صَبْراً*قـالَ إِنْ سَأَلْتُـكَ عَنْ شَـىْ ءٍ بَعْـدَها فَلا تُصـاحِبْنِى قَـدْ بَلَغْتَ مِنْ لَـدُنِّى عُـذْراً*فَانْطَلَقـا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَهٍ اسْـتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَـيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً*قالَ هذا فِراقُ بَيْنِى وَ بَيْنِكَ) (الكهف: ٧٨ _ ٧١)، فطبيعه هـذه الأدوار الثلاثه التى هى نموذج لما شاهـده النبىّ موسـى مع الخضـر غير معلومه الوجه، يعنى حتَّى الدور ونفس الفعل الذى يقوم به الخضـر ومجموعته هو غير واضح بالنسـبه للناظر من بعد أو من قرب، حيث لا يكون هو فى ضـمن تلك الشـبكه الإلهيه والمجموعه الإلهيه المسنده لها تلك الأدوار والبرامج، ويا له من خفاء، ويا له من غموض فى السرّيه وتوغّل فى الاستتار

الشديد، حتّى إنَّ أفعالهم وحركاتهم غير معلومه الوجهه وغير معلومه الغايه والحكمه والهدف الظاهر، تلك الأفعال ربَّما لا يستطيع الناظر حتّى من قرب أن يترجمها وإن كان نبيّاً من أنبياء الله كموسى الذى هو من أولى العزم ومرسل، فكيف بغيره؟ بعد ذلك يقول له الخضر: (هذا فِراقُ بَيْنِى وَ بَيْنِكَ) ، الاعتراض أو التلكّؤ أو التلجلج أو البط ء فى إنفاذ المأموريات ممَّا لا يتحمَّله مقام ووضعيه وبيئه هذه المجموعه التى اعتادت على الإنجاز والحتميه مع صرامه الأمر الإلهى، فلا يقبل أىّ نوع من البط ء والعوائق والتأخّر، مع أنَّ الخضر من أولياء الله وأصفياء الله، وأدبه مع النبىّ موسى أيضاً كان أدباً إلهياً عالياً، كما أنَّ النبىّ موسى كان فى تعامله مع الخضر يبدى ذلك الأدب الرائع الإلهى النبوى، ويتوضَّح أدب الخضر فى حديثه مع النبىّ موسى، قال: (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى) ، ولم يقل له: اتّبعنى، هذا نوع من الأدب، حيث جعل الخيار بيد موسى، (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلا تَسْئَلْنِى) ، لكن هنا أتى نوع من الحسم؛ لأنَّ طبيعه هذه المجموعه لا تقبل _ كما مرَّ بنا _ البط ء ولا التراخى ولا التلكّؤ ولا التلجلج، لأنَّه لا بدَّ من القيام بمسؤوليه عاليه.

طبيعه الأدوار فى ظاهره الخضر ومجموعته الخفيّه:

وتتجلّى أهمّيه هذه الأدوار بما يوضّحه الخضر نفسه بقوله: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً*أَمَّا السَّفِينَهُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَهٍ غَصْباً) (الكهف: ٧٨ و٧٩)، فخرْقُ السفينه فى ظاهره تجاوز وعدوان على ملك أصحاب السفينه، ولذلك اعترض النبىّ موسى: (قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها) (الكهف: ٧١)، لأنَّ ذلك فى ظاهره أمر مشين،

أو فعل فيه إفساد، ولكن هـذا الفعل بلحاظ عاقبته فيه تمام المصـلحه، وهذا الفعل يمثّل فى طبيعته أنَّ هذه المجموعه البشـريه لها دور فى الوضع الاقتصادى والوضع التجارى والوضع المالى والوضع المعيشـى للبشريه، يعنى تقوم بأدوار مهمّه لإنجاء البشريه فى وضعها المعاشى والغذائى والاقتصادى والمالى والتجارى عن فساد الاقطاعيين وإفساد الأغنياء الذين يبطرون فى غناهم ويمتصّون ثروات الطبقات المحرومه، فلهم هـذا الـدور من إيجاد العداله النسبيه الماليه فى المجتمعات البشـريه، فى قبال وإزاء طبقه الإقطاع وطبقه المستشرين فى امتصاص ثروات وحقوق الطبقات المحرومه المسحوقه، فهذا الفعل له هذا الطابع، ويدلُّ على أنَّه من أدوار هـذه المجموعه البشـريه وهو إرسـاء العـداله ولو بـدرجه نسبيه، لئلاَّـ يعمَّ الفساد الاقتصادى والمالى والتجارى والفساد فى معاش البشـر إلى ذروته، فهم يقفون حائلاً دون استشـراء الفساد المالى، وإن كانت العداله المطلقه الماليه هى عند ظهور الإمام المهدى عليه السـلام، وهـذا مثلٌ ضـربه الله فى سوره الكهف لطمأنه النبىّ فى بقاء الـدين، والنظام الاجتماعى وصـلاحه، وعدالته فى بُعده المالى وبُعده المعاشـى، وهذا دور مهمّ، وهذا النموذج الذى استعرضته لنا الآيه الشريفه من ظاهره فعل النبىّ موسى مع الخضر أو ظاهره الخضر مع الشبكه الخفيّه البشريه.

الحقـل الثانى الـذى تنبئنا به ظاهره الخضـر أيضاً وسوره الكهف عن أدوار مجموعه الخضـر وشـبكته الخفيّه قضـيّه الغلام: (وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكـانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِـينا أَنْ يُرْهِقَهُمـا طُغْياناً وَ كُفْراً*فَأَرَدْنا) (الكهف: ٨٠ و٨١)، فتعبير (أردنا) بـدلاً من (أردت) يـدلُّ على أنَّه ضمن مجموعته، وتأكيد على أنَّ هذه الأدوار تقوم بها

هذه المجموعه والشبکه الخفیّه من أبدال وأوتاد وسیّاح والمعروفین أیضاً فی اصطلاح علماء المسلمین برجال الغیب، (فَأَرَدْنا أَنْ یُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَیْراً مِنْهُ زَکاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً) (الکهف: ۸۱)، ورد فی روایات أهل البیت علیهم السلام وربَّما أیضاً فی روایات مذاهب المسلمین الأخری ـ وأهل البیت أدری بما فی البیت ـ أنَّ هذا الابن الذی قضی علیه الخضر (قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَکِیَّهً بِغَیْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَیْئاً نُکْراً) (الکهف: ۷۴)، لو قدّر بقاؤه لکان یحول دون تولّد سبعین نبیّاً(۱).

أنظر! ضخّ سبعین نبیّاً فی المجتمعات البشریه کم هو مؤثّر فی صلاح البشریه! وماذا یُحدث حذفُ هذا الرقم من المصلحین الإلهیین والحجج الإلهیین، وماذا ینجم عنه من انحطاط البشریه وانحدارها. فهذا الدور الثانی وله طابع آخر.

سؤال:

ربَّما یعنُّ سؤال وهو أنَّه إذا کانوا یحولون دون الفساد والظلم فی الأرض، إذن کیف أنبأتنا الروایات المتواتره عند الفریقین عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أنَّ المهدی علیه السلام بعد طول غیبته وقیامه بالأدوار الخفیّه یظهر بعد ما تملأ الأرض ظلماً وجوراً فیملأها قسطاً وعدلاً؟!

۱- (۱) فی الروایه عن الحسین بن سعید اللخمی، قال: ولد لرجل من أصحابنا جاریه، فدخل علی أبی عبد الله علیه السلام، فرآه متسخّطاً، فقال له أبو عبد الله علیه السلام: (أرأیت لو أنَّ الله تبارک وتعالی أوحی إلیک أن أختار لک أو تختار لنفسک ما کنت تقول؟)، قال: کنت أقول: یا ربّ تختار لی، قال: (فإنَّ الله قد اختار لک)، قال: ثمّ قال: (إنَّ الغلام الذی قتله العالم الذی کان مع موسی علیه السلام وهو قول الله عز وجل: فَأَرَدْنا أَنْ یُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَیْراً مِنْهُ زَکاهً وَ أَقْرَبَ رُحْماً أبدلهما الله به جاریه ولدت سبعین نبیّاً) (الکافی ۶ :۶/ باب الدعاء فی طلب الولد/ ح ۱۱؛ تفسیر القرطبی ۳۷ :۱۱).

فكيف يكون الخليفه وهـذه المجموعـات من رجـال الغيب التى تنبئنـا بحقيقتهم وظاهرتهم سوره الكهف يحولون دون استشـراء الفساد والظلم والجور؟ الجواب:

إنَّ المقصود من هذا الشـرط للظهور المذكور فى الأحاديث النبويّه شـرط بيئى، وإلاَّ فمسؤوليه الإصلاح ملقاه على عاتق الجميع، كلّهم مكلَّفـون بـالحيلوله دون الفسـاد والظلم والجـور ومجـابهته، والمقصود امتلاؤهـا ظلمـاً وجوراً بحيث لاـ يمكن حـتَّى لهـذه المجموعه البشـريه والشـبكه الإـلهيه أن تقوم بأدوارهـا من الإصـلاح فى ظـلّ الخفـاء مع قطب رحـاهم وهو الإمـام المهـدى عليه السـلام، فإذا كانت بيئه الخفاء لا تفسح المجال ولا تمكّن من الحيلوله دون الفساد فى الأرض وسـفك الدماء، يأتى حينئذٍ موعد الظهور ليبرز رجال الغيب وأمامهم الإمام المهـدى على منصّه ومسـرح الظهور لينفذ حينئذٍ وعد الله عز وجل بنشـر القسط والعدل فى الأرض، وإلاَّ فـدائماً وجود الإمام ووجود الخليفه مع هذه المجموعه التى تحيط به، هو للحيلوله دون استشـراء وامتلاء الأرض بالفساد والظلم والطغيان والجور وسفك الدماء وقطع النسل البشرى.

وهذه المجموعه التى تستعرضـها لنا سوره الكهف هى الضـمانه الثالثه لإبقاء وحمايه الدين، وتحوط خليفه الله فى الأرض وتأزره فى القيام بأدواره، وكما مرَّ بنا أنَّ دور الإمام المهـدى فى الغيبه ليس دوراً ذا طابع فردى، وإنَّما هو دور ذو طابع نظمى وحكومى فى ظلّ حكومه خفيّه وأعوان مسندون يخترقون النظم البشريه ويعيقون سياسات الظلم

والإجحاف والإفساد فى الأرض، ويصلحون ما قُدّر لهم وما خطّ وحدّد لهم من قِبَل السياسه الإلهيه فى أوامر الله عز وجل التى تتنزَّل عليهم فى العلم اللدنّى، ويحولون دون استشراء الفساد والظلم والجور وسفك الدماء.

والملاحظه المهمّه الأخرى فى طبيعه هذه المجموعه أنَّها لا تقتصر فى سياساتها وأدوارها المحسوبه على أفق قصير المدى، أو على تداعيات مقطعيه، وكيف وهى سياسات قد أرسيت من قِبَل الله تعالى، وهى أمور وبرامج قد خُطّط لها من قِبَل خالق البشر، فلا يقدّر لها أن تكون تداعياتها مقطعيه حاليه تقتصر على أفق قصير المدى كما هو الحال فى النظم البشريه ذات سياسات الخمسين سنه أو العشرين سنه أو العشر سنين استراتيجيات يبنونها ويقدّر لها أن تصيب عقوداً من السنين، أمَّا فى السياسات الإلهيه وفى البرامج الإلهيه فهناك تدبيرات وسياسات يقدّر لها أن تتجاوز الحدود والآفاق القصيره، بل إلى حدود وأمواج تبرز تداعياتها فى البحر البشرى إلى يوم القيامه، لو تصوَّرنا هذا الدور كحجر يلقى فى ذلك البحر فكيف أنَّ أمواجه تصل إلى نهايه ذلك البحر ونهايه ساحل ذلك البحر، هكذا يحسب فى التخطيط والبرنامج الإلهى الذى يعزى ويوكل لتلك المجموعه البشريه الخفيّه فيما تقوم به من أدوار، لأنَّ محاسبه أن التنسيل البشرى تضخّ فيه سبعين نبيّاً أو لا يضخّ فيه، هذه محاسبات ليست بالسهله، وإلى الآن فإنَّ أفق العلم البشرى حتَّى فى علم الأحياء وعلم التنسيل البشرى وعلم الدين وعلم الوراثه والهندسه الوراثيه يريدون أن يتوصّلوا إلى كيفيه تخصيب وتحسين النسل البشرى ضمن محاسبات حدسيه وليست محاسبات

قطعیه، ضمن محاسبات إعدادیه ولیست محاسبات باتّه، وإلی الآن لم یصلوا، بینما فی السیاسه الإلهیه والأدوار والبرامج الموکوله والمأمور بها تلک المجموعه قد حسب وحسم فیها مثل هذه المحاسبات.

فهذا الدور الثانی لهذه المجموعه ذو طابعین: طابع فی الحقل الاجتماعی والتنسیل البشری، ومسار صلاح وإصلاح النظام البشری وتنسیله وهدایته، وهو طابع اجتماعی وعقائدی محض. والطابع الثانی فی هذا الدور الثانی الذی یبرز أنَّ محاسبات هذه الأدوار لیست فی نطاق سیاسات قزمه وقتیه مقطعیه، بل هی فی سیاسات واسعه النطاق، فی سیاسات بعیده المدی، آثارها ونتاجها یصل إلی آفاق لا یمکن حسبانها فی الذهن والعلم البشری الحالی، وهذا أمر مهمّ، ممَّا یدلّل علی أنَّ خطوره دور هذه المجموعه البشریه حساس وخطیر وفی موقع عصیب یقع فی مفاصل خطیره فی العمود الفقری للأجیال البشریه، ولیس للجیل الحاضر فقط، وهذا ما تعجز عنه نظم البشر الحالیه، إلاَّ من المحاسبات الحدسیه الیسیره لم تحسم نتائجها ودرجه الإدراک العلمی فیها.

هذا الطابع الثانی فی الدور الثانی الذی قام به الخضر أمام مشهد النبیّ موسی کعیّنه یسیره.

الدور الثالث الذی قام به الخضر (فَانْطَلَقا حَتّی إِذا أَتَیا أَهْلَ قَرْیَهٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ یُضَیِّفُوهُما فَوَجَدا فِیها جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ فَأَقامَهُ) (الکهف: ۷۷)، هذه الآیات، هذه المقاطع، هذه الحالات التی تستعرضها لنا سوره الکهف ترکّز فی الفکر أنَّ الحکومه الخفیّه لرجال الغیب لا یقومون بالتفرّج فقط علی الوضع الراهن وما سیأتی من مستقبل، بل تجری فی محاسبات أدوارهم وبرامجهم وخططهم آثار الماضی

وترابطها مع الوضع الراهن، وارتباطهم مع حلقات المستقبل، ولربَّما هذا لا نجده فى سياسات الدول، الربط بين تاريخ الماضى وحالات الوضع الراهن وبيئته الفعليه وحلقات المستقبل.

وفى الحقيقه إنَّ هذا الدور الثالث معطوف على الدور الأوّل والدور الثانى من أنَّ السياسات الإلهيه التى هى مبرمجه لأدوار هذه الشبكه الخفيّه البشريه تلاحظ وتراعى حلقات الماضى وحلقات الوضع الراهن، وحلقات المستقبل فى ضمن نظم نسيجى إعجازى باهر، وهذا ما لا تستطيع أن تؤمّنه النظم البشريه فى ذلك.

ومن نافله القول أنَّ العنايه التامّه الكامله ستكون عند الظهور، عندما يملأها الإمام المهدى مع هذه المجموعات من أعوانه ووزرائه قسطاً وعدلاً، ولكن قبل ذلك تكون بقدر نسبى كما قال البارى تعالى: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ) (البقره: ۳۰)، يعنى إنَّ أبرز شىء فى الخليفه أنَّه دارئ للفساد المطبق فى الأرض، هو دارئ وحائل دون سفك الدماء وقطع التنسيل البشرى، لكن الإصلاح التّام (يملأها قسطاً وعدلاً) هذا يكون عند ساعه الظهور، ودوله الظهور، ومهما يكن فإنَّ البارى تعالى ينبئنا ويحدّثنا أنَّه لا يضيع أجر عامل، ليس فقط فى الجزاء الأخروى، وليس فقط فى ضمن دائره وسُنّه القضاء والقدر التكوينى الإلهى، بل ضمن النظام الإلهى السياسى والنظام البشرى، ولكن هو جهاز بتأسيس ربّانى وإلهى أعضاؤه وعناصره مزوَّدون بالعلم اللدنّى واللطف الخاصّ، والبارى تعالى يجازى عبر الحكومه التى أسّست من قبله تعالى، هذه الحكومه التى من الظاهر أنَّها ليست مختصّه بحقبه النبىّ موسى ولا مختصّه أيضاً بحقبتنا نحن الأمّه

الإسلاميّه، باعتبار أنّها ذُكرت نموذجاً كإجابه للوجل حول بقاء الدين الذى استعرض فى مطلع سوره الكهف، إنَّما ذكر هذا أنموذجاً إيجابياً وضمانه ثالثه لبقاء الدين فى هذه الأمّه الإسلاميّه، وفى هذا العصر أيضاً هذه السُنّه الإلهيه ليست سُنّه خاصّه بحقبه النبىّ موسى إلى أمّتنا هذه، بل كانت من عهد آدم إلى يومنا هذا، لأنَّه كما مرَّ بنا أنَّ الله عز وجل جعل إبراهيم إماماً وجعل من ذرّيته أئمّه كيعقوب وإسحاق ونسل إسماعيل (آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، كما تحدّثنا بذلك سوره النساء، ولكن لم يكن له فى الظاهر مُلك مكشوف، أو ولايه مكشوفه، ولم يحدّثنا أىّ مصدر تاريخى عن ذلك، لكن مع ذلك فالنبىّ إبراهيم عليه السلام قد أنجز العجائب، حوَّل أكثر مجتمعات الشرق الأوسط من عبده أوثان أو كواكب أو نيران وغيرها إلى الملّه الحنيفيه، فتغيير مجتمعات لاسيّما فى عقيدتهم أمر ليس يسيراً كما مرَّ، فلم يكن عمله عملاً فردياً، وإنَّما هو عمل ضمن نظام وجهاز إلهى كما تحدّثنا بذلك روايات الفريقين من التقاء النبىّ إبراهيم بالأبدال وشبكه الأوتاد وما شابه ذلك كأعوان ووزراء له، وكذلك بنوه الذين وصفوا بأنَّهم أئمّه واُوتوا الملك العظيم، فهو جهاز بشرى حكومى مؤسّس من قبل ربّ العالمين يقوم بنظم معيّنه وطبق خطط تتجاوز التخطيط البشرى إلى آفاق بوسع حدود علم الله (أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (الملك: ۱۴)، علم الله الذى لا تخفى عليه خافيه فى السماء ولا فى الأرض ولا أكبر من ذلك ولا أصغر، (ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْ ءٍ) (الأنعام: ۳۸)، (وَ كُلَّ شَيْ ءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ) (يس: ۱۲)، وتداعيات كلّ دور وكلّ حدث

وارتباطها بالبيئات المختلفه هـذا ممَّا يعجز ويثقل بكاهله حتَّى أكثر التمدّنات البشـريه، ولو فرضـناها بعد قرون بمثل هذه الشـبكه من المعلومات والعلوم، وهذا الجهاز الإلهى الذى يحدّثنا القرآن الكريم عنه موجود على قدم وساق باعتباره أنموذجاً ضُـرب من عهد النبىّ موسـى، بل ذكرنا بعض الشواهد التى تدلُّ على أنَّه من عهد آدم، إنَّه أيضاً كان يحول دون الفساد فى الأرض، ولا بدَّ أنَّه لم يكن بعمل فردى، وإنَّما بالأسـباب الطبيعيه بنظام إلهى وأدوات وآليات إلهيه، وكـذلك فى عهـد نوح، وكـذلك فى عهد إبراهيم وموسـى وعيسـى، وكذلك فى عهد سيّد الأنبياء وإمام الأئمّه خاتم النبيّين صـلى الله عليه وآله وسـلم، وكذلك فى عهد الأئمّه الاثنى عشـر عليهم السـلام، وكـذلك فى عهـد الإمام المهدى وفى ظلّ غيبته غيبه الخفاء والسـرّيه والتستّر، فهذا مثل عظيم ضربه لنا القرآن الكريم أنَّ أدوار هذه الحكومه متنوّعه متعدّده لإرساء العداله فى الحقول المختلفه، نعم القرآن الكريم ينبئنا بهذا الجهاز البشـرى المزوّد بالعلم اللدنّى والذى يحوط الخليفه المسـتخلف من قبل الله كجهاز وأذرع بعد أن ذكر اسـتخلاف الخليفه كسُنّه دائمه أيضاً فى سوره الكهف والتى هى مرصوده إلى الإجابه عن كيفيه بقاء الدين.

الحسين عليه السلام وأصحاب الكهف:

فى الحقيقه أودُّ هنـا أن أذكر هـذه النكته الـتى ترتبـط بسـيّد الشـهداء مع سوره الكهف، فـالمعروف فى كتب التاريـخ والمقـاتل والروايه أنَّ رأس سيّد الشهداء عليه السلام ـ عندما حُوّلت الرؤوس إلى الطاغيه عبيد الله بن زياد وإلى الطاغيه يزيد بن معاويه ـ كان يردّد هذه الآيه: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ

وَ الرَّقِيم كـانُوا مِنْ آياتِنـا عَجَباً) (الكهف: ۹)، بعـد تلـك الآـيه: (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهـذَا الْحَـدِيثِ أَسَفاً) (الكهف: ۶)، وربَّما يتساءل المؤمن والمسـلم عن الصـله والمناسـبه بين استشـهاد الإمام الحسين عليه السلام وترديده لهذه الآيه، ترديد الرأس الشـريف كمظهر إعجازى لهذه الآيه، فى الحقيقه إنَّ صـله استشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام وقراءته لهذه الآيه هى مناسبه تظهر بأدنى تأمّل وتدبّر، وهو أنَّ القضاء على حياه سيّد الشـهداء عليه السلام بالقتل هو إماته لعمود الدين الذى كان يشـيد أركانه سيّد الشـهداء، قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: (حسين منّى وأنا من حسين)(۱)، بقـاء دين النبىّ من إنجازات سيّد الشـهداء عليه السـلام، فما عملته الطغمه الطاغيه الأمويه من استئصال شجره النبىّ فى أهل بيته لأنَّهم يحسبون أنَّهم يقضون على الدين، والحال أنَّ الله عز وجل ضـرب مثلاً فى أصـحاب الكهف والرقيم أنَّهم كانوا مستضـعفين وكانوا يعيشون فى حاله من التقيّه والوجل والخوف ولا يظهرون دين التوحيـد أمام ذلك الملك (دقيانوس) الـذى كانوا يعيشون فى وزارته، وكانوا وزراء له فى القصر الملكى، وكانوا موحّدين ولكن لم يكونوا يجرؤون ليظهروا التوحيد، فكانوا مستضعفين إلى حدّ ألجأهم الأمر إلى أن يفرّوا من ديوان الملـك إلى الصـحراء وآووا إلى الكهف بعـد أن فُضـح أمرهم وكُشف، وبعـد أن ذهب شـرّ (دقيانوس) وانـدثرت مملكته وانـدثر زمانه عاود الله إحياءهم ليثبت البارى تعالى للبشـريه: (وَ كَـذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ) (الكهف: ۲۱).

فإحيـاء الله لأصـحاب الكهف والرقيم بعـد انـدثار (دقيـانوس) وتفشّـى التوحيـد ليـدلّل الله عز وجـل على أنَّ العاقبه للمتّقين، وأنَّ المستضعفين

۱- (۱) بحار الأنوار ۲۶۱ :۴۳؛ مسند أحمد ۱۷۲ :۴.

يعودون وارثين للأرض، ويرجعهم الله للدنيا وهم الذين يكونون آيات حقّ وآيات هدى، وكذلك الحال فى سيّد الشهداء عليه السلام فإنَّه رغم استشهاده عليه السلام وتصفيه الطغمه الأمويه له إلاَّ أنَّهم لم يبيدوا الدين، بل كما نشاهد الآن أنَّ اسم سيّد الشهداء واسم جدّه المصطفى واسم دين المصطفى لا زال يرفرف خفّاقاً فى أرجاء العالم وسينشر فى أرجاء العالم على يد ابنه وولده المهدى، وأين ذكر يزيد؟ إنَّه فى مزبله التأريخ وأصبح مورد لعنه الله والملائكه والناس أجمعين، وبقى سيّد الشهداء اسماً خالداً ونبراساً ينير البشريه ضياءً وهدايهً.

فهناك صله وثيقه بين ما جرى لأصحاب الكهف وما جرى لسيّد الشهداء، لاسيّما وإنَّنا نؤمن برجعه أئمّه أهل البيت بعد دوله ابنهم الإمام المهدى عليه السلام وأنَّهم سيحكمون فى الأرض، وعقيده الرجعه عقيده أصيله قرآنيه لها حديثها الخاصّ، فهذه صله واضحه بين سوره الكهف وما جرى لسيّد الشهداء، سيّما وأنَّ ذكر قصَّه وظاهره أصحاب الكهف ذكرت فى سوره الكهف للدلاله على ضمانه: (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) (الكهف: ۶)، يعنى أنَّ المحور الأصلى لسوره الكهف هو بقاء الدين وعدم زوال الدين، ولاستشهاد سيّد الشهداء صله وثيقه جدًّاً وطيده بإبقاء الدين وضمان بقاء الدين.

الضمانات الأخرى التى ذكرها القرآن الكريم فى سوره الكهف: استخلاف الخليفه كضمانه ثانيه محوريه، والضمانه الثالثه هى هذا الجهاز الخفىّ والشبكه الخفيّه الإلهيه التى هى حكومه بشريه مؤسّسه من قبل الله تعالى، ونظمه مزوَّد بعلوم خاصّه ونظام حاسم وخطط ومخطّطات مرسومه ومهندسه على الضوء العلمى الإلهى الذى لا يحدّده

أفق، ولا يقف فى الإحاطه بالأمور بدوائر قصيره أو مقطعيه أو حلقات قصيره، بل يحسب فيه حساب التداعيات والحلقات كلّها، حلقات الماضى والحاضر والمستقبل، حلقات البيئه الماليه والاجتماعيه والإصلاحيه من الضمان والكفاله الاجتماعيه، نظم تفوق قدره البشر، كما ستوافينا بحوث أخرى فى الظواهر القرآنيه أنَّ هذا النظم الإلهى يعتمد على معلومات وإحصائيات لا تخطئ، وكمٌ هائل بالمعلومات تقصر عنها بحوث الدراسات الاستراتيجيه العصريه فى الدول الكبرى ولا تجدها فى أىّ مركز من مراكز البحوث والاستراتيجيات لصناعه الخطط والسياسات للدول المعاصره، فلا يقاس علم الله بعلم المخلوقات، فإذا كان جهازاً مبنياً نظمه وخططه وسياساته ورموزه على علم الله فكيف ظنّك به، لا بدَّ حينئذٍ أن يحسب فيه كلّ هذه الحلقات وكلّ هذه التداعيات وكلّ هذا النسيج والتنسيق المترابط فيما بين بعضها البعض، ومن ثَمَّ أبرز القرآن الكريم عيّنه يسيره من الفتره اليسيره التى اصطحب فيها النبىّ موسى للخضر وأعطانا ثلاثه أدوار متنوّعه فى حقول وبيئات مختلفه وفى منعطفات بشريه حسّاسه.

حقيقه العلم اللدنّى والشريعه الباطنه:

فى ختام هذه الظّاهره هناك محطّه أخيره مهمّه جدَّاً يجب أن نتريّث بها ونتدبّرها بعمق، فالنبىّ موسى صاحب شريعه والخضر صاحب علم لدنّى، وهنا تأويل قد ورد ربَّما فى جمله من كلمات المفسّرين، أنَّ النبىّ موسى صاحب الشريعه الظاهره، وأنَّ الخضر صاحب الشريعه الباطنه.

فى الحقيقه وحسب ما يُستفاد من روايات وتعاليم أهل البيت،

وعلومهم وبحسب ما استفدته واستظهرته من تعاليمهم عليهم السلام أنَّ الشريعه هى واحده، ليست لدينا شريعه ظاهره وشريعه باطنه، لكن الشريعه الكلّيه العامّه إذا أريد لها التطبيق الحرفى الدقّى الذى لا يخطئ فى الحكم والمصالح التى شُرّعت الشريعه من أجلها ترافقها آليات تطبق بعلم لدنّى يراد لها سياسات فى التطبيق تُرسم بالعلم اللدنّى المحيط بالبيئات الموضوعيه، وموضوع البيئات بشكل مستقصى لا يعزب عنه ظاهره موضوعيه ولا بيئيّه ولا تداعياتها، وطبعاً على علم خاصّ، فليس يكفى فيه العلم بالوحى وهى الشريعه ووحى النبوّه، بل احتاج إلى علم التأويل، خاتم الأنبياء وسيّد الرسل وهو إمام الخلق وإمام الأئمّه فإنَّه فى عقيده مدرسه أهل البيت هو إمام الأئمّه الاثنا عشر، فإنَّهم عليهم السلام أيضاً لهم إمام وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أعظم درجةً ومقاماً، وهم الوارثون لعلومه، وهو صلى الله عليه وآله وسلم لديه علم الشريعه وعلم التأويل. وقد ورث أهل بيته منه علم التأويل، الذى يعبّر عنه القرآن الكريم أيضاً بالعلم اللدنّى، أنظر هنا فى مطلع السوره يحدّثنا القرآن الكريم عن ظاهره الخضر: (فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف: ۶۵)، لطف خاصّ وقدره خاصّه، فما آثار هذا العلم اللدنّى الذى أراد النبىّ موسى صاحب الوحى النبوى أن يتعلَّم منه، كما يحدّثنا بذلك القرآن الكريم (قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۶)، هذا جُمع بأكمله وبأقاصى درجاته لسيّد الأنبياء وخاتم الرسل، فقد كان لديه علم التأويل وعلم التنزيل والعلم اللدنّى، إلَّا أنَّه فى ظاهره النبىّ موسى لا يحدّثنا القرآن الكريم أنَّه لم يكن للنبىّ موسى شىء من علم

التأويل، ولكن كأنّما الـدرجه التى كانت لدى الخضـر من علم التأويل والعلم اللدنّى لم تكن لدى النبىّ موسـى، على رغم أنّه ما كان لديه وحى الشريعه ووحى النبوّه، والنبىّ موسى عليه السلام كان من أولى العزم وشريعته ناسخه للشرائع التى قبله.

العلم اللدنّى وعلم التأويل عند الإمام المهدى عليه السلام:

إنَّ النبىّ موسـى رغم كونه صاحب شـريعه ناسـخه للشـرائع السابقه إلاَّ أنَّ هذا الوحى وهذا العلم بالشـريعه الوحيانى النبوى مغاير للعلم اللدنّى وعلم التأويل، وقد حار المفسّـرون فى كيفيه تفسـير هذه الظاهره، حيث إنَّ فى مطلعها قول النبىّ موسـى عليه السلام للخضر عليه السلام: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً) (الكهف: ۶۶)، فالعلم اللدنّى يغاير العلم بالشريعه.

وتُسـتخلص حقيقه عظيمه من هذه السوره، ويجب أن يفهمها كلّ مسـلم، وهى أنَّ كلّ شريعه لها تأويل فى مقام التطبيق والإقامه، ولاـ يسـتطيع أن يطبّقها بحقيقه تأويلها إلاَّ حاكم زوّد بالعلم اللـدنّى الإلهى. وهـذه السوره تبرز لنا ضـروره عقائـديه وهى أنَّه كلّ شريعه لاـ بـدَّ لهـا من حـاكم إلهى، حـاكم منصوب من قبـل الله، إمـام منصوب من قبل الله تعالى مزوّد بالعلم اللـدنّى، فهو الـذى يستطيع أن يطبّق هذه الشريعه بتطبيق لدنّى إلهى لا يخطى الحقائق والصواب قيد شعره.

أنظر هنا صاحب الشـريعه النبىّ موسـى كيف قد تفاجأ واسـتغرب واستنكر تطبيقات يقوم بها الخضر، وربَّما حسبها أنَّها تتنافى مع ضوابط الشـريعه، لكن بعد أن أوَّل له الخضر: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ۷۸)، زال استنكار النبىّ موسى، أى إنَّه قد رأى أنَّ كلّ

هذه الأدوار قد روعى فيها ضوابط الشريعه الظاهره، لكن رعايه هذه الضوابط الشرعيه فى الشريعه الموسويه بأدوات علم التأويل والعلم اللدنّى وتطبيقه لم يكن فى علم البشر ولا قدرتهم الوصول إلى ذلك التطبيق الهائل العظيم لإقامه الشريعه، إلى أن يقول: (فَأَرادَ رَبُّكَ) ، أخبر عن الإراده الإلهيه.

إذن كما أنَّ هناك إراده فى الشريعه عامّه، فهناك إرادات خاصّه متنزّله لتطبيق تلك الإراده العامّه، متنزّله لتطبيق الشريعه بتوسّط العلم اللدنّى، (فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ٨٢).

وما يدلُّك على أنَّ علم التأويل له كامل الصله، وأنَّه ركن الأركان فى إقامه الحكم الإلهى وفى إقامه الشريعه، وبفصيح القول وبعالى الصوت تخاطبنا سوره الكهف: أيّها المسلمون أيّها القرّاء للقرآن الكريم انتبهوا وعوا واستيقظوا فإنَّ الشريعه واحده فى الظاهر والباطن، وأنَّ لها حاكماً إماماً يعلم بالتأويل بتوسّط علم لدنّى، لأنَّه هو الذى يستطيع أن يقيم الشريعه بلا اخترام مورد من الموارد، وبلا إخفاق بيئه من البيئات. هو الذى يستطيع أن يشيّد ويقيم أركان الدين بوصايه ربّانيه وبهدايه ربّانيه، وإرشاد ربّانى يصيب الأشياء والحقائق ولا يخطئها، إذ كلّ شريعه لا بدَّ لها من علم تأويل، وهذا ليس خاصّاً بحقيقه شريعه النبىّ موسى، كيف وشريعه سيّد الرسل هى من أبلغ الشرائع.

وحينما ننظر فى عصرنا الحاضر نتسائل من هو المزوّد بالعلم اللدنّى؟ وأىّ مدرسه إسلاميه اشترطت فى الحاكم والإمام أن يكون مزوّداً بعلم لدنّى يغاير

مقام النبوّه ويغاير مقام الرساله، وهو مقام اصطفائى إلهى كما يحدّثنا القرآن الكريم عن الخضر، إذ لم يعرّفه بالنبوّه أو بالرساله كبطاقه شخصيه لتعريف هويته، وإنَّما عرَّفه أن لديه أدواراً حكوميه ضمن جهاز يقوم بأنشطه مفصليه لمسار النظام البشرى وذلك بتزويدهم بالعلم اللدنّى وعلم التأويل، فمن هو حينئذٍ الخليفه المزوّد بعلم التأويل؟ أو أىّ مدرسه من المدارس الإسلاميّه اشترطت أن يكون الإمام الحاكم المنصوب من قبل الله تعالى مزوّداً بعلم لدنّى مرتبطاً بالغيب يؤهّله لأن يطَّلع على إرادات الله وبرامجه التفصيليه لإقامه الشريعه؟ أىّ مدرسه تلك التى اشترطت ذلك؟ فإنَّنا لا نجد غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

الراسخون وعلم التأويل:

ولا نجد القرآن الكريم أيضاً يصرّح بأنَّ من هذه الأمّه من زوّد بعلم لدنّى وهو علم التأويل غير أهل البيت عليهم السلام. فإنَّ سوره الكهف تفصح لنا أنَّ العلم اللدنّى هو علم التأويل، كما نقرأ فى سوره (آل عمران: ٧): (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) ، البعض من مفسّرى المدارس الإسلاميّه الأخرى قالوا: إنَّ (الواو) هنا استئنافيه وليست عاطفه، يعنى أنَّ الذى يعلم تأويل القرآن هو الله فقط، أمَّا الراسخون فى العلم فلا يعلمون، وإنَّما الراسخون فى العلم (يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) ، يعنى نؤمن بالمحكم والمتشابه، وطبعاً (يَقُولُونَ) هى صفه أو خبر آخر للراسخين فى العلم(١).

١- (١) للاستزاده راجع: تفسير الرازى ٤ :٢.

لكن الواو هنا هى عاطفه وليست استئنافيه، وذلك لعدّه أدلّه وبراهين وشواهد، منها:

أنَّ سوره الكهف تبيّن أنَّ كلّ شريعه لها علم تأويل يزوّد الله به ثُلّه من أفراد البشريه يستطيعون بذلك أن يقيموا الشريعه كما يريدها الربّ، ويرضاها بتلك الإقامه وتلك الشاكله من بناء الصرح، ونصّ القرآن الكريم هكذا يقول فى حال الخضر: (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف: ۶۵)، وقول النبيّ موسى: (قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً*قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً*وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً*قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً*قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْ ءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً) (الكهف: ۷۰ _ ۶۶)، ثمّ قول الخضر أيضاً: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ۷۸)، ويقول أيضاً فى نهايه تلك القصّه والحادثه التى يرويها لنا القرآن الكريم على لسان الخضر: (وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: ۸۲).

إذن الخضر صاحب علم لدنّى وتأويل، فإذا كان الله عز وجل جعل إقامه كلّ شريعه بحقيقه الإقامه وإنجازها بحقيقه الإنجاز فى الوعد الإلهى والحكمه الإلهيه والغايه الإلهيه هى بتوسّط علم التأويل، أليس للشريعه الإسلاميّه التى هى أكبر الشرائع أن يكون من هذه الأمّه من يزوّدهم الله بالعلم اللدنّى، أى علم التأويل؟! فلا بدَّ أن تكون تلك الواو عاطفه فى سوره آل عمران.

العلم اللدنّى وعلم التأويل فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام:

العلم اللدنّى وعلم التأويل فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام لهما ترجمان ولهما تفسير ولهما موضع فى منظومه عقائد أهل البيت عليهم السلام،

فإنَّه علم التدبير نفسه، وقد بيَّنته سوره الكهف بشكل واضح جدًّاً فى ظاهره الخضر، وهو أنَّه مرتبط بقيامه بأدوار فى النظام الاجتماعى، أدوار نظميه مرتبطه بالإداره والتدبير، أى بالقياده، أى بالإمامه، فسوره الكهف هنا تبيّن وتفصح بشكل طافح لائح غير غامض أنَّ العلم اللدنّى وعلم التأويل مرتبط بتدبير نظام البشر، أى مرتبط بالإمامه وبالخلافه وبالحاكميه، فهى موقعيّه إلهيه ومنصب إلهى تدعى وتسمّى بالخلافه الإلهيه، (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقره: ٣٠)، هذا المقام لا يبتر ولا ينقطع عن هذه السُنّه الإلهيه المستمرّه من بدو الخليقه البشريه إلى نهايتها.

فسُنّه الله عز وجل ــ كما يعلّمنا القرآن من حقائق العقائد التى يجب أن نلتزم بها ــ أنَّ الخلافه الإلهيه لم ولن تكون منقطعه، بل مستمرّه، نعم النبوّه والخلافه والرساله ختمت بسيّد الأنبياء، وكان بين كلّ نبوّه ونبوّه وكلّ رساله ورساله فترات، ولكن الخلافه ليس فيها فتور؛ لأنَّ حلقاتها متَّصله دائماً من بدء الخليقه ابتداءاً بآدم إلى المهدى الثانى عشر خاتم الأوصياء، فللنبىّ خلفاء اثنا عشر كما ورد فى الحديث النبوى المتواتر بين الفريقين، وهو مطابق لأصول القرآن والسُنّه القطعيه.

سؤال:

وهنا يطرح هذا السؤال وهو: هل هناك وجه اشتراك ووجه اختلاف بين الشبكه الإنسانيه الخفيّه فى الحكومه الإلهيه المزوّده بالعلم اللدنّى وبين الإمامه والخليفه لله تعالى فى أرضه المزوّده أيضاً بالعلم اللدنّى؟ الجواب:

فى الحقيقه إنَّ بيانات القرآن وبراهينه ونوره وهداه وبصائره

الاعتقاديه والعقديه جليّه واضحه، بأنَّ الاصطفاء الإلهى لا ينحصر بالنبوّه والرساله، بل الاصطفاء الإلهى جعل الفرد البشرى المصطفى والمجتبى من قبل الله تعالى خليفه لله فى الأرض وإماماً، كما فى قوله تعالى: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقره: ٣٠)، وقوله فى شأن إبراهيم: (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ١٢۴)، ومن الواضح أنَّ هذا الجعل يفترق عن التعبير فيما لو ورد: إنّى جاعلك للناس نبيّاً، أو إنّى جاعلك للناس رسولاً فقول الله تعالى كما ورد فى شأن إبراهيم: (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) هذا التعبير وهذه النغمه اللفظيه النوريه القرآنيه هى على نفس وتيره: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ، فالاصطفاء الإلهى لا ينحصر بالنبوّه والرساله، بل يعمّ، كما أنَّ هناك أنبياءً وليسوا برسل فهناك خلفاء لله وأئمّه وليسوا بأنبياء ولا رسل، وقد يكون الأئمّه المنصوبون من قبل الله تعالى أيضاً أنبياء ورسلاً، فتجمع فى بعض الأفراد كما فى إبراهيم، فإنَّه نبىّ ورسول وإمام وخليفه لله تعالى فى أرضه، لكن هذه مقامات متعدّده فى الاصطفاء الإلهى، قد تتفرَّق فى أفراد، وقد تجتمع فى فرد ينال أوسمه ومقامات إلهيه متعدّده، ولكن المهمّ على المسلم فى تبرئه ذمّته وما يدين الله عز وجل به لينجو يوم القيامه هو أن يلتفت ويعتقد بما يقرّره له القرآن الكريم فى حقائقه وبصائره، من أنَّ هناك مقاماً يسمّى مقام الإمامه الإلهيه ومقام الخلافه الإلهيه، له دور تدبير البشر ويزوّد بالعلم اللدنّى، وهو يغاير مقام النبوّه والرساله من حيث المقام ومن حيث الإنسان، وإن كان قد يجتمع فى شخص كما اجتمع فى إبراهيم واجتمع كذلك فى سيّد الرسل وخاتم الأنبياء بشكل أجلى وأتمّ، وكذلك هناك

مقام رابع يقصّه ويبيّنه لنا القرآن الكريم كما فى شأن مريم وفى شأن فاطمه الزهراء، حيث ورد نصّ القرآن الكريم بتطهير كلّ من فاطمه ومريم: (إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ۳۳)، وقال تعالى فى خصوص مريم: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ) (آل عمران: ۴۲)، وكانت فاطمه الزهراء عليها السلام من ضمن أهل البيت الخمسه، كما ورد نظير ذلك أيضاً فى مريم عليها السلام وإن كان دون درجه الطهاره فى فاطمه؛ لأنَّ درجه الطهاره التى فى فاطمه كانت من نمط ونوعيه الطهاره لسيّد الأنبياء، وإن كانت هى تابعه لسيّد الأنبياء فى الفضل، لكن أشرك الله عز وجل نمط طهاره خاتم الأنبياء مع طهاره فاطمه عليها السلام، بينما الطهاره التى ذكرها القرآن الكريم فى مريم لا تساوى أو تشاكل بينها وبين طهاره سيّد الأنبياء، ممَّا يعلم بأنَّ طهاره فاطمه عليها السلام هى بدرجه أرقى وأعلى وأعظم شأناً من طهاره مريم، حيث ورد أيضاً فى شأنها أنَّها مصطفاه وأنَّها مطهّره، وتسمّى: صفيه لله؛ وهى ليست بنبيّه ولا برسوله ولا بإمام ولا خليفه، ولكنَّها حجّه من حجج الله، ويجب على المسلم أن يتدبَّر هذه الحقائق العقائديه فى القرآن ويستلهم عقيدته من القرآن الكريم.

وعلى طبق ذلك العلم الإلهى الذى زوّدت به مريم بقناه غيبيه خاصّه أمرت مريم ببرنامج إلهى خاصّ: (فَإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا*فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ) (مريم: ۲۶ و۲۷)، إلى أن قامت بأداء ما عليها من وظيفه إلهيه، وقد أوحى إليها بذلك، وليس هذا وحى شريعه ولا نبوّه ولا وحى رساله، ولكن وحى حجّيه، وكذلك فى امّ موسى، أمَّا فاطمه الزهراء عليها السلام فهى فى درجه

الطهاره والاصطفاء أعلى من مريم، ومن ثَمَّ فإنَّ ما ورد فی روایات الفریقین عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وبشکل متواتر، حتَّی فی کتاب البخاری وغیره من الکتب الصحیحه عند المدارس الإسلامیّه الأخری، أنَّ (فاطمه سیّد نساء أهل الجنّه)، ومن أهل الجنّه مریم، واُمّ موسی، وامرأه فرعون الصالحه أیضاً التی کانت ذات مقام معیَّن خاصّ، وفاطمه علیها السلام سیّده نساء أهل الجنّه أجمع، لها السؤدد لمکانها ودرجه طهارتها وارتفاعها العلوی الذی تشارک فی طهارتها طهاره أبیها خاتم الرسل.

ومن الواضح أنَّ هناک درجات فی العلم اللدنّی، کما فی النبوّه والرساله والأنبیاء والرسل، وکیف أنَّ الله تعالی فضَّل بعضهم علی بعض: (تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ...) (البقره: ۲۵۳)، ممَّا یدلّ علی أنَّ فی کلّ مقام من هذه المقامات الأربعه: النبوّه، والرساله، والإمامه، والحجّیه درجات ومفاضله، فمریم حجّه ومصطفاه، واُمّ موسی حجّه ومصطفاه، وفاطمه علیها السلام مطهّره وحجّه ومصطفاه اصطفاها الله للطهاره، ولکن نمط طهاره فاطمه تعلو درجه عن نمط طهاره مریم، مع کون کلّ من النموذجین أو النماذج هذه هی فی مقام الحجّیه والاصطفاء، ولکن فیها درجات.

إذن هناک درجات ومفاضله، فالعلم اللدنّی الذی تزوّد به الشبکه الخفیّه والحجج یکون دون العلم اللدنّی الذی عند الخلیفه، وکذلک ورد فی الروایات فی ذیل ظاهره الخضر أنَّه بعد ما انتهی وأزف الوقت فی الفراق بین النبیّ موسی والخضر، أتی طائر وهو ملک بصوره طائر وألقی قطرات من البحر جانباً یمیناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فأوحی الله إلی

النبيّ موسى والخضر أنَّ علمهما كقطره من علم خاتم الأنبياء وأهل بيته(۱). وهذا طبعاً تشهد له آيات قرآنيه أخرى سنتعرَّض لها.

التطبيق الإلهى للشريعه:

فى سوره الكهف تبيّن لنا أنَّ كلّ شريعه لا بدَّ أن تقترن بتطبيق إلهى أيضاً، كما أنَّ جهاز التطبيق وجهاز التنفيذ والجهاز الحاكم والحكومه لا بدَّ أن يكون أيضاً تعيينه وبرامجه وأوامره من الله عز وجل، وإليك ـ عزيزى القارئ ـ هذا المثال ربَّما نشاهد دوله مركزيه، وحكومه مركزيه، وهناك حكومات محلّيه لمحافظات ومقاطعات، لكن يبقى الدور الرئيسى للحكومه المركزيه، فإذا أردنا أن نقايس بينها وبين

۱- (۱) روى أنَّه لمَّا وقع ما وقع بين موسى بن عمران والخضر عليهما السلام فى قصَّه السفينه والغلام والجدار، ورجع إلى قومه، سأله أخوه هارون عمَّا استعلمه من الخضر، فقال: علم لا يضرّ جهله، ولكن كان ما هو أعجب من ذلك، قال: وما أعجب من ذلك؟ قال: بينما نحن على شاطئ البحر وقوف إذا قد أقبل طائر على هيأه الخطاف، فنزل على البحر فأخذ بمنقاره فرمى به إلى الشرق، ثمّ أخذ ثانيه فرمى به إلى الغرب، ثمّ أخذ ثالثه فرمى به إلى الجنوب، ثمّ أخذ رابعه فرمى به إلى الشمال، ثمّ أخذ فرمى به إلى السماء، ثمّ أخذ فرمى به إلى الأرض، ثمّ أخذ مرَّه أخرى فرمى به إلى البحر، ثمّ جعل يرفرف وطار، فبقينا متحيّرين لا نعلم ما أراد الطائر بفعله، فبينما نحن كذلك إذ بعث الله علينا ملكاً فى صوره آدمى، فقال: ما لى أراكم متحيّرين؟ قلنا: فيما أراد الطائر بفعله؟ قال: ما تعلمان ما أراد؟ قلنا: الله أعلم، قال: إنَّه يقول: وحقّ من شرق الشرق وغرب الغرب ورفع السماء ودحا الأرض ليبعثنَّ الله فى آخر الزمان نبيّاً اسمه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم له وصىّ اسمه على عليه السلام، علمكما جميعاً فى علمهما مثل هذه القطره فى هذا البحر. (بحار الأنوار ۱۷۷ :۴۰). وفى الروايه عن أبى جعفر عليه السلام قال: (لمَّا لقى موسى العالم وكلَّمه وسائله نظر إلى خطاف يصفر ويرتفع فى السماء ويتسفَّل فى البحر، فقال العالم لموسى: أتدرى ما يقول هذا الخطاف؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: وربّ السماء وربّ الأرض، ما علمكما فى علم ربّكما إلاَّ مثل ما أخذت بمنقارى من هذا البحر)، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: (أمَّا لو كنت عندهما لسألتهما عن مسأله لا يكون عندهما فيها علم). (بصائر الدرجات: ۲۵۰/ باب ۶/ ح ۲).

الحكومه الإلهيه فى وجه الأرض الـذى أحـد أشـكالها وأنماطها دائماً هو الحكومه الخفيّه كما تسـتعرضه لنا سوره الكهف، هـذه الحكومه هى الحكومه المركزيه على وجه الأـرض، وبقيّه نظم البشـر أشـبه ما يمكن أن يقول القائل فيها: إنَّها حكومه محافظات أو مقاطعات ليس بيدها الحلّ والعقد فى الأمور المركزيه والفصل المركزى، نعم لها مساحات وصلاحيات محدّده لا تتجاوزها.

وإليـك مثالاً آخراً أيضاً، ربَّما نشاهـد فى عصـرنا دولاً عظمى ذات نفوذ وهيمنه على دول أخرى ضـعيفه، فالـدوله العظمى ذات النفوذ قد تسمح للدول التى تحت هيمنتها وسيطرتها بأن تشكّل مجالس نيابيه أو حكومات أو أموراً أخرى ليست خطيره، لكن ما أن يصل الأمر إلى قضـيّه خطيره سواء فى الجانب الاقتصادى أو العسـكرى أو السياسـى عنـدها يكون التـدخّل والإملاء من تلك الدوله العظمى على تلك الدول الصغيره، أى إنَّ المسار الأصلى الذى حدّد فى المنعطفات المهمّه ينطلق من الدول العظمى على الدول الصـغيره، أمَّا التفاصـيل ذات الشأن غير الاستراتيجى بالنسـبه للدول العظمى، توكله إلى الدول المتوسّطه أو الدول الصغيره أو الـدول الضـعيفه حتَّى يخيّـل أنَّ فيهـا ديمقراطيه وفيهـا حرّيه نسبيه أو سـطحيه، وأمَّا اللبّ والجوهر فهو بيـد الـدول الغنيه التى يُصـطلح عليها بالـدول العظمى ذات النفوذ، والمسار الأصـلى يبقى بيـدها بالضـغط وبالترغيب وبالترهيب، ونحن دائماً نشاهد فى ظـلّ الأـنظمه البشـريه هنـاك مساحـات فى النفوذ ومساحـات فى الحكم، دوائر فى القـدره لاـ تتقـاطع، بـل هى كمـا يقـال دوائر مركزيه، وفيها دوائر فرعيه جانبيه. والحكومه الإلهيه لخليفه الله فى الأرض مع أنظمه البشر نستطيع

أن نمثّل لها بهذا المثال القريب، وإن كان المثال يقرّب من جهه ويبعّد ربَّما من عشرات الجهات، لكن كتقريب إلى هذه العلاقه بين حكومه الله السياسيه التى أحد أشكالها حكومه خفيّه تسطرها لنا سوره الكهف فى ظاهره الخضر كضمانه رابعه لبقاء الدين، وهو الموضوع الأصلى المركزى لسوره الكهف حيث تفيدنا هذه السوره: أنَّ هذه الحكومه الإلهيه بالجهاز الإلهى المزوّد بالعلم اللدنّى وبالبرامج والأدوار العصيبه المهمّه فى البيئات المختلفه أنَّ الحكم والحسم والفصل لها، أمَّا فيما تدنّى من أدوار أخرى متوسّطه فى البرنامج الإلهى فيمكن فسح المجال لتلك الأنظمه والحكومات الوقتيه البشريه، وهى تظنّ أنَّ كلّ المقدّرات بيدها، والحال أنَّه ليس كلّ المقدّرات بيدها كما يظنّ كثير من الشعوب فى العالم الثالث أنَّه إذا أسّس لها مجالس نيابيه ودوائر انتخابيه وما شابه ذلك فإنَّ زمام الأمور كلّه بيدها، والحال أنَّ كثيراً من المساحات الحساسه مفروضه عليها بهيمنه الدول الكبرى، ففى الحقيقه هذا التغافل أو هذا التخيّل موجود لدى دول العالم الثالث أو الدول الصغيره أو الدول المتوسّطه بالقياس إلى هيمنه وقدره نفوذ الدول الكبرى.

إذن الأمور الحساسه التى تقف حائلاً وسدّاً دون الفساد المنتشر ودون كثير من المخاطر المحيطه بالبشر وبالنظام البشرى يقوم بها هذا الجهاز الخفى الذى تنبئنا به سوره الكهف، كما ورد لدينا فى النصّ عنهم عليهم السلام أنَّه: (لولا الحجّه لساخت الأرض بأهلها)(1)، وأحد تفاسير ومعانى هذا الحديث الشريف هو عين مفاد الآيه الكريمه: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ

۱- (۱) أنظر: الكافى ۱۷۹ :۱/ باب أنَّ الأرض لا تخلو من حجّه؛ علل الشرائع ۱۹۷ :۱/ باب العلّه التى من أجلها أنَّ الأرض لا تخلو من حجّه.

فِيها وَ يَسْفِكَ الدِّماءَ) (البقره: ۳۰)، هی نوع من سوخ الأرض وقطع النسل البشری، وقد أورد البارى تعالى هذا الحديث على الملائكه لأجل أن يبيّن أنَّ الدور المركزى المحورى لخليفه الله هو المحافظه على عماره الأرض وحياه البشر فى الأرض، وأنَّه لولاه لانفرط عقد ونظم الحياه.

فهاهنا محور مركزى مصيرى تبيّنه لنا تعاليم القرآن الكريم وبياناته وبصائره، وهو أنَّ السُنّه الإلهيه فى جعل الخليفه والإمام (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) الذى هو على نسق (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ۱۲۴)، فى شأن النبىّ إبراهيم، هذا الجعل للخليفه والإمام فى الحقيقه ليس منصباً تشريفياً ووساماً إلهياً، بل هو حقيقه الدور العميق الذى يشرحه لنا القرآن الكريم فى سوره (البقره: ۳۰): (قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ) ، أى إنَّ الخليفه والإمام فى الأرض بتدبيره يحول دون الإفساد فى الأرض ودون سفك الدماء ودون قطع النسل البشرى، فطبيعه البشر تقتضى وتستلزم استئصال النسل البشرى وسفك الدماء: (اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (البقره: ۳۶)، طبيعه البشر تقتضى الإفساد فى الأرض، ولولا تلك الحكومه الخفيّه لما سلم الكثير من البشر، والنظم البشريه تستعمل تجارب فى شتّى المجالات والبيئات، وتلك التجارب أو تلك كثيراً ما تكون فاتكه بالصلاح البشرى وببقاء النسل البشرى سواء على الصعيد الصحّى أو الأمنى أو البيئى أو الغذائى أو غيرها من المجالات حيث يفاجئون بعد فتره وبرهه أنَّ هذا النظام المالى أو النظام الصناعى يعصف ويحدق بالخطر على البشريه فى تلك الفتره. فمن الذى حال دون وقوع المخاطر قبل أن يفيق البشر وتفيق القافله العلميه للبشر من غفلتهم فيما يستعملونه من برامج ونظم تكون قاتله لهم وللصلاح البشرى فى تلك الفتره والغفله؟ من الذى حفظهم ودبَّر

أمرهم؟ هناك قوى ما وراء معرفتهم، قوّه ما وراء شعورهم، قوّه موجوده بين أيديهم وظهرانيهم يحدّثنا عنها القرآن الكريم، وهى من أمثال شبكه الخضر تقوم بتلك الأدوار بالتنسيق مع المركز وهو خليفه الله فى الأرض.

صله الأمّه الإسلاميّه بالعلم اللدنّى:

هنا نقطه أخيره فى ظاهره الخضر، تظهر عندما نسأل أنفسنا: هل أنَّ العلم اللدنّى وعلم التأويل فى خليفه الله له صله بهذه الأمّه الإسلاميّه، وأنَّ سوره الكهف تعالج شأن الأمّه الإسلاميّه؟ هل القرآن الكريم ينبئنا عن ثلّه فى هذه الأمّه لديها هذا العلم اللدنّى وعلم التأويل؟ وقد مرَّ بنا الحديث فى ذلك بشكل مقتضب، أنَّ القرآن الكريم فى سوره آل عمران وفى سور عديده يحدّثنا بحديث الثقلين، وكما مرَّ بنا فحديث الثقلين قبل أن يكون حديثاً نبويّاً هو حديث قرآنى، وفى عدّه سور تمَّ استعراضه نظير قوله تعالى: (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ) (آل عمران: ٧).

إذن للقرآن تأويل لا يعلمه فقهاء الأمّه وعلماؤها، وإنَّما: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) ، فمن فى هذه الأمّه ادّعى علم التأويل بالقرآن كلّه؟ ليس من أحد استطاع أن يدّعى ذلك غير أهل البيت عليهم السلام، فهم الراسخون فى العلم، وهم الثقل الثانى فى هذه الأمّه بعد الثقل الأوّل وهو كتاب الله، وهذه الآيه فى سوره آل عمران تبيّن أنَّ هناك ثِقْلَين مقرونين، وكما ورد الخبر المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(يا أيّها الناس،

إنّی فرطکم، وإنَّکم واردون علیَّ الحوض، حوض أعرض ممَّا بین بصری إلی صنعاء، فیه عدد النجوم قدحان من فضّه، وإنّی سائلکم حین تردون علیَّ عن الثقلین، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، الثقل الأکبر کتاب الله عز وجل سبب طرفه بید الله وطرف بأیدیکم، فاستمسکوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتی أهل بیتی، فإنَّه قد نبّأنی اللطیف الخبیر أنَّهما لن ینقضیا حتَّی یردا علیَّ الحوض)(۱)، والواو فی (وعترتی) عاطفه کما مرَّ بنا، فهل کان تأویل القرآن غیر معلوم لأحد من البشر ویکون مجهولاً ومعطَّلاً! حاشا لکتاب الله أن یکون معطَّلاً، هذا قول المعطّله _ والعیاذ بالله _ الذین یعطّلون أحکام القرآن والمعرفه بالشریعه والمعرفه بالمعارف الإلهیه، وأمَّا المثبتین لهذه الحقائق المعتقدین لها یعلمون بأنَّ الواو عاطفه، فللقرآن الکریم تنزیل وتأویل کما ورد فی الحدیث النبوی الذی رواه الفریقان: أنَّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أخبر أمیر المؤمنین علیه السلام بأنَّه سیقاتل علی تأویل القرآن کما قاتل هو علی تنزیله(۲)، ومن الواضح أنَّ سیّد الأنبیاء وخاتم الأنبیاء کان معلّم سیّد الأوصیاء من أهل بیته، وقد ورَّث

۱- (۱) رواه الهیثمی فی: مجمع الزوائد ۳۶۳ :۱۰؛ والطبرانی فی معجمه الکبیر ۶۷ :۳/ ح ۲۶۸۳؛ والمتّقی الهندی فی کنز العمّال ۱۸۹ :۱/ ح ۹۵۸، وقد روی الحدیث جمهور الخاصّه والعامّه بألفاظ عدّه لا تخرجه عن المعنی، فراجع.

۲- (۲) عن أبی سعید الخدری رضی الله عنه، قال: کنّا مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فانقطعت نعله، فتخلَّف علی یخصفها، فمشی قلیلاً ثمّ قال: (إنَّ منکم من یقاتل علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله)، فاستشرف لها القوم وفیهم أبو بکر وعمر، قال أبو بکر: أنا هو؟ قال: (لا)، قال عمر: أنا هو؟ قال: (لا، ولکن خاصف النعل)، یعنی علیاً، فأتیناه فبشّرناه، فلم یرفع به رأسه، کأنَّه قد کان سمعه من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. أنظر: (ذخائر العقبی: ۶۶؛ مسند أحمد ۳۳ :۳؛ مستدرک الحاکم ۱۲۲ :۳).

علیاً علم التنزیل والتأویل الحقّ للقرآن الکریم، وبذلک یکون خلفاء النبیّ من أهل بیته هم أصحاب علم التأویل، أی العلم اللدنّی.

وقد اقترن علم التأویل بالعلم اللدنّی وبأدوار الحکومه الإلهیه، أی دور الإمام ومقام الإمامه والحکومه الإلهیه الخفیّه فی الأرض، وأحد أشکالها یکون فی الخفاء، وبعض من أشکالها یکون فی العلن.

السوره الأخری التی تحدّثنا بحدیث الثقلین فی القرآن الکریم هی سوره الواقعه: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ*فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ) (الواقعه: ۷۷ و۷۸)، هنا الثقل الأوّل والأکبر هو کتاب مکنون، یعنی فی لوح محفوظ، یعجز البشر أن یصل إلی أعماقه ودرجاته وبواطنه، (لا یَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعه: ۷۹)، الثقل الثانی المطهّرون، وهم من عرَّفهم القرآن فی سوره الأحزاب: (إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً) (الأحزاب: ۳۳)، إذن أهل البیت هم المطهّرون فی هذه الأمّه الذین اصطفاهم الله عز وجل لعلم تأویل الکتاب، فهم أصحاب مقام الإمامه.

* * *

الظاهره الرابعه: الإمام المهدى عليه السلام وأصحاب الكهف

اشاره

ص:۱۹۹

قال الله تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً*فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً*ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً) (الكهف: ١٢ ـ ١٠).

كان عند أصحاب الكهف تمام التوجّه إلى البارى تعالى واستمدّوا منه الرشاد فى مقابل طغيان النظام العاتى الدقيانوسى الذى كانوا يعيشون فى ظلّه حيث يذكر القرآن الكريم ملخَّص القصَّه فى ثلاث آيات بعد أن فرّوا من ذلك المجتمع الفاسد الظالم، وبعدما انقرض وباد ملك دقيانوس وبادت معالم المجتمع الكافر وتبدَّل إلى مجتمع موحّد، فكان البقاء والعاقبه للموحّدين وللمتّقين، وهم الذين يورثهم الله العاقبه، وهذه سُنّه الله أنَّ العاقبه للمتّقين، العاقبه لأهل التقوى واليقين، وليست العاقبه للجاحدين والمكذّبين والمنكرين والمفسدين والظالمين، ثمّ تستعرض الآيات الأخرى بشكل مفصَّل تلك الواقعه. هذه الظاهره نفسُها فيها أبعاد كثيره، فأوّل بُعد فيها يتراءى للنظّار وللقارئ لهذه الآيات أنَّ القرآن الكريم يتعرَّض إلى نمط الإرهاصات الغيبيه غير المألوفه لدى البشر من وجود ثلّه فتيه مؤمنه رشيده تستمدّ من الله الهدايه والرشاد، وأنَّهم مجموعه أو طائفه من بين المجتمع كانت على هدى من ربّها على رغم أنَّ غالبيه المجتمع كانت على نهج الضلال. ورغم هذا التفاوت والمفارقه فى النسبه والقوّه والعدّه والعدد لم يُثنهم عن الثبات على نهج الحقّ، هذه خصله مهمّه يُطلعنا عليها القرآن الكريم وهذا درس

للمؤمنين فى وعـد الله بإظهار هـذا الـدين على الـدين كلّه ولو كره المشـركون، على يـد المهدى من ولد رسول الله وذرّيه فاطمه وعلى، والمؤمنون بهذه العقيده والحقيقه القرآنيه يجب أن لا تضـيرهم ولا تبئسهم القلّه فى مقابل كثره ممَّن لا يعتقد بالإسلام أو لا يعتقد ولا يؤمن بظهور الإمام المهدى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً أو يكذب بهذه العقيده.

المهمّه الأولى: الثبات والإيمان:

والمسؤوليه والمهمّه الأولى التى تقع على حزب المؤمنين، هى الثبات والإيمـان وهم حزب على ابن أبى طـالب، وحزب إمـامه ولـده المهـدى عليه السـلام وأنَّه سـيظهره الله لإصـلاح الأرض ليملأها قسـطاً وعدلاً، هذه الثلّه المؤمنه يجب أن لا يثنيها قلّتها فى مقابـل كثره المكـذّبين أو المنكرين أو الجاحـدين أو الظـالمين أو المفسـدين؛ لأنَّ نهـج الحقّ يبقى والعاقبه لأهل التقوى ولأهل اليقين، وهـذا مثـل الفـتيه فى كيفيه قيـامهم بمسؤوليه الثبـات على الـدين رغم أنَّهم ليسـوا بحجـج، وإنَّمـا هم ثلّه مؤمنه من أهل الإيمان، فهذه خصله مهمّه أولى.

المهمّه الثانيه: الغيبه والخفاء:

هنـاك المحـور الثـانى والعِظه والعبره الثـانيه الـتى يسـطرها لنـا القرآن الكريـم فى أصـحاب الكهـف، حيث يـبيّن لنـا نوعـاً من الإرهاصـات الخـاصّه الغيبيه التى لم يألف ويأنس بها البشـر، وربَّما يسـتنكرونها ويجحـدونها، وهى أنَّ الله عز وجل قـد يغيّب ثلّه بشريه سنين ومئات السنين ثمّ يظهرها لهم، وهذه ليست أسطوريات، وحاشا للقرآن هذا العبث، فهو ذكر وليس

بشعر، (وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ) (يس: ۶۹)، (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر: ۱۷)، هو ذكرى وذكر لمن يريد أن يبصر ويطّلع على الحقيقه، فسوره الكهف هى فى الواقع ـ كما يعبّر بعض المحقّقين ـ كهف الأسرار وكهف المعارف، اسم على مسمّى، وهى شديده الصله بغيبه الإمام المهدى عليه السلام، وكما مرَّ بنا أنَّ المصادر التاريخيه تنقل قراءه سيّد الشهداء لمطلع آيه فى هذه السوره: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً) (الكهف: ۹)، إذ أنَّ صله وطيده ببقاء الدين والحفاظ على الدين، كما قام به سيّد الشهداء، وبإمامه أهل البيت عليهم السلام وكيفيه مآل الأمور إلى ظفرهم بوراثه الأرض وتدبير زمام أمورها فى العلن بيدهم، وإلاَّ فإنَّ الجهاز الإلهى والحكومه الإلهيه فى الخفاء بيدهم، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام للمفضَّل بن عمر:

(مقصره شيعتنا تقول: إنَّ معنى الرجعه أن يرد الله إلينا ملك الدنيا فيجعله للمهدى. ويحهم! متى سلبنا الملك حتَّى يرد علينا؟). قال المفضَّل: لا والله يا مولاى ما سلبتموه ولا تسلبونه لأنَّه ملك النبوّه والرساله والوصيّه والإمامه. قال الصادق عليه السلام: (يا مفضَّل لو تدبَّر القرآن شيعتنا لما شكّوا فى فضلنا...)(۱).

وكأنَّ الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى ما أشار إليه القرآن الكريم فى آل إبراهيم الذين أوتوا الإمامه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، الملك العظيم هو

۱- (۱) الهدايه الكبرى: ۴۱۹؛ بحار الأنوار ۲۵ :۵۳ و۲۶.

الخلافه الإلهيه التى يُطوع الله عز وجل عليها كلَّ الملائكه، وأيضاً ملك فى الجانب المادى وهو الذى استعرضته لنا سوره الكهف مثل وجود جهاز خفى وشبكه خفيه تقوم بأدوار مفصليه هى أقوى الحكومات بالقياس إلى الحكومات البشريه الأخرى؛ لأنَّها تخترق تلك الحكومات.

وجود الخليفه فى الأرض:

إنَّ المُلك والحكومه للخليفه فى الأرض تترافق مع طاعه جميع الملائكه، وخلفاء الله فى الأرض هم خلفاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم الاثنى عشر، وثانى عشرهم الإمام المهدى، هذه الطاعه هى قدره ونفوذ يصوّرها لنا القرآن الكريم كحقائق قرآنيه فى سورٍ قرآنيه سبع عن شأن الخلافه الإلهيه والاستخلاف الإلهى(١)، وجعل ثلّه من البشر المستضعفين أئمّه، كما فى قوله تعالى لإبراهيم: (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ١٢۴)، وقوله تعالى فى شأن يعقوب وإسحاق من ذرّيه إبراهيم: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ) (السجده: ٢۴)، مع أنَّ التاريخ لم يحدّثنا بأنَّ آل إبراهيم ملكوا ملكاً أو حكموا حكماً ظاهرياً، ورغم ذلك تصف سوره النساء أنَّ آل إبراهيم اوتوا إلى جانب الكتاب

١- (١) كقوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ.. (الأنعام: ١۶۵)، ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ... (يونس: ١۴)، وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ... (يونس: ٧٣)، هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الْأَرْضِ... (فاطر: ٣٩)، وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ... (النمل: ۶٢)، وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ... (الأعراف: ۶٩)، وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ... (الأعراف: ٧۴)، يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَهً... (ص: ٢۶)، وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ... (النور: ۵۵).

والحكمه وهى النبوّه اوتوا الملـك العظيم: (فَقَـدْ آتَيْنـا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتـابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْنـاهُمْ مُلْكـاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، فأىّ ملـك عظيم هـذا؟ فى بُعـده الملكوتى وفى بعـده المادى والملكى، فى بعـده الملكوتى: (وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْـجُدُوا لِآدَمَ) ، أى أطيعوا واخضـعوا، (فَسَجَدُوا) (البقره: ۳۴)، كـلّ الملائكه بكلّ طبقاتهم من مقرّبين ومن ملائكه السـماء ومن ملائكه الأرض وما شابه ذلك، لما فضَّل الله وزوَّد به خليفته فى الأرض من علم يتقاصـر عنه علم جميع الملائكه، ومن ثَمَّ هو الـذى علَّمهم الأسـماء كلّهـا، فـالخليفه يعلّم الملائكه تلـك الأسـماء وهم يتَّبعونه فى ذلـك: (وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْـماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلائِكَهِ فَقالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْـماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صـادِقِينَ*قـالُوا سُـبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنـا إِلاّ مـا عَلَّمْتَنـا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْـمائِهِمْ فَلَمّـا أَنْبَـأَهُمْ بِأَسْـمائِهِمْ قـالَ أَ لَمْ أَقُـلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مـا تُبْـدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقره: ۳۳ ـ ۳۱)، هـذا بعـد وجنـاح وذراع من أذرع الحكومه التى يتولّاها ويتصـدّى لها خلفاء الله فى الأرض المنصوبون أئمّه على الخلائق، وهو مقام ومنصب إلهى. وما تذكره لنا سوره الكهف من وجود شـبكه بشـريه كما فى مثال الخضر وظاهره الخضر مزودون بالعلم اللدنى، ويقومون بأدوار مفصليه حساسه فى مسار النظام البشرى، وتهيمن هذه الحكومه الخفيّه على أدوار الأنظمه البشـريه الأـخرى، وتكون تلـك الأـنظمه والحكومات البشـريه الأخرى وحتَّى الكبرى أو العظمى منها حكومات صـغيره بالقياس وبالمقارنه إلى نفوذ ونفاذ وقدره تلك الحكومه والجهاز الإلهى الخفى.

فهذا هو الملك الذى لا يسلب من خلفاء الله فى الأرض، وإن

سُلب فی السطح المکشوف الظاهر غیر العمیق فی إبصار ورؤیه حقیقه مسلسل الأحداث فی النظام البشری، ففی ظاهر الحال الدول العظمی الموجوده ودول العالم الثانی ودول العالم الثالث کلّها تدبّر وتدیر شؤون أرجاء الکره الأرضیه، هذا فی ظاهر الحال فی النظره غیر الثاقبه، أمَّا النظره القرآنیه فتقول: کلاَّ إنَّما هناک جهاز إلهی حکومی بید خلیفه الله یتغلغل فی الأنظمه الأخری، وله أدوار حاسمه فی درء الفساد ولو فی درجه السقف الأدنی أی الحدّ الخطیر من الفساد، ویبثون العداله والقسط بدرجه السقف الأدنی، ویحولون دون قطع النسل البشری بسبب نزوات تلک الأنظمه التی تحکم الأرض، ویحولون دون ذلک إلی أدنی درجه من الصلاحیه إلی أن یحین الوقت المعلوم للظهور، أی للبروز علی المکشوف لإرساء تلک الحکومه الإلهیه فی العلن، بدلاً من أن تکون فی مرحله الخفاء.

نعم هذا هو الملک الذی یقول عنه صادق آل محمّد علیه السلام: (متی سُلبنا الملک حتَّی یرد علینا؟).

لماذا تکابد البشریه المصائب وبید الخلیفه إصلاحها؟

ربَّما یقول قائل: إذا کان هذا المُلک بهذه العظمه، وأنَّ الخلیفه لله فی الأرض والإمام هو منصوب من قِبَل الله تعالی: (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ۱۲۴)، کما هو فی شأن إبراهیم وشأن أهل البیت علیهم السلام، فلماذا لا یصلحون الأرض فی لیله وضحاها وفی ساعه وفی لمح البصر، ولماذا تکابد البشریه هذه المحن والامتحانات؟ هذا السؤال فی الحقیقه یغفل عن أوّلیات حکمه القضاء والقدر

والسنن الإلهيه، من أنَّ الله أبى أن يجرى الأمور بالجبر والإرجاء، كما أبى أن يجرى الأمور بالتفويض والإيكال إلى مشيئه البشر يعيثون فى الأرض كما يشاءون فساداً وإفساداً وظلماً، بل سُنّه الله جرت على أن يكون الحال أمراً بين أمرين، لا جبر ولا تفويض، لا بنحو قهر وإلجاء وجبر، ولا بنحو إيكال وانعزال لليد الإلهيه ولقدره التصرّف الإلهيه، بل أمر بين أمرين.

إذن سُنّه الله فى الظاهره الاجتماعيه والظاهره البشريه والظاهره الخلقيه أن تجرى الأمور بالاختيار والامتحان، لأنَّ ذلك هو سرُّ الخلقه، ليفوز الفائزون بالتقوى فى مرابح أخرويه وتجاره لن تبور فى الدار الآخره، ومن ثَمَّ يكون هذا الجهاز وهذا الملك الذى بيد خليفه الله، لا يجبر البشريه على الإصلاح، كما أنَّه لا يترك الأمور ويلقى الحبل على الغارب، وإنَّما أمر بين أمرين.

وهذه فلسفه اجتماعيه وسُنّه إلهيه وحقائق قرآنيه أنَّ الأمور تجرى بأسبابها، أمر بين أمرين، لا هو تفويض ولا هو جبر، وإنَّما هو اختيار وامتحان، وهنا يكون تشاطر فى المسؤوليه، بين لطف إلهى بإقامه خليفه وإمام للبشر وجهاز خفى يدبّر ويكون يداً حاسمه أمام الإفساد والظلم وقطع النسل البشرى ـ كسقف أدنى طبعاً ـ وفى غيبه الخفاء فى الأدوار، وبين شطر آخر تقع المسؤوليه والعاتق عليه من البشر.

الظاهره الأولى فى أصحاب الكهف تبيّن لنا دروساً وعظاءً عقائديه مهمّه حساسه، هذا البعد الأوّل هو ثبات أصحاب الكهف والرقيم الفتيه المؤمنه رغم قلّتهم فى مجتمع الضلال، إلاَّ أنَّهم مع ذلك ثبتوا على نهج الحقّ، وهذه عظه للأمّه الإسلاميّه، أنَّه رغم وجود أهل

الضلاله والمكذّبين وهم الأكثريه المكذّبون بعقيده وجود خليفه الله فى الأرض والإمام، وأنَّ الدين سيظهر ويُظهره الله على يده ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، لم يثنهم تكذيب المكذّبين وجحود الجاحدين وإنكار المنكرين والمفسدين والظالمين عن الثبات على عقيدتهم.

الانقطاع عن الخليفه وأثره فى الإيمان:

البعد الثانى فى أصحاب الكهف والرقيم أنَّ القرآن الكريم يستعرض لنا ظاهره غيابهم وغيبتهم عن البشريه التى هى ليست غيبه زوال عن وجه الأرض، ولكن هى نوع من الغيبه كانت مدّتها مئات السنين ثلاثمائه. لأنَّه لم يحدّد لنا القرآن الكريم هنا العدد المرصود لغيبه أصحاب الكهف، هذه الظاهره من غيبه أصحاب الكهف ثمّ بعث الله عز وجل لهم وإظهارهم للبشر، رغم وجود تلك الثلّه البشريه بين أيدى وظهرانى المجتمع، ولم يزايلوا موقعهم من مواقع قريبه من مجتمعهم فى الكهف الذى أووا إليه، لكن رغم ذلك كانوا غائبين عن معرفه البشر لهم وعن الشعور بهم، بعد ذلك أظهرهم الله عز وجل، هذه الظاهره يذكرها لنا القرآن الكريم لتكون عبره وعظه، يقول القرآن الكريم: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً) (الكهف: ١٣)، وليس أسطوره أو خرافه والعياذ بالله أو ثرثره قصص أو سحر وخيال، القرآن ذكر حقّ وبصيره وبصائر، هذا الحقّ والحقيقه الموجوده فى غيبه أصحاب الكهف ثمّ عودهم إلى البشريه وظهورهم وتعرّف البشر عليهم، يريد القرآن الكريم أن يرمز أو يومئ أو يلوح كما يقول هو عن مغزى ذلك وحكمه ذلك: (وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ) (الكهف: ٢١)، كانوا

موجودين، لكن لم تتفطَّن الأجيال البشريه المعاصره لولاده أصحاب الكهف ولا الأجيال التى أتت بعد ذلك ولا الأجيال بعده، كم ظهر من النسل والجيل البشرى حتَّى أصبحت قصَّه أصحاب الكهف ومناوءه الملك دقيانوس الظالم لهم واستضعافه لهم قصَّه فيما غبر فى التاريخ بالنسبه للأجيال البشريه.

هذا الدرس القرآنى فى السُنّه الإلهيه يريد من الإمّه الإسلاميّه أن تتَّعظ وأن لا تكذب ولا تجحد ولا تنكر وجود الإمام الخليفه الثانى عشر للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من ذرّيه فاطمه وذرّيه على عليهما السلام، وأنَّ عقيده الحقّ والحقيقه يجب أن يثبت عليها أهل الحقّ، وأنَّ غياب الإمام المهدى بالرغم من تطاول الأمد والسنين لا يدعوننا إلى التكذيب بآيات الله، لأنَّ وعد الله حقّ. وسيظهر الدين على يد الإمام المهدى فيملأها قسطاً وعدلاً.

إذن المغزى الثانى الذى ينوّه ويركّز عليه القرآن الكريم فى قصَّه أصحاب الكهف هو: (ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً) (الكهف: ١٢)، من هو الذى تكون العاقبه له؟ العاقبه هى لأهل التقوى.

عاقبه أصحاب الحقّ والإيمان:

إنَّ جمله من المنكرين والجاحدين لعقيده الإمام المهدى يوصمون أهل الحقّ المعتقدين والمتيقّنين بحياه الإمام المهدى، والمؤمنين بأنَّ غيبته غيبه خفاء بأنَّهم (كهوفيون)، نعم نحن من الذين نعتقد بسوره الكهف وبما فيها من حقائق وعقائد قرآنيه، فسوره الكهف تتعرَّض إلى إرهاص غريب بالنسبه للبشر، لكنَّه ليس غريباً فى السُنّه الإلهيه من إخفاء جماعه الحقّ الذين رغم زوال أجيال وأجيال لم يُبادوا

وأعثر الله عليهم وبعثهم لينجزوا الوعد الإلهى الذى هو وعد الحقّ، و(إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ۱۲۸)، و(وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصّالِحُونَ) (الأنبياء: ۱۰۵)، هذا وعد الله الحقّ، وإنَّ الذى يظهر الدين يجعله الله إماماً كما ذكرت لنا سوره القصص: (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ) (القصص: ۵).

إذن سُنّه الله أن يجعل المستضعفين أهل الحقّ الذين هم دائماً فى حاله استضعاف من قِبَل الظالمين والمفسدين، المنكرين والجاحدين، وهم فئه قليله فى قبال الفئه الكثيره من أهل الضلال والعتو والفساد، لكن الله يأبى إلاَّ أن تكون سُنّته بأن يظهر هذا الدين ويجعل العاقبه لأهل التقوى، ولأهل اليقين وأهل الحقّ، ويجعل منهم الإمام للأرض.

وقد ورد فى الروايات الإسلاميّه أنَّ أصحاب الكهف سيكونون من أصحاب المهدى عليه السلام يبعثهم الله لينصروه(۱).

فهذه العبره والدرس الكبير الذى يريد أن يبيّنه لنا القرآن الكريم هو أنَّه سيجرى فى هذه الأمّه ما جرى لمن سبقهم من الأمم، وذلك بأن يغيّب جماعه من أهل الحقّ عن معرفتنا وشعورنا وفيما يقومون به من

۱- (۱) من ذلك ما روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (إذا قام قائم آل محمّد استخرج من ظهر الكعبه سبعه وعشرين رجلاً خمسه عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعه من أصحاب الكهف، ويوشع وصىّ موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسى، وأبا دجانه الأنصارى، ومالك الأشتر)، (تفسير العياشى ۳۲:۲). ومن ذلك ما ذكره الثعلبى فى تفسيره (ص ۱۵۷)، فى قصّه أصحاب الكهف، وفيه: ... وأخذوا مضاجعهم، فصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى عليه السلام، يقال: إنَّ المهدى يسلّم عليهم فيحييهم الله عز وجل، ثمّ يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامه.

أدوار، ولكن لا يدعوَنَّكم ذلك إلى إنكارهم وجحودهم، أو إنكار القدره الإلهيه فى ذلك، وأنَّ الله عز وجل سيبعثهم أو يظهرهم لكم ولو بعد أجيال وأجيال من الأمّه الإسلاميّه.

بحقّ لو تسمّى سوره الكهف بأنَّها سوره الإمام المهدى لكانت جديره بهذه التسميه، بعد ذلك فى الحقيقه تستعرض الآيات الكريمه تفصيل هذين البعدين، بالإضافه إلى أبعاد أخرى، فالحرى بنا أن نتابع بقيّه الآيات لنتعرَّف على ظاهره أصحاب الكهف والرقيم(١).

الثبات على الإيمان والفيض الإلهى:

الثبات على الإيمان أوجد من قبل البارى زيادهَ فيض الهدى منه تعالى على الفتيه المؤمنه والثلّه المؤمنه، رغم عيشها فى غربه، بلحاظ الأكثريه المخالفه لهم من أهل الضلال، ولكن ثباتهم ورباطه جأشهم، وإن لم يلتقوا بنبىّ زمانهم أو برسول زمانهم أو بخليفه الله فى الأرض، ولم يتعرَّفوا عليه، ولم يرتبطوا به، إلاَّ أنَّه كان على علم بهم، فإنَّ لله عز وجل خليفه فى الأرض فى كلّ زمان، وهذا درس لأهل الإيمان، أنَّهم رغم احتجاب معرفتهم وشعورهم بشخص ومصداق من يعتقدونه بحقائق القرآن وحقائق السُنّه القطعيه بأنَّه إمام للبشريه ومنصوب من قبل الله وهو الإمام المهدى الثانى عشر من خلفاء خاتم الأنبياء، هذا لا يزلزلهم عن ثباتهم. ولا يزلزلهم عن الاستقامه فى طريق الحقّ. اتّعاظاً بما يذكره لنا

١- (١) الرقيم، قيل: هو القريه، وقيل: هو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف، وقيل: هو لوح من حجاره كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثمّ وضعوه على باب الكهف، وقيل: هو الجبل الذى فيه الكهف. راجع: (تفسير الطبرى ٢٤٧ :١٥ - ٢٤٩).

القرآن الكريم من أصحاب الكهف: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْناهُمْ هُدىً*وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ) (الكهف: ۱۳ و۱۴).

وعندما يستقيم الإنسان يفرغ الله عليه صبراً ورباطاً، (وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا) (الكهف: ۱۴)، قاموا من براثن الضلال، استيقظوا من غفله الانحراف إلى طريق الاستقامه والهدايه؛ لأنَّ التعبير بالقيام فى القرآن الكريم: (قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَهٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) (سبأ: ۴۶)، ليس المراد منه القيام البدنى بقدر ما يراد منه الصحوه واليقظه وعدم الغفله وسبات الضلاله، (إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً*هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ) (الكهف: ۱۴ و۱۵).

فالوسيط بين الله عز وجل وبين البشر لا بدَّ أن يكون منصوباً من قبل الله، والنصب عليه بيّنات شرعيه وبيّنات إلهيه وآيات ربّانيه، وهو معنى السلطان، فكلّ من نتَّخذه وسيله ووسيطاً بين البشر وبين الله عز وجل لا بدَّ أن يكون عليه سلطان بيّن، أنظر هذه المعرفه الفطريه الصائبه المستقيمه عند أصحاب الكهف، (لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ) ، لا بدَّ من سلطان بيّن، ومن يتَّخذه البشر واسطه بينهم وبين ربّهم خليفه وباباً يتوجَّهون به إلى البارى تعالى لا بدَّ أن تقوم عليه البيّنات والبراهين الإلهيه على جعله ونصبه وسيله بين الله وخلقه (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً) (الكهف: ۱۵)، فلا يمكن جعل شخصيه وجعل أشخاص بشريين وسطاء ووسائل توجّه إلى الله عز وجل إلاَّ بنصب من الله، كما يقول البارى تعالى لإبراهيم: (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ۱۲۴)، وكما فى قوله تعالى لخاتم المرسلين: (وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعالَمِينَ) (الأنبياء: ۱۰۷)، وكما فى قوله تعالى أيضاً فى شأن خاتم النبيّين وأهل بيته: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ) ، يعنى

توجَّهوا بك ولاذوا بحضرتك أوّلاً، ثمّ: (فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) ، لا بدَّ أن يضمّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شفاعتهم إلى عباده العباد واستغفار العباد وتوبتهم، (لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً) (النساء: ۶۴)، وكما فى قوله تعالى فى شأن خاتم المرسلين: (وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا) يعنى إلى رسول الله، (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ) (المنافقون: ۵)، اجعلوه وسيله، اجعلوه واسطه، فهذا منصوب من قبل الله، وهو المبعوث رحمه، وأنتم تنفرون عن من نصبه الله رحمه للعالمين! تبتعدون عنه! تتنكَّرون عن التوسّل به! تتنكَّرون عن التوجّه به! يا للجاحد من الحظّ الأوكس(۱)، ومن السقوط ومن سلب التوفيق، لماذا؟ لأنَّ الله عز وجل جعله باب رحمه للعالمين، وهو خاتم الأنبياء، فأنت تأنف عن التوسّل به والتوجّه به إلى الله، هذا على أيّه حال من ـ كما يقال ـ سلْب التوفيق، وانتكاس الفطره، يتنكَّرون للتوجّه والتوسّل بسيّد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام الذين جعلهم وسيله أيضاً فى قوله تعالى: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى) (الشورى: ۲۳)، وفى قوله الآخر: (قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ شَهِيدٌ) (سبأ: ۴۷)، فيستنتج المسلم من هذه الآيات المتعدّده أنَّ مودّه أهل البيت هى السبيل إلى الله عز وجل بنصّ القرآن الكريم.

الاعتزال عن المجتمع الظالم:

(وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) ، الاعتزال هنا اعتزال المسار واعتزال المنهاج، وقد كان نهج التقيّه واضحاً فيهم، والتقيّه تعنى البرنامج الأمنى لأهل الحقّ لأن يحافظوا على أنفسهم فى قِبال أهل الضلال، فسُنّه التقيّه هى سُنّه إخفاء، والمسايره

۱- (۱) الوكس: النقص، (الصحاح ۹۸۹ :۳/ وكس).

فی الظاهر مع أهل الضلال، هذه سُنّه قرآنیه یستعرضها لنا القرآن الکریم فی أصحاب الکهف، وهو عباره عن البرنامج الأمنی للحفاظ علی إیمانهم وثباتهم علی الحقّ، فالتقیّه فی الواقع علی طرف النقیض مع النفاق، النفاق هو إضمار الباطل وإظهار الحقّ، وأمّا التقیّه فهی إضمار الحقّ خوفاً من الظالمین والمفسدین والعتاه، وإظهار مسایرتهم ومداهنتهم مع ما علیه الظالمون من الباطل.

العنایه الإلهیه فی الحفاظ علی حجج الله:

بعد ذلک یستعرض لنا القرآن الکریم بقیّه ظاهرتهم: (وَ تَرَی الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ کَهْفِهِمْ ذاتَ الْیَمِینِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَ هُمْ فِی فَجْوَهٍ مِنْهُ ذلِکَ مِنْ آیاتِ اللّهِ مَنْ یَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً) (الکهف: ۱۷).

وفیها تفاصیل مکث أصحاب الکهف فی خفائهم، وکیف أنَّ الله عز وجل یبیّن ویهیّئ ویمکّن لهم من أسباب العیش مدّه طویله فی خفاء من شعور الناس وعدم معرفتهم بموضعهم، لماذا؟ ما هو المغزی وما هی الحکمه من هذه التفاصیل؟ لیبیّن الله عز وجل أنَّ تغیّب ثُلّه بشریه عن معرفه البشر وعن الشعور بهم، هذا من سنن الله الجاریه، فإذا کان أهل الصلاح یغیّبهم الله عن الشعور البشری بهم، فکیف بک بالحجج المنصوبین من قبله لیکونوا فی فسحه وأمان وسعه نشاط، وحیویه فی الحرکه من دون أن یحول بین قیامهم بالأدوار والمسؤولیه، فالذی یحول بینهم وبین تلک الأدوار والمسؤولیه هم قوی الظلم وقوی الظلام والشرّ، فهذا إذن أمر معهود فی القرآن وهو سُنّه إلهیه ولیس بدعاً.

التشابه بين غيبه أصحاب الكهف والإمام الحجّه عليه السلام:

وقوع الغيبه فى هذه الأمّه الإسلاميّه وهى غيبه خفاء لتتسنّى للإمام المهدى عليه السلام الحركه بشكل أوسع ممَّا لو كان معروفاً مكانه ومعروفاً شخصه ومعروفه هويّته، فمن ثَمَّ حينئذٍ تصل إليه أيدى البطش وأيدى الظالمين لتصفيته وإبادته، فهذه سُنّه إلهيه من وجود برنامج أمنى إلهى تؤكّد وتشدّد عليه سوره الكهف، أو يمكّن للبشر أن يتّخذ مثل هذه النظم كأسباب قوّه، والبارى تعالى الذى زوَّدهم بهذا العلم لا يخفى عليه استخدام هذه الآليه بنحو يفوق البشر. والإمام المهدى منصوب من قِبَل الله تعالى إماماً ليدير البشريه ويأخذ بيدها إلى سبيل الإصلاح والعدل والقسط، ولو بنحو السقف الأدنى، فى ظلّ غيبته عليه السلام يمنع به سقوط البشريه فى سحيق الهاويه، سحيق الإباده، سحيق الظلم والفساد الأخلاقى والانحلال، أو الفساد البيئوى.

إنكار الغيبه أسباب ونتائج:

بعد اتّضاح أنَّ غيبه الإمام المنصوب من قبل الله تعالى تمثّل العقيده الحقّه قرآنياً قبل أن تكون عقيده مأخوذه من السُنّه القطعيه، فيكون الهجوم والعداء والجحود لهذه العقيده بهذه الألفاظ الخاويه الرخيصه تنكّراً من هذه الجماعات المكذّبه والجاحده والمنكره لحقائق قرآنيه عديده، فالقرآن يؤكّد كما مرَّ بنا فى ظاهره النبىّ موسى فى غيبته وفى خفاء ولادته ثمّ ظهوره للإصلاح والمجابهه للأنظمه الفرعونيه، وكذلك فى غيبه النبىّ يوسف ومن ثَمَّ ظهوره وإصلاحه للنظام البشرى والقيام بما يحفظ أمن البشريه من الجانب الاقتصادى، حيث عصفت بهم

حالات المجاعه والقحط الشديد، فلولا النبيّ يوسف الذى كان حجّه من قبل الله وفى ظلّ غيبته، لعصف بالبشريه حينئذٍ ذلك القحط الشديد ويكون الإقليم المهمّ من أرجاء الأرض يعيش حاله قطع النسل البشرى والإباده، فتشبّ حينئذٍ الجرائم، ويشبّ الفساد الخلقى، وإنَّ الفقر أينما حلَّ يقول للكفر: خذنى معك، وبالتالى يسبّب نوعاً من الوباء الفسادى فى شتّى المجالات، وبالتالى إلى سفك الدماء، وهذا هو المحذور الذى خافت منه الملائكه، وطمأن الله مخافه الملائكه من خلق الطبيعه البشريه بجعل خليفه له فى الأرض: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقره: ٣٠)، فالخليفه يحول دون سوخ الأرض بالفساد، ودون سوخ الأرض وتفشّى ظاهره قطع النسل البشرى عبر مجالات الفساد المختلفه.

إذن إخفاء الخليفه فيما يقوم به من أدوار ومسؤوليات وغيبته هى ظاهره متكرّره فى الظواهر القرآنيه بتأكيد قرآنى وإصرار قرآنى فى سور عديده جدَّاً، وفى أمثله ونماذج عديده جدَّاً، عظةً وعبرةً لهذه الأمّه بما سيجرى عليها فى تاريخها الأخير وفى عمرها الأكبر الآن من غياب أئمّه أهل البيت عليهم السلام وخفاء الإمام المهدى عن ظهرانى المسلمين، وإن كان حاضراً بين أيديهم ولكن لا يشعرون به ولا يعرفونه، أى غيبه شعور وغيبه خفاء أكثر من عشره قرون، ودخلنا فى القرن الثانى عشر.

وحقّ لمن يسائل: أين الآيات حول ظاهره الإمام المهدى وغيبته؟ نقول له: هذا سؤال حقّ وحرى أن يُجاب عنه، فعندما كانت هذه العقيده حقّه، فلا بدَّ أن يتكفَّل القرآن لمعالجه شؤونها وشجونها فى سور عديده وببيانات عديده وبنماذج وبزوايا مختلفه ومتنوّعه، وهذا الذى نجده فى القرآن الكريم، من غيبه لأولياء الله وحججه يستعرضها

ويسطرها القرآن الكريم ويبيّن زوايا عديده وجهات أخرى مختلفه ومتنوّعه ومتعدّده، لتصحيح عقائد المسلمين، وجذبهم نحو مسار ومنهاج الحقّ، وهو منهاج القرآن ومنهاج النبىّ وأهل بيته، فلذلك نراه هنا يستعرض قدره الله فى تغييب أهل الكهف عن البشريه، تغييبهم وليس استئصالهم من وجه الأرض، بل هم كانوا على صعيد البسيطه والنشأه الأرضيه، ولكن البشريه لم تشعر بهم ولم تعرف موضعهم.

الأسباب الكونيه فى خفاء الحجج:

يستعرض القرآن الكريم تفاصيل فتره الخفاء لهم، وكيف أنَّ الأسباب التكوينيه التى هيَّأها الله والتى هى خفيّه وخافيه على البشر مهَّدها الله وهيَّأها ليعيشوا ويبقوا قروناً من دون أن تشعر بهم البشريه، (وَ رَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ) (الكهف: ۱۴)، كما يقول القرآن الكريم فى دعاء أهل الكهف: (وَ هَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً) (الكهف: ۱۰)، فهيَّأ لهم عز وجل رحمه ومرفقاً للعيش، (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً) (الكهف: ۱۶)، بيئات للعيش ترفق بهم وتحول دون بطش الظالمين بهم، (وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) اعتزلوا أهل الضلال، وهم أكثريه البشريه آنذاك، حينئذٍ (فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) ، كهف الخفاء، (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً) (الكهف: ۱۶)، لذلك يستعرض القرآن الكريم تفاصيل هذه الظاهره وهذه الحاله، ويؤكّد ويبيّن بصريح البيان للمسلمين وللمؤمنين أنَّ هذه سُنّه إلهيه فى التغييب، أى الإخفاء، والتغييب بمعنى الخفاء، لا الإباده والاستئصال والإبعاد عن وجه الأرض وعن الكره الأرضيه مدّه قرون لأهل الكهف، أهل الكهف عاشوا فيها

بقدره من الله، والقرآن يستعرض تفاصيل هذه الأحاديث، (وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ) ، لأسباب العيش وحاجه الإنسان إلى العيش فى ظلّ الأجواء الطبيعيه، (وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ) (الكهف: ١٧)، ذلك من سنن الله وآياته التى يجب أن يعتقد بها المسلمون والمؤمنون فى إبصار هدى القرآن لعقائدهم التى سيعيشون فيها، فليس من الاعتباط وليس من المصادفه والاتّفاق تكرار القرآن فى سوره بعد سوره غيبه أولياء الله التى هى بمعنى الخفاء، ذلك لكى لا يحيدوا عن مسار الحقّ، ولكى لا يحيدوا ولا يعطّلوا عن المسؤوليه؛ لأنَّ البارى تعالى يعلم أنَّ الأمّه الإسلاميّه ستعيش قروناً من عدم الشعور بإمامها وبالخليفه المنصوب من قبله تعالى، رغم قيامه بالأدوار والمسؤوليه بنحو فاعل حيوى، لكن البشريه لا تشعر به لظروف ولمكايده ومصارعه الظالمين، إلى أن تتأهَّل البشريه إلى النضج الكامل فيما يقوم به خليفه الله من تربيه البشريه على ذلك بنحو خفى مستتر ليهيّئها إلى ساعه الصفر من ساعات الظهور.

فليس من العبط أو الصدفه أو الاتّفاق غير المحسوب أن يستعرض القرآن الكريم عدّه ظواهر فى الغيبه، فالغيبه هى ظاهره قرآنيه متكرّره متعدّده؛ لأجل أن يبيّن البارى تعالى أنَّ هذا من سُنّه الله، (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر: ۴۳)، إنَّ إخفاءهم وتمكين الله عز وجل وتهيئته لهم مرفقاً من العيش ليعيشوا فى ظلّه من دون أن يحتاجوا إلى الظهور على المكشوف والعلن ذلك من آيات الله ومن هدى الله؛ لأنَّ هذه هدايه، فإذا آمنت بهذه الآيه آمنت بهذه السُنّه الإلهيه من الحفاظ وبناء السياج الحفاظى

وضمانه الحراسه الإلهيه لأوليائه من قِبَل الله، وليس ذلك بعزيز على الله لذلك. وسوف تهتدى إلى العقيده الحقّه أنت أيّها المسلم، أنت أيّها القارى للقرآن، (وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر: ١٧)، (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) (محمّد: ٢۴).

التقيّه ودورها فى الحفاظ على أولياء الله:

وهم موجودون بين أيدى البشر فى الأجيال اللاحقه، وانقرضت تلك الأجيال التى عاصرتهم سابقاً، ورغم ذلك هم يتعاطون مع تلك الأجيال اللاحقه بعد قرون بنحو خفى، أصحاب الكهف يشعرون بالآخرين، والآخرون لا يشعرون بهويه أصحاب الكهف، (وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً) ، هذا هو معنى التقيّه أو معنى الخفاء أو معنى البرنامج الإلهى، (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) ، هنا تبيّن الآيه على لسان أصحاب الكهف فلسفه التقيّه وفلسفه الخفاء والغيبه، يستعرضها لنا القرآن الكريم على لسان أهل الكهف، (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ) ، أو يلجئوكم على الضلاله، (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً) (الكهف: ٢٠)، هذه هى فلسفه تشريع التقيّه، التى يهرّج بها الجاحدون والمنكرون لها، وكأنّهم لا يتفطّنون إلى مثل هذه التعاليم القرآنيه، (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) ، (يَظْهَرُوا) أى يطّلعوا، يعلموا، يشعروا بكم، هذا هو الغيب.

إذن غيبه الإمام المهدى تعنى غيبه شعورنا به، لا غيبه وجوده، غيبه علمنا به، لا غيبه بدنه الشريف، غيبه معرفتنا به، لا غيبه دوره ووجوده بين أيدينا وأداء ما عليه من مسؤوليات آليه، (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً) ، هذه فلسفه الخفاء والغيبه التى يعرضها القرآن على لسان أهل الكهف، ليبيّن لنا أنّه ستكون

غیبه لإمامکم التی هی غیبه شعورکم أنتم أیّتها الأمّه الإسلامیّه، شعورکم بإمامکم، معرفتکم بإمامکم بشخصه وهویّته، وإن کان موجوداً بین ظهرانیکم وبین أیدیکم ویمارس دوره الملقی علیه من قبل الله تعالی، وذلک لکی لا تعاوقه قوی الشرّ والضلال والبطش عن أداء مسؤولیته وأدواره الإلهیه، لکنَّه هنا حانت ساعه ظهور أصحاب الکهف، وانظر لهذا الظهور کیف یعبّر عنه القرآن الکریم، یقول: (وَ کَذلِکَ أَعْثَرْنا عَلَیْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ) (الکهف: ۲۱).

هو وعد من الله عز وجل لنصره أولیائه، (وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ) (القصص: ۵)، (وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) (الأعراف: ۱۲۸).

فالوعد الإلهی فی الظهور والغلبه للمصلحین یأتی بعد دور خفاء، هذه سُنّه إلهیه، (وَ کَذلِکَ أَعْثَرْنا عَلَیْهِمْ لِیَعْلَمُوا) ، یعنی بعد ما یئس الناس من وجودهم وقالوا: إنَّ أصحاب الکهف بادوا أو ماتوا أو انقرضوا لا یُدری فی أیّ وادٍ هم، (وَ کَذلِکَ أَعْثَرْنا عَلَیْهِمْ) یعنی أطلع الله البشر علیهم فی ساعه ظهورهم، (لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ) ، وهذه سُنّه الله، أن یظهر المصلحین فی نهایه المطاف، (لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ أَنَّ السّاعَهَ لا رَیْبَ فِیها) ، لماذا ذکره القرآن الکریم لنا فی سوره نتلوها دائماً فی ختمات القرآن؟ لأنَّ هذا ما سوف تبتلی وتمتحن به الأمّه الإسلامیّه، وکی لا تنکر وعد الله، ولا تعجل وعد الله، ولا تکذّب بعقیده الإیمان بخلیفه الله فی الأرض، (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (البقره: ۳۰)، هذا الدین بدأ بأهل البیت وسیختم بأهل البیت علیهم السلام، مضافاً إلی أنَّ هذا مثل ضربه الله

أيضاً حتّى للمعاد، وأنَّ انطباق الساعه يأتى أيضاً بمعنى ساعه الوعد الإلهى، فهناك عدّه تفسيرات كلّها تتلائم مع سياق الآيه، بأنَّ المراد من الساعه سواء ساعه القيامه الكبرى أو الساعه الموعوده فيها بإنجاز الوعد الإلهى والضمانه الإلهيه.

البناء على القبور:

(وَ أَنَّ السّاعَهَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً) (الكهف: ٢١)، هنا محطّه لطيفه يذكرها القرآن الكريم، أنَّ المساجد تتَّخذ على قبور أولياء الله، وهذه سُنّه يستعرضها القرآن ويقرّها، (قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً) ، اتّخاذ المساجد لعباده الله وذكر الله عند قبور أوليائه أمر قد ورد فى القرآن الكريم وشرّع فى نصّ القرآن الكريم لأصحاب هدى، فهذا الذى يُمارس من قبل فِرَق المسلمين كافّه عدا الذين يجحدون مثل هذه الشعيره الإسلاميّه الأصيله، أو هذا الشعار القرآنى الأصيل، ففِرَق المسلمين كافّه هى على هذا النهج؛ لأنَّها مواضع لعباده الله، وأقرب لاستجابه الدعاء، كما ورد فى نصّ الحديث النبوى المتواتر: (ما بين قبرى ومنبرى روضه من رياض الجنّه)(١)، أى عند قبره الشريف يتَّخذ مصلّى وعباده لله ويستجاب الدعاء تحت قبّته، كيف والقرآن الكريم قد أخبرنا بذلك أيضاً: (وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ) ، لاذوا بحضره النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد ذلك يتأهَّلون

١- (١) معانى الأخبار: ٢٦٧/ ح ١؛ من لا يحضره الفقيه ٥٦٨ :٢/ ح ٣١٥٨.

ویستعدّون لاستغفار الله، (فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِیماً) (النساء: ۶۴)، وکذلک فی قوله تعالی: (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِیمَ مُصَلًّی) (البقره: ۱۲۵)، آیات عدیده تدلّل علی هذا الأصل القرآنی، یبثّ القرآن الکریم هذه التعالیم لمن هم أصحاب هدی، هم أصحاب الکهف الذین مدحهم القرآن الکریم أیّ مدیح، والحرّ وذو اللبّ تکفیه الإشاره، (سَیَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ کَلْبُهُمْ وَ یَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ کَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَیْبِ وَ یَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثامِنُهُمْ کَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما یَعْلَمُهُمْ إِلاّ قَلِیلٌ فَلا تُمارِ فِیهِمْ إِلاّ مِراءً ظاهِراً وَ لا تَسْتَفْتِ فِیهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً) (الکهف: ۲۲)، لا یعرفون هذه المجموعه، إنّما هم مجموعه رجال الغیب، مجموعه شبکه الغیب، شبکه ظاهره الخضر، الأبدال والأوتاد والسیّاح والأرکان، مجموعه الخضر التی تحوط خلیفه الله الإمام المهدی، والله تعالی أعلم بعدّتهم.

ظاهره أصحاب الکهف ودورها فی حفظ الدین:

دأبت السُنّه الإلهیه علی إخفاء أولیاء الله ومجموعاتهم المجهوله عدّتُهم، هؤلاء الذین یخفی الله عز وجل عن شعور البشر أشخاصهم أو معرفه شخصیاتهم ومعرفتهم بالهویه، تلک المجامیع والمجموعات البشریه التی تعدّ للقیام بمسؤولیات إلهیه خفیّه فی العدد والعدّه، فهذه سُنّه من الله عز وجل، ولا یوجب ذلک اللحود والإنکار والاستهزاء بسنن الله تعالی فی أولیائه، لاسیّما المصلحین، وفی هذه الآیه الکریمه تعبیر رائع جدّاً وذو مغزی عمیق، حیث تقول الآیه: (رَجْماً بِالْغَیْبِ) ، أطلق علیهم القرآن الغیب، ممّا یدلّل علی أنّ المراد من کلمه الغیب فی استعمال القرآن

الكريم هو كلّ ما كان خافياً شعوره ومعرفته وعلمه عن البشر، ويساعده المعنى اللغوى أيضاً حيث يعبّر عنه بالغيب، ومن ثَمَّ ورد فى جمله من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام تعبير بالغيب عنه عليه السلام.

الإيمان بالحقيقه المهدويه من مصاديق الغيب:

إنَّ أحد مصاديق الغيب هو الإيمان بالإمام المهدى عليه السلام وظهوره فربَّما يتقاصر ذهن الكثير عن الالتفات إلى معنى الغيب، ويظنّ أنَّ المراد من كلمه الغيب هو ما وراء الموت من النشأه الآخره مثلاً كالبرزخ، والقيامه، أو ما شابه ذلك من العوالم العلويه السماويه وغيرها، والحال أنَّ القرآن الكريم لا يقصر ولا يحبس استعمال الغيب على ذلك فقط، بل كلّ ما غاب عن شعور البشر وعن معرفتهم ودرايتهم، وإن كان فى دار الدنيا فإنَّه يكون غيباً بالنسبه إليهم لأنَّه تحت تنفيذ قدره الله وقضائه، هذه القدره الفائقه على قدره البشر ومُكنتهم، فمن ثَمَّ يُسمّى غيباً، قال تعالى: (ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقره: ٢)، وتتابع الآيات: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقره: ٣)، الغيب فُسّر أيضاً بالإمام المهدى عليه السلام، وهذا التفسير معهود ويؤنسنا به نفس القرآن الكريم، أنَّ الغيب كلّ ما كان بتدبير وقضاء وقدره من الله عز وجل وتتصاعد وتتعالى على قدره البشر ومكنتهم ومعرفتهم وشعورهم، يكون حينئذٍ فى دائره الغيب عن البشر، وبالتالى فالغيب غيبه ولىّ الله وغيبه أولياء الله وغيبه المصلحين عن شعور البشر ومعرفتهم بهم بتقدير من الله يكون غيباً ومن الأمور الغيبيه التى افترض الله الإيمان بها على المؤمنين، فهنا تطبيق واضح من القرآن الكريم على غيبه أصحاب الكهف، غيبه شعور البشر بأصحاب الكهف، غيبه معرفه البشر بأصحاب الكهف، مع وجودهم فى دار الدنيا وعبَّر عنه القرآن بالغيب.

ظاهره أصحاب الكهف والإيمان بالحقيقه المهدويه:

هناك نوع من التشابه الوطيد الصله جدًّاً بين ظاهره أصحاب الكهف من جانب، والإمام المهدى وغيبته من جانب آخر، فقد ابتلى أصحاب الكهف بالملك دقيانوس رأس الضلاله وقومه وأصحابه، وكانوا هم ثلّه مستضعفه، فحماها الله وحرسها بالخفاء والغيبه، هكذا نجد فى عهد الإمام الهادى والإمام العسكرى عليهما السلام، كانوا مسجونين فى قاعده عسكريه تدعى ب- (سُرَّ من رأى) وهى سامراء حالياً، وكانت أكبر قاعده عسكريه فى العالم الإسلامى حينذاك، بل حتَّى ربَّما على وجه الأرض، وسجن فيها الإمام الهادى والإمام العسكرى كسجينين عسكريين تخوّفاً من دور الإمامين عليهما السلام ومن تولّد ابنهم الموعود على لسان النبىّ ولسان جميع الأنبياء بأن يكون المصلح المنقذ المنجى للبشريه والذى يملأها قسطاً وعدلاً، فالبشاره بالإمام المهدى لم تقتصر على القرآن الكريم فقط: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبه: ۳۳)، (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ) (القصص: ۵)، إلى غيرها من الآيات العديده التى مرَّت بنا، وأنَّ القرآن وعد بأنَّ الإصلاح سيكون على يد من نصَّبهم الله أئمّه يرثون الأرض، وإن كانوا فى فتره طويله جدًّاً متطاوله مستضعفين من قبل الظالمين المفسدين، بل هذا قد ورد فى الزبور والتوراه والإنجيل وكتب السماء السابقه: (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ) (الأنبياء: ۱۰۵)، وقد فسّر الزبور هنا بزبر الكتب السماويه. فجمله الكتب السماويه قد تعرَّضت إلى البشاره بسيّد الأنبياء وبالأئمّه الاثنى عشر، وكذلك بالبشاره بالإمام المهدى عليه السلام وظهوره وإصلاح الأرض على يديه، وكأنَّه هو خاتمه وثمره سلسله مسار الأنبياء والمرسلين أجمع والأئمّه فى كلّ حقبه، فمن ثَمَّ وردت البشاره به وبغيبته فى الصحف الأولى.

ص:۲۲۴

هنا نلاحظ أنَّ ظاهره أصحاب الكهف قد وردت فيها جمله من العناوين العقائديه استعملها القرآن الكريم مشاكله ومشابهه للعقيده بالإمام المهدى وغيبته الوارده فى آيات أخر وسور أخر، فضلاً عن الأحاديث النبويه الوارده، مثلاً التعبير: (وَ كَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ) (الكهف: ٢١)، أنَّ هناك وعداً من الله عز وجل، وهذا الوعد قد فُسّر من قِبَل المفسّرين بالمعاد والبعث، ولا ضير فى هذا التفسير، لكنَّه لا ينحصر فى ذلك، ففى الحقيقه أنَّ الإعاده والوعد كما استعملها القرآن الكريم فى القيامه الكبرى والمعاد الأكبر، استعملها أيضاً على ما وعد به الله عز وجل البشريه من وعود أخرى قطعها البارى تعالى فى القرآن على نفسه، مثلاً إظهار هذا الدين كلّه على جميع أجزاء الأرض، هذا وعد أيضاً ومعاد، وليس المعاد المصطلح المراد منه الآخره، فذلك هو المعاد الأكبر، وذلك هو القيامه الكبرى، ولكن قد عبَّر القرآن الكريم أيضاً عن كلّ وعد بيوم معيَّن فيه من ظهور الآيات الربّانيه وآيات القضاء والقدر الإلهى والحكمه الإلهيه البارزه العظيمه، هو ذاك اليوم، يوم العدل، يوم وعد يتحقَّق فيه إنجاز الوعد الإلهى، وبالتالى فكلّ وعود الله حقّ.

حقيقه الرجعه بين القبول والرفض:

إنَّ ظاهره أصحاب الكهف ظاهره خفاء وغيبه ورجعه، والرجوع ليس كما يقوله التناسخيه وبعض الفِرَق الباطله من حلول روح فى بدن آخر، وما شابه ذلك من هذه الأمور الباطله الواهيه، وإنَّما هى رجوع هذه الأرواح إلى نفس هذه الأبدان الدنيويه، كما هو فى النوم، فالنوم كما ورد فى الحديث الشريف وكما ورد فى الآيه الكريم: (اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِها) (الزمر:

۴۲)، فعبَّر عن النوم أيضاً بأنَّه نوع توفّى للأنفس، فهو صنف شبيه يشاكل الموت، فرجوع أصحاب الكهف فى الحقيقه ظاهره بيّنه على عقيده الرجعه التى تؤمن بها مدرسه أهل البيت عليهم السلام، من رجوع الأئمّه الاثنى عشر إلى دار الدنيا، طبعاً فى أبدانهم لا فى أبدان أخرى، كى يكون هنا فرز وتمييز بين قول الرجعه وأقوال باطله أخرى من أقوال التناسخيه والمخمّسه وغيرهما من الفِرَق الباطله، بل هو رجوع الأرواح إلى نفس أبدانها، كما فى النفس البشريه عندما تنام، هى نوع توفٍّ للأنفس شبيه للموت، فالاستيقاظ نوع من الرجوع، لكن هذه فى فتره قصيره ستّ ساعات أو ثمانى ساعات، أمَّا فى نوع أصحاب الكهف فكان قروناً، ثمّ بعثهم الله كما عبَّر القرآن الكريم فى قصَّه أصحاب الكهف: (وَ كَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ) (الكهف: ۱۹)، لكنَّه ليس هو البعث الأكبر، فذلك فى يوم القيامه، وإنَّما هذا بعث آخر، كما ورد أيضاً أنَّ الإيقاظ من النوم وإيلاج الروح بعد مفارقتها للبدن فى المقام ليس مفارقه كلّيه طبعاً هو نوع من البعث الإلهى، (وَ هُوَ الَّذِى يَتَوَفّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ) (الأنعام: ۶۰)، فإذن عنوان البعث ورد فى القرآن الكريم لليقظه من المنام، وكذلك ورد فى أصحاب الكهف، وهذا غير التناسخ الباطل، أو ما تقوله الفِرَق الباطله، وإنَّما هو فى نفس بدنه وليس فى بدن آخر، علقه بين الروح ونفس البدن، كما هى فى الآخره حيث تُبعث الأرواح فى أبدانهم وليس بأبدان أخرى، ولا صله له بالمقوله التناسخيه الباطله.

إذن هناك بعث أكبر ومعاد أكبر وقيامه كبرى، ويبيّن لنا القرآن الكريم أنَّ هناك عدّه حقب من البعث أيضاً، ورجعه الأرواح إلى الأبدان نفسها لا أبدان غيرها فى دار الدنيا مهما تطاولت القرون، هذه ظاهره

موجوده فی أصحاب الکهف، وتقع فی هذه الأمّه، وهی عقیده الرجعه التی تشیّدها مدرسه أهل البیت علیهم السلام.

والجانب المهمّ فی مقام حدیثنا الذی نحن فیه هو ظاهره غیبه الإمام المهدی علیه السلام، وأنَّها قد استُعمل فیها عناوین فی القرآن الکریم وفی الحدیث النبوی، ووردت بنفسها أیضاً فی ظاهره أصحاب الکهف، إنَّما هی ظاهره خفاء مجموعه طالت عدّه قرون، وأنَّ الله وعدهم بأن یظفرهم ولو بإلهام الفطره وبیقین الفطره، أو أنَّ الله وعد فی منشور کتبه بأنَّ العاقبه تکون للمتّقین، وهؤلاء متّقون، فأنجز الله هذا الوعد، کما أنَّ هناک وعداً إلهیاً أیضاً فی الآخره بالمعاد والقیامه الکبری، فهاهنا استعمل الظهور کمصداق من مصادیق تحقّق الوعد الإلهی.

الوعد القرآنی فی ظهور الإمام الحجّه علیه السلام:

کذلک الحال فی ظاهره الإمام المهدی وغیبته، هناک وعد قرآنی لإظهاره، وعود فی آیات قرآنیه وبألسن مختلفه وببیانات قرآنیه متنوّعه، وببیانات فی الحدیث النبوی المتواتر متعدّده، أن یظهر الله المهدی من ذرّیه الرسول وذرّیه فاطمه وعلی علیهم السلام لیملأها قسطاً وعدلاً.

والتعبیر الآخر الثانی المشاکل لما ورد فی العقیده بالإمام المهدی وغیبته بالساعه، مع أنَّ الساعه هنا أرید بها الساعه الکبری، وهی یوم القیامه الکبری، ولکن فی سیاق آخر طبق علی ساعه ظهور أصحاب الکهف، حیث إنَّ هناک نوعاً من المشاکله بین إظهار الله عز وجل لأصحاب الکهف حیث هو مقدَّر فی القضاء الإلهی مع تلک الساعه الکبری، وهذا هو الذی ورد أیضاً، أنَّ أحد معانی الساعه ظهور المهدی، وإن کان هذا لا ینافی الساعه الکبری وهی القیامه

الكبرى، وربَّما أطلق على ظهور المهدى القيامه الصغرى، والرجعه القيامه الوسطى، وهى رجعه أئمّه أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا.

المتّقون والإيمان بالغيب:

(ذٰلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقره: ٢)، من هم المتّقون؟ أوّل صفه بارزه فى المتّقين أنَّهم يؤمنون بالغيب، يدركونه بحقيقه عقولهم وبإيمان قلوبهم، وعندما نقول: من أبرز صفاتهم الإيمان بالغيب إنَّما نريد ما قامت عليها البراهين والأدلّه، كما أنَّ مجرَّد غيبيه الحقيقه عن الشعور وعن المعرفه البشريه ليس مدعاه وسبباً للجحود وللإنكار وللاستهزاء وللتهريج، فهذا أمر عامّ يشمل الإيمان بالله تعالى والإيمان بالنشأه الآخره وبالمعاد وبأمور غائبه عن شعور وإدراك الإنسان الحسّى وهى كثيره جدَّاً، فمن ضمن تلك الأمور التى قام عليها البرهان القرآنى وبرهان السُنّه القطعيه النبويه والبراهين العقليه قوله تعالى: (إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً) (البقره: ٣٠)، إنَّ الاعتقاد بإمامه أهل البيت وبانتهاء هذه الإمامه بالإمام المهدى قامت عليه الأدلّه العامّه القرآنيه والأدلّه فى الأحاديث النبويه بعنوان عامّ عموم العتره أو بعنوان عامّ عموم جعل الخليفه فى الأرض، وبعنوان خاصّ خصوص الإمام المهدى الثانى عشر، وما شابه ذلك، فالأدلّه متنوّعه ومتعدّده، وعندما يعجز الشعور والإدراك الحسّى البشرى عن الوصول إلى مثل هذا الإمام مع وجوده ما بين أيدينا، وما بين ظهرانينا ومع ما يقوم به من أدوار عصيبه حساسه فى نظام البشر، ومع قيام البراهين القرآنيه والبراهين النبويه على وجوده وعلى قيامه بالمسؤوليه.

مع كلّ ذلك لا تكون غيبته عن الشعور الحسّی البشری مدعاه للإنكار والجحود، فأبرز صفه فی المتّقين عقيدتهم بالأدلّه التی تقوم علی الحقائق العقائديه، وإن كانت غائبه عن قوّه وقدره شعورهم الحسّی، وليس المراد خصوص الإمام المهدی وغيبته، ولكن من ضمن ثوابت الغيب التی يؤمن بها المتّقون، هو الاعتقاد بإمامه الإمام المهدی وغيبته، هذا التعبير مشاكلته كما مرَّ بنا فی القرآن الكريم فی ظاهره أصحاب الكهف والرقيم، فقد كانت لهم غيبه قرون متطاوله، ثمّ بعثهم الله وأظهرهم إلی البشريه بعد مرور أجيال وأجيال وقرون.

فنری استعمال القرآن الكريم عن أمر موجود فی نشأه دار الدنيا وعلی وجه الأرض، إلَّا أنَّه لكونه غائباً عن شعور البشر وقدره إحساسهم فقد سمّاه القرآن الغيب، لكن قامت عليه الحقيقه البرهانيه القرآنيه والأديانيه، ومن ثَمَّ عبَّر عنه بالغيب كما فی هذه الآيه الكريمه: (سَيَقُولُونَ ثَلاثَهٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَهٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَهٌ وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلاّ قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِمْ) (الكهف: ٢٢)، التعبير إذن ورد: (رَجْماً بِالْغَيْبِ) ، قد عبَّر عن هذه الظاهره بأنَّها غيب، كذلك فی الآيات اللاحقه عندما يقول البارئ تعالی: (وَ لَبِثُوا فِی كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَهٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً*قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) (الكهف: ٢٥ و٢٦).

* * *

الظاهره الخامسه: الإمام المهدی علیه السلام وذو القرنین

اشاره

ص:۲۳۱

الظاهره الخامسه وهی الثالثه فی سوره الکهف، ولکنَّها خامسه فیما استعرضناه من ظواهر قرآنیه متَّصله بعقیده الإمام المهدی وغیبته، ألا وهی ظاهره ذی القرنین(۱).

ولیس هذا التکریر والإکثار والتعدید من البیانات القرآنیه إلاَّ لأجل أنَّه سیقع فی هذه الأمّه أمر عصیب تفتتن فیه الأمّه وتمتحن وتبتلی بمثل هذه العقیده الحقّه، کی یصبر، ویهتدی، ویثبت علی الهدی، و(لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَهٍ وَ یَحْیی مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَهٍ) (الأنفال: ۴۲).

فلیس من العبط ولا من المصادفه ولا من عدم الحسبان أن تکرّر لنا السور القرآنیه الأخری بعد الأخری والثانیه بعد الأولی ظاهره غیبه حجج وأولیاء الله فی الأرض، ثمّ ظهورهم وقیامهم بأدوار فی الغیبه، ثمّ قیامهم بعد ظهورهم بالأدوار المعلنه علی المکشوف، إلاَّ لبیان أنَّ فی هذه الأمّه ستقع مثل هذه السُنّه الإلهیه، فظاهره ذی القرنین هی أیضاً کظاهره خامسه متَّصله بظهور الإمام المهدی، حیث إنَّ ذا القرنین کالنبیّ سلیمان هما مَلِکان قد أوعز إلیهما وفوّض إلیهما ومُکّنا من قبل الله تعالی ونصّبا للحکم العامّ الشامل فی أرجاء الکره الأرضیه، کما ورد فی الروایات أنَّ أربعه من الملوک حکموا غالب أرجاء الکره الأرضیه، اثنان

۱- (۱) عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: (إنَّ ذا القرنین لم یکن نبیّاً، ولکنَّه کان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله، وناصح لله فناصحه الله، أمر قومه بتقوی الله فضربوه علی قرنه، فغاب عنهم زماناً، ثمّ رجع إلیهم فضربوه علی قرنه الآخر، وفیکم من هو علی سُنّته)، (کمال الدین: ۳۹۳/ ما روی من حدیث ذی القرنین/ ح ۱).

صالحان وهما الملك سليمان وقبله ذو القرنين، واثنان طالحان وهما نمرود وبختنصر(۱).

وهذا أيضاً من السنن الإلهيه التى يوليها الله عز وجل لأوليائه وحججه، (وَ يَسْئَلُونَکَ عَنْ ذِی الْقَرْنَیْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَیْکُمْ مِنْهُ ذِکْراً) (الكهف: ۸۳)، هنا تبتدئ الآيات ببيان البطاقه الشخصيه التى يسردها لنا القرآن الكريم عن شخصيه ذى القرنين، شخص صالح اصطفى للتمكين فى ملك الأرض، وهو على أيّه حال يضاهى ما ستشهده البشريه من إرهاص عظيم مزلزل مجلجل فى أرجاء الأرض ويدوى فى أجواء السماء وهو ظهور الإمام المهدى عليه السلام، بل لن تشهد البشريه جلجله وزلزله وزلزالاً وإرهاصاً أعظم ممَّا ستشهده فى ظهور الإمام المهدى، وهو أعظم ممَّا أوتى ذو القرنين، أو أوتى النبىّ سليمان عليه السلام.

أنظر هاهنا التعبير: (إِنّا مَکَّنّا لَهُ فِی الْأَرْضِ وَ آتَیْناهُ مِنْ کُلِّ شَیْ ءٍ سَبَباً) (الكهف: ۸۴)، هكذا عرَّف القرآن الكريم ذا القرنين، ولم يعرّفه بأنَّه نبىّ أو مرسل، هذا هو التعريف الذى اقتصر عليه القرآن الكريم فى تعريف ذى القرنين، نظير ما مرَّ من تعريف للخضر فى نفس سوره الكهف، وهى ظاهره أيضاً متَّصله بغيبه الإمام المهدى عليه السلام.

تصل سوره الكهف بتعريف نهايه المطاف، نهايه حفظ الدين، وبقاء الدين ألا وهى ظاهره ذى القرنين فى سوره الكهف، لأنَّه نهايه حفظ هذا الدين فى هذه الأمّه هو ظهور المهدى ليظهر الله عز وجل الدين على أرجاء الأرض كافّه

۱- (۱) فى الروايه عن ابن مسعود: إنَّ أوّل مَلِک مَلَک فى الأرض شرقها وغربها نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلّها أربعه: نمرود بن كنعان، وسليمان بن داود، وذو القرنين، وبختنصر، مؤمنان، وكافران. (تاريخ الطبرى ۱۶۳ :۱).

على يده فيملأها قسطاً وعدلاً، (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ، وهذا التناسق البديع فى سوره الكهف قد رصد فى ترتيبه بشكل ظريف بديع ينطبق تماماً على ملحمه العقيده بالإمام المهدى وغيبته.

عرَّف القرآن ذا القرنين بأنَّه عبد مصطفى ولم يكن نبيّاً (إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِى الْأَرْضِ) (الكهف: ٨۴)، فهو تمكين إلهى وقدره تفوق قدرات الأسباب الطبيعيه فى البشر، بل هى بأسباب طبيعيه، ولكن هذه الأسباب الطبيعيه لا يمكن للقدره البشريه تناولها، وإنَّما هى بتمكين فقط من الله عز وجل.

الطبيعه البشريه فيها أسباب ولكن هذه الأسباب لا يمكن نيلها بتمامها أو بجمله وافره منها أو بجمله مهمّه إلَّا بتمكين من الله، نظير ما ورد فى الخضر: (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الكهف: ۶۵)، أى هنا تمكين إيتائى ولدنّى من الله، (إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِى الْأَرْضِ) ، وهذا التمكين تمكين خاصّ (وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ سَبَباً) (الكهف: ٨۴)، إيتاء لدنّى، كما أنَّ فى القرآن الكريم بياناً واضحاً أنَّ هناك غير مقام النبوّه ومقام الرساله، هناك مقام صاحب العلم اللدنّى، وهو صاحب تأويل كما مرَّ فى الخضر، وهنا صاحب تمكين فى الأرض وقدره وولايه تكوينيه، (وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ سَبَباً) .

وهناك قدره علميه خاصّه لدنّيه، كما أنَّ هناك قدره تكوينيه خاصّه لدنّيه من الله، وهذا مقام آخر يستعرضه لنا القرآن الكريم، هذا المقام ليس مقام نبوّه ولا- رساله، وإنَّما مقام الملك والإمامه فى الأرض بأن يمكّن الإمام والخليفه فى الأرض، من القدره التى تتقاصر وتعجز عنها وعن التطاول إليها القدره البشريه مهما تقدَّمت ومضت قدماً فى الحضاره والتمدّن.

بعد ذلك يعرّفنا القرآن الكريم: (فَأَتْبَعَ سَبَباً*حَتّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا) ، خطاب من

الله عز وجل إلى ذى القرنين، (يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً) (الكهف: ۸۵ و۸۶)، هنا حوار ووحى خاصّ بين البارى تعالى وذى القرنين، مع أنَّ القرآن الكريم لم يعرّف لنا ذا القرنين بأنَّه نبىّ ولا رسول، ولكنَّه وليّ مصطفى ومجتبى قد مُكّن واختير واصطفى لمقام الإمامه والخلافه فى الأرض، الملك ملك التدبير والتصرّف، وهو إمام ومستخلف فى الأرض وأحد مصاديق سُنّه الله، (قُلْنا) خطاب من الله لذى القرنين (يا ذَا الْقَرْنَيْنِ) خطاب خاصّ، وحى خاصّ، كما فى الوحى ل- (امّ موسى)، وكما استعرض لنا القرآن الكريم فى الوحى ل- (مريم)، فلم تكن نبيّه ولا رسوله ولا إماماً، ولكن كانت مصطفاه وحجّه مطهَّره.

تصل سوره الكهف إلى ظاهره ذى القرنين حيث تمثّل نهايه المطاف لحفظ بقاء الدين من ظهور الملك الإلهى والخلافه الإلهيه بشكل مكشوف وعلنى على أرجاء الأرض كافّه، وهو ظهور الإمام المهدى عليه السلام، فصحَّ إذن أنَّ هذه الضمانات الأربعه، سيّما الرابعه كمثل ضربه الله للإمام المهدى عليه السلام، وهو غلبه واستيلاء وتمكين ذى القرنين فى الأرض، ومن ثَمَّ ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام أنَّ ذا القرنين أوتى السحاب، وأنَّ الإمام المهدى عليه السلام يؤتى ذلك أيضاً(۱)، إلَّا أنَّ

۱- (۱) عن الباقر عليه السلام، قال: (إنَّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً، ناصح الله سبحانه، فناصحه، فسخّر له السحاب، وطويت له الأرض، وبسط له فى النور، وكان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار، وإنَّ أئمّه الحقّ كلّهم قد سخَّر الله تعالى لهم السحاب، وكان يحملهم إلى المشرق والمغرب لمصالح المسلمين ولإصلاح ذات البين. وعلى هذا حال المهدى عليه السلام، ولذلك يسمّى: (صاحب المرأى والمسمع)، فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب، ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب، وإنَّه يسيح فى الدنيا كلّها على السحاب مرَّه، وعلى الريح أخرى، وتطوى له الأرض مرَّه، فيدفع البلايا عن العباد والبلاد شرقاً وغرباً)، (الخرائج والجرائح ۹۳۰ :۲).

الأسباب الأكثر والأشدّ قوّه ونفوذاً أخّرت للإمام المهدى عليه السلام، والنمط النازل المتوسّط من الأسباب، طبعاً هى فوق قدره البشر، لكن من الأسباب اللدنّيه أعطيت لذى القرنين، فأوّل مجتمع واجهه ذو القرنين وانخرط فيه: (وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً) (الكهف: ۸۶)، هذا الحوار والخطاب الإلهى مع ذى القرنين ليس مفاده وحى شريعه ولا وحى رساله، ولكنَّه وحى من علم لدنّى للتدبير فى الأرض، كما مرَّ فى الخضر، إذن فهذا العلم اللدنّى الذى أعطاه الله للخضر، كذلك إعطاء الإيتاء اللدنّى لذى القرنين يؤهّل أن يكون هناك ارتباط بين الخضر وذى القرنين بوحى علم لدنّى، وليست هذه القناه نبويّه ولا قناه رساله، وإنَّما ارتباط إمامه ووحى لدنّى.

هذه الظاهره صريحه فى القرآن الكريم، أنَّ هناك أولياء لله أصفياء مصطفون نصَّبهم الله حججاً وأئمّه للخلق مزوَّدون بالعلم اللدنّى، أو بإيتاء الأسباب، يوحى إليهم ليس وحى شريعه ولا وحى رساله ولا وحى نبوّه، وإنَّما يوحى إليهم العلم اللدنّى، يطلعون عبره على إرادات الله وأوامره الخاصّه التفصيليه فى تدبير الأرض وفى تطبيق شرائع الأنبياء التى هى شرائع إلهيه، ومحطّه عقائديه متكرّره فى السور القرآنيه، لا نجد لها تفسيراً عند المدارس الإسلاميّه غير مدرسه أهل البيت عليهم السلام، ففى منهاج العقائد لمدرستهم عليهم السلام أنَّ هذه الظاهره القرآنيه وأمثالها هى موقعيه ومنصب ومقام الإمام، بخلاف المدارس الأخرى التى حصر فيها الارتباط بالغيب بقناه النبوّه والرساله فقط، وليس هناك مقام ومنصب إلهى آخر عندهم، فلا يستطيعون أن يفسّروا ظاهره ذى القرنين ولا ظاهره الخضر ولا ظاهره مريم ولا ظاهره طالوت ولا ظواهر عديده فى القرآن الكريم كصاحب سليمان الذى عنده علم من الكتاب مثلاً.

وإنَّما استعرض القرآن هذه الحقيقه لحِكم ومغازى عديده، منها تبيان أنَّ بقاء هذا الدين وحفظه سيكلّل فى النهايه إلى ظهور المصلح الإلهى المزوَّد بالتمكين من السماء والمزوَّد بأسباب القدره التكوينيه بإيتاء من البارى تعالى، وهذا طبعاً مغزى وغايه مهمّه لاستعراض ظاهره ذى القرنين فى سوره الكهف فى حفظ وبقاء الدين، وإظهار الدين على أرجاء الأرض كافّه، فالتشابه كبير بين الوعد الإلهى كوعد قطعه الله عز وجل على نفسه بإظهار هذا الدين وتمكين هذا الدين، وبين ما تستعرضه سوره الكهف فى أوّل مطلع الآيات؟ فهناك الوجل حول حفظ وبقاء هذا الدين (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) ، وتذكر أيضاً أنَّ خاتمه الضمانات لبقاء حفظ الدين هى ظاهره ذى القرنين، يعنى أنَّ الدين يحفظ بمجىء شخص نظير ذى القرنين يمكّنه الله ويعطيه أسباب القدره والنفوذ، ومن ثَمَّ سيعمر أرجاء الأرض كافّه بإظهار ونشر هذا الدين الحنيف، هذا مغزى مهمّ وعظيم.

ومغزى آخر من استعراض ظاهره ذى القرنين وهو أنَّ الذى يمكّنه الله تمكيناً لدنّياً، ويؤتيه من أسباب القدره إيتاءاً لدنّياً يكون متّصلاً بالغيب، يكون لديه سبب متّصل، قناه اتّصال مع الله عز وجل، ليس هذه القناه نبوّه ولا رساله، ومن ثَمَّ ينقل لنا القرآن حواراً ليس حوار وحى نبوّه ولا وحى رساله، وإنَّما ينقل لنا وحى برامج إلهيه لتدبير الأرض وقياده الأرض، أى برامج الإمامه الإلهيه فى منصب ذى القرنين، حيث يقول القرآن الكريم: (قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً*قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) (الكهف: ۸۶ و۸۷)، فهنا إذن حوار إلهى وَحْيانى بين البارى تعالى وبين ذى القرنين؛ لأنَّه استخلف فى الأرض

وجُعل خليفه يدبّر، ويقود الأرض، وأوتى القدره اللدنّيه من الله الإيتائيه وليست الاكتسابيه، هذا المقام يؤهّله لأن يطّلع على الإراده الإلهيه التفصيليه الخاصّه فى التدبير وفى الحكم السياسى والقضائى والتنفيذى.

التوحيد والحاكميه السياسيه فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام:

إنَّها حقّاً الملحمه عظيمه أن يشاهد المسلم والمؤمن من يتشدَّد فى عقيده التوحيد توحيد الله عز وجل، ورغم ذلك لا يستطيع أن يرسم لوناً من التوحيد فى الحاكميه السياسيه لله تعالى، بينما نجد هذا اللون المركَّز فى التوحيد فى حاكميه الله فى الحقيقه فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، حيث نجد (إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ) (الأنعام: ۵۷)، أنَّ الحاكميه السياسيه أو الحاكم السياسى الأوّل هو الله عز وجل، عبر ما ينزّله الله عز وجل من إرادات وأوامر خاصّه تنفيذيه وتطبيقيه للإمام المعصوم، حيث يزوَّد بالعلم اللدنّى، ففى الحقيقه هذا اللون المركَّز من التوحيد لا نجده فى المدارس الإسلاميّه الأخرى، يعنى على صعيد الحكومه السياسيه والحكومه التنفيذيه أين هى يد الله عز وجل؟ وأين هو تصرّف الله تعالى؟ وأين هى حاكميه الله؟ للأسف فى غير مدرسه أهل البيت التى تشدّد وتؤكّد على أنَّ الإمام يجب أن يكون منصوباً من قِبَل الله لكى يكون سفيراً لله فى خلقه، لا سفاره نبوّه ولا سفاره رساله، وإنَّما سفاره إمامه وسفاره إبلاغ البشر والإقامه فى البشر، لإرادات الله السياسيه وإرادات الله القضائيه، فهناك إرادات تشريعيه عامّه هى علم النبوّه والشريعه، لكن الإرادات الإلهيه التفصيليه التطبيقيه التنفيذيه والإرادات السياسيه كيف تتنزَّل؟ من الذى يطّلع عليها؟ ومن ينفّذها؟ ومن يتلقّاها ويقيمها؟ فالنبوّه والرساله عباره عن توحيد لله فى

النبوّه والرساله، وتوحيد لله فى التشريع، فنفس العقيده بالنبوّه والرساله عباره عن عقيده التوحيد؛ لأنّها توحيد لله فى التشريع، فهناك من يتلقّى تشريعات الله، وهى النبوّه والرساله والرسول، أوَليس لا بدَّ أن نعتقد بتوحيد الله فى الحكومه السياسيه وبتوحيد الله فى الحكومه التنفيذيه وفى الإجراء العسكرى وفى الإجراء القضائى، فمن يتلقّى إرادات الله السياسيه؟ من يتلقّى الإرادات الإلهيه فى المنعطفات فى مسار النظام البشرى؟ من يتلقّى إرادات الله العسكريه القضائيه الثقافيه؟ وهلمَّ جرّاً فى الحكومه التنفيذيه، وليس فى مدارس المسلمين ومذاهب المسلمين من يصوّر هذا اللون وهذا الركن من التوحيد إلاَّ مدرسه أهل البيت عليهم السلام، فما ينقضى العجب ممَّن يتشدَّق بعقيده التوحيد كيف لا يبصر هذا التوحيد المركَّز فى مدرسه أهل البيت، ويتَّبع سبيل الهدى فى مدرسه أهل البيت من كون الإمام المنصوب من قبل الله عز وجل هو الذى يتلقّى. هذا توحيد لله فى الولايه، وهذا ما تسلّط الضوء عليه بشكل مركَّز ظاهره ذى القرنين فى سوره الكهف، إذ يتلقّى إرادات الله السياسيه: (قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً) (الكهف: ۸۶).

إذن لا يفتأ القرآن الكريم يصرّح أنَّ لله تعالى إرادات سياسيه غير الإرادات العامّه التشريعيه وهى مغايره علم الخضر وعلم النبىّ موسى، مغايره الإمامه الإلهيه عن النبوّه والرساله واللتان اجتمعتا فى خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وسلم. هذه الإرادات التفصيليه تتنزَّل على من ينصبه الله عز وجل إماماً فى الأرض وخليفه له يستخلفه لتدبير المجتمعات ولنظم المجتمعات، أين هذا الركن العقائدى؟ أين هذا المفصل العقائدى؟ أين هذه الحقيقه العقائديه القرآنيه فى مذاهب المسلمين؟ لا نجدها إلاَّ فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام.

فظاهره ذی القرنین فی سوره الکهف تبیّن لنا أنَّ الإمام الذی یمکّنه الله لإظهار الدین علی أرجاء الأرض کافّه ویملأها قسطاً وعدلاً، هذا یؤهّل لأن یکون بینه وبین الله قناه ارتباط لیست قناه نبویّه ولا قناه رساله، ولکن قناه تؤهّله لأن یعلم وأن یتزوَّد وأن یتلقّی إرادات الله السیاسیه فی تدبیر الباری تعالی لنظام البشر الاجتماعی، وهی إرادات سیاسیه، وهذا لون من التوحید فی الحاکمیه السیاسیه.

نعم، بعد ذلک تواصل لنا ظاهره ذی القرنین فی الآیات، فتبیّن لنا ملامح واضحه بأنَّ الإمام کالإمام المهدی الذی یصطفیه الله لنشر الدین علی أرجاء الأرض کافّه ویملأ الأرض قسطاً وعدلاً یتحقَّق علی یدیه إنجاز الوعد الإلهی (لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ) ، وکما بدأ من بیت النبوّه وأهل البیت، وبعدما وقف انتشاره فإنَّه ینتشر مرَّه أخری علی ید أهل البیت أیضاً.

ولو کانت الأمور بید أهل البیت لتمَّ إنجاز هذا الوعد الإلهی سریعاً، ولکن سوء تصرّف الأمّه أخَّر إنجاز هذا الوعد علی ید ابنهم المهدی، فهذا الإمام الذی ینجز الله علی یده هذا الوعد الإلهی ویمکّنه فی أرجاء الأرض یکون کذی القرنین بینه وبین الباری تعالی ارتباط یؤهّله أن یخاطبه الربّ لا بوحی نبوّه ولا بوحی رساله ولا بوحی شریعه جدیده والعیاذ بالله، کلاَّ وإنَّما هی نفس الشریعه المحمّدیه الخالده، ولکن لتطبیقها ولتطبیق هذا الدستور وهذه الشریعه الخالده العظیمه علی صعید الحکومه التنفیذیه فإنَّه یحتاج إلی إرادات تفصیلیه من الله عز وجل فی المنعطفات الخطیره المهمّه، بأن یخاطب (قلنا: یا مهدی) هکذا کما فی ظاهره ذی القرنین، (إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِیهِمْ حُسْناً) یعنی کما یخاطب ذو القرنین فی قول الله تعالی: (قُلْنا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ) (الکهف: ۸۶)، فأیضاً یخاطب الإمام المهدی علیه السلام فی إمامته وفی حکومته بذلک.

ثمّ يقول تعالى: (حَتّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) (الكهف: ۹۳)، فما معنى السدّين؟ هل هما سدّان فى أجواء السماء بين المجال المغناطيسى والمجال غير المغناطيسى؟ أو شىء آخر، أو السدّان على وجه الأرض؟ فالعباره قابله لاحتمال هذه المحتملات، المهمّ أنّه أوتى مثل هذه القدرات المتعدّده، هذا مجتمع ثالث يخوض فيه ذو القرنين لإصلاحه وإقامه العدل فيه، (قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا*قالَ ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ) (الكهف: ۹۵ ـ ۹۴)، يعنى أنّ الإمام الذى ينصَّب من قبل الله تعالى فى الأرض على البشر لا يتقاضى أجره وجزاءه من البشر، بل من الله عز وجل، فلا يتقايض ذو القرنين مع هذا المجتمع الثالث الذى يخوض فيه على الإصلاح وإقامه العدل فيه ومناهضه الفساد كما هو واضح هنا. وهذا حقيقه الأمانه والنزاهه فى قياده الإمامه الإلهيه أنّها لا تنظر إلى القياده كسلطه وجسر للمآرب الذاتيه، بل كطريق لخدمه البشر خدمه مجّانيه ووظيفه إلهيه، إلى أن تتمّ الآيه فتقول: (فَأَعِينُونِى بِقُوَّهٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً* آتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً) (الكهف: ۹۵ و۹۶)، هذه محطّه مهمّه أخرى فى الغايه تبيّنها لنا ظاهره ذى القرنين.

وبعد ذلك تطالعنا هذه الآيات حول ظاهره ذى القرنين، إنّها محطّه أخرى مهمّه فى الإمامه، وهى ـ فى الواقع ـ حول إمامه الإمام المهدى وغيبته وظهوره، وحول إمامه أئمّه أهل البيت عليهم السلام، أيضاً يقول البارى تعالى فى شأن

ذی القرنین: (قالُوا یا ذَا الْقَرْنَیْنِ إِنَّ یَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ) (الکهف: ۹۴)، فها هو یردع الفساد، الخلیفه فی الأرض والإمام کما مرَّ فی سوره البقره: (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) ، هو سُنّه إلهیه دائمه، (قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره: ۳۰)، یعنی الخلیفه یصدّ ما اعترضت به الملائکه من أنَّه یحول بینه وبین الإفساد فی الأرض، فیکون سدّاً حائلاً عن قطع النسل البشری، فذو القرنین الذی هو خلیفه فی الأرض یخوض فی المجتمعات لقطع ماده الفساد فی الأرض، (قالَ ما مَکَّنِّی فِیهِ رَبِّی خَیْرٌ) ، مع کون ذی القرنین أوتی الأسباب اللدنّیه من الله والتمکین فی الأرض، مع ذلک یقول: (فَأَعِینُونِی) ، فأعینونی بماذا؟ (بِقُوَّهٍ) ، ویقول: (آتُونِی زُبَرَ الْحَدِیدِ) ، ویقول: (انْفُخُوا) ، ویقول: (آتُونِی أُفْرِغْ عَلَیْهِ قِطْراً) ، ماذا یدلُّ استمداد العون من البشر؟ هذا المطلب یدلُّ بوضوح علی أنَّ من یجعله الله إماماً للناس من قبله وخلیفه فی الأرض لا یعنی ذلک أنَّه جبر (کن فیکون) فی إصلاح الأرض وإقامه الإصلاح ودرء الفساد، ولا هو تفویض للناس، وإنَّما هی نفس نظریه القرآن (أمر بین أمرین) فی الإصلاح الاجتماعی وفی حکومه المجتمع، فلیست الحکومه الإلهیه علی البشر، والحکومه السیاسیه الإلهیه الدینیه علی البشر جبراً وإلجاءاً، ولا تفویضاً للبشر، ولا استبداداً إلهیاً، ولا هو تفویض مطلق بشیء، إنَّما هو طریق وسط فی رائعه التصویر الإمتحانی، وهی صوره ذات جمال خلّاب تحافظ علی إراده البشریه فی الحرکه الحیویه، وتحافظ علی عنایه السماء وهدایه السماء ولطفها بالبشر فی نظریه الاختیار والامتحان فی الإصلاح وإقامه الحکم السیاسی، وهذه هی نظریه وعقیده مدرسه أهل البیت، عقدیه أصلیه من متن القرآن الکریم.

فالإمامه الإلهيه والخليفه من قبل الله عندما يريد أن يقيم الإصلاح ودرء الفساد فى الأرض لا بدَّ له من إعانه البشر بقوّه، وحينئذٍ يتمكَّن مع ما زوّد بأسباب لدنيه، وهذا أمر ملحمى مهمّ فى عقيدتنا بالإمام المهدى وغيبته وظهوره، إذ أنَّ وعد الله عز وجل بإنجاز وإظهار هذا الدين ومَلء الأرض قسطاً وعدلاً على يدى الإمام المهدى لا يعنى إلجاء البشر، بل لا بدَّ أنَّ تقوم البشريه بدور ما من الإعانه لولىّ الله وللإمام، سواء فى غيبته يعنى فى غيبه الخفاء فيما يقوم به من أدوار فيجب على المؤمنين أن يقوموا بمسؤوليتهم تجاه منهاج الحقّ وتجاه منهاج الرساله، لا بدَّ أن يقوموا بمسؤوليتهم فى الإعانه بقوّه، إذن دائماً يستمدّ العون من المجتمع، من الرعيّه ومن التابعين له، وليس يعنى أنَّه منصوب من قبل الله عز وجل فتكون الأشياء (كن فيكون)، وليس وظيفه المسلمين أن يتفرَّجوا، بل يجب عليهم حينئذٍ القيام بالمسؤوليه من نشر هذه العقيده الحقّه.

قال تعالى: (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ) (الأنبياء: ١٠٥)، إنَّ القرآن يدلّل على أنَّ كلّ زبر الأنبياء السابقين وكلّ كتبهم بشَّرت كما بشَّر خاتم الأنبياء بأنَّ الله يكلّل مسيره الأنبياء بالنجاح والظفر بالإمام المهدى عليه السلام، وهو الذى ينجز مواعيد السماء على لسان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا يجب على المسلمين أن يقوموا بدور هذه المسؤوليه وهى نشر هذه العقيده الحقّه، وأنَّ الدين الإسلامى يبشّر برجل وفرد من عتره النبىّ من ولد فاطمه وولد على يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً، كى تنجذب البشريه لمثل هذا المشروع من الدين ولمثل هذه البشاره فى هذا الدين، هذا واجب على كلّ المسلمين أجمع، من غير فرق بين أتباع مدرسه أهل البيت أو بقيّه المسلمين؛ لأنَّ

العقيده بظهور الإمام المهدى عقيده إسلاميّه يعتنقها الكلّ، والواجب فيه كما علَّمنا القرآن: (فَأَعِينُونِى بِقُوَّهٍ) (الكهف: ۹۵).

كيفيه الخفاء والاستتار مع المحافظه على الدين:

الإمامه باقيه إلى يوم القيامه، وهى فى عدد الاثنى عشر كما أوضحه القرآن الكريم فى جمله من الآيات التى استعرضها، كقوله تعالى فى سوره المائده: (وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً) (المائده: ۱۲)، هى بعثه إلهيه إذن، هذه الإمامه هى نقابه إلهيه وقياده إلهيه للمجتمعات وسُنّه قرآنيه أصيله، العقيده بهذه الإمامه الإلهيه وهذا المقام الإلهى تشرحه لنا سوره الكهف، بأنَّ قيام الإمام والخليفه بأدواره لا ينحصر بالحكومه الرسميه المعلنه، وهذا الأمر الذى ينبغى أن تركّز الإضاءه عليه هنا؛ لأنَّ سوره الكهف تنبئنا عن وجود الخليفه كضمانه ثانيه ذكرتها فى الترتيب للوجل حول بقاء الدين: (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً) .

فهى تعطينا قاعده عقائديه مهمّه جدًّاً فى الإمام، وهى أنَّ الإمامه لها أذرع وأشكال وصور عديده من الحكومه، يتصرَّف فيها فيما استخلفه الله فى إداره البشر والحيلوله عن الفساد وقطع النسل البشرى، وبطبيعه الحال على درجات، سقف نازل، وسقف أعلى، وسقف متوسّط، نعم السقف الأعلى عند الامتلاء عندما يظهره الله ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذه معلومه علميه منظوره متمدّنه ينبئنا بها القرآن الكريم فى أشكال الحكومه، وهذا ما يجب أن ينتبه إليه المسلمون والمؤمنون فى قراءتهم لسوره الكهف، فهو أمر مهمّ ـ وللأسف ـ مغيَّب فى ثقافه

المسلمين أو فی ثقافه المؤمنين بالنحو العقدی والاعتقادی، ولربَّما إن لم يكن مغيَّباً لديهم فثقافتهم عنه سطحيه فی أمورهم العاديه والمعتاده من أنَّ الحكومه التی يقودها خليفه الله والإمام فی الأرض من قبل الله ليست حكومه ذات شكل وصوره واحده وذات هيأه واحده، بل هی ذات كيانات متعدّده، فللإمام والخليفه فی الأرض عدّه أساليب فی الحكم، منها الحكومه الخفيه والمستتره بأعضائها وكياناتها.

وهذا أمر بالغ الأهمّيه يجب على عموم المسلمين والمؤمنين الالتفات إليه، من هذا البيان الناصع العقائدی الذی تطلعنا عليه سوره الكهف، أنَّ الخليفه فی الأرض والإمام الذی يستخلف من قبل الله تعالى له أنماط من الأدوار وله أساليب متنوّعه ومتعدّده وعلى درجات مختلفه، وله أيضاً أجهزه وليس جهازاً واحداً لحكومات وليست حكومه واحده، فالحكومه المعلنه على المكشوف البادیه بأعضائها ومرافقها وكياناتها، تلك تمثّل فقط أحد أساليب الحكومه والحكم، نظير ما ل- (ذی القرنين)، وهو نظير ما يكون للإمام المهدی عليه السلام عند الظهور، ونظير ما كان لأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن بويع وانشدَّت إليه قاعده عموم المسلمين، وكانت بيعته بيعه فريده فی العالم وفی تاريخ الإسلام، فعدا البيعه التی حصلت للنبیّ صلى الله عليه وآله وسلم لم تحصل بيعه بهذا الوفور وبهذه السعه فی القاعده الشعبيه الإسلاميّه كما حصلت لأمير المؤمنين، وكما حصلت لبيعه الإمام الحسن عليه السلام، وكما حصلت أيضاً إلى حدٍّ ما فی مبايعه أهل العراق وبعض أهل الشام وأهالی الحرمين للإمام الحسين عليه السلام طواعيه بلا جبر ولا فلته ولا انتهاز فرصه ولا ما شابه ذلك.

هـذه البيعه التى حصـلت لأـئمّه أهل البيت والحكومه الظاهريه، هى فى الحقيقه إحـدى أساليب الحكم، وإحـدى أجهزه الحكم، وإلاَّـ فـإنَّ هناك أيضاً جهاز حكم آخر وحكومه أخرى وأسـلوب آخر من الحكومه استعرضـته أيضاً سوره الكهف، وهى ظاهره الخضر.

فلكلّ عنصـر من هذه المجموعه العباديه دوائر بشـريه تقوم بأدوار اختراق النظم، وإرساء العداله، تلك المجموعات البشـريه التى هى جهاز إلهى خفى مستتر وسرّى.

فللّه فى الأـرض حكومه من نمـط آخر، بـل حكومات وأجهزه حكوميه من نمط آخر تكون خفيه، كما كان للنبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم وهو فى مكّه المكرَّمه، حيث كان له أيضاً هذا الجهاز حتَّى فى معيّه الحكومه المعلنه للنبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، فلاـ تقـاطع بين وجود جهاز الحكم الخفى والجهاز الحكومى المعلن؛ لأنَّ جهاز الحكم الخفى كما تـدلُّ عليه سوره الكهف، هو جهاز ليس فيه انقطاع أو انبتار، وليس فيه فتره وفتور وجزر ومـدّ، بل هو مدّ دائم، مدّ إلهى آبد؛ لأنَّه كما بيَّنت سوره الكهف فى قصَّه أصـحاب الخضـر أنَّ هنـاك أوامر تفصـيليه إلهيـه تتنزَّل وتنزل، (وَ مـا فَعَلْتُـهُ عَـنْ أَمْرِى) ، (فَـأَرادَ رَبُّكَ) ، والإـراده الإـلهيه والسياسيه دوماً موجوده، فتدلّل إذن ظاهره الخضر وسوره الكهف على أنَّ الجهاز الخفى للحكومه الإلهيه هو نمط من حكومه لا يفتر ولا ينقطع ولا يبتر ولا يكون فيه جزر، وإنَّما هو مدّ دائم موجود قائم، وليس تابعاً لطبيعه البشـر واختيارهم، وليس تابعاً لإقبال أو إدبار البشر، بل تابع لوجود ثُلّه من أصفياء الله وهم هذه العناصر.

وقد ورد بشكل مستفيض فى روايات الفريقين تسميه هذه العناصر البشريه التى هى جهاز إلهى خفى بالأبدال، والأركان، والسيّاح، هذه التعبيرات متواتره فى كتب المسلمين، سواء فى كتب التاريخ، أو فى كتب التراجم، أو فى كتب الرجال، حتَّى أصبحت من نواميس الشريعه المحمّديه عند كلّ مذاهب المسلمين فى كتبهم، فالذهنيه الإسلاميّه مأنوسه بهذا التعبير كبديهه فى الشريعه الإسلاميّه، من أنَّ هناك أبدالاً، وأوتاداً، وسيّاحاً، وأركاناً، وهلمَّ جرّاً، وقد بات واضحاً أنَّ أشكال الحكومه وأنماط الحكومه وكيانات الحكومه هو بأساليب مختلفه فى الحقيقه أيضاً، كما تطالعنا السور القرآنيه الأخرى، وحتَّى سوره الكهف، أنَّ جهاز الحكم وكيفيه إقامه الأهداف الإلهيه لا ينحصر حتَّى بنمطين نمط خفى ونمط معلن ظاهر، بل فيه أنماط أخرى، مثل التيّار الاجتماعى، كما تبيّن لنا سوره الكهف فى ظاهره أصحاب الكهف والرقيم، فظاهرتهم فى الواقع هذه وليده للتيّار الاجتماعى الذى يقوم به خليفه الله، حيث سمعوا بشرائع الأنبياء وبأديان الأنبياء، فمن ثَمَّ استجابوا لهذه الدعوه، ففى الواقع إنَّ أصحاب الكهف تأثّروا بامتداد أمواج شرائع الأنبياء وأديان الأنبياء وبما يقوم به خليفه الله فى الأرض من أدوار اجتماعيه، وهذا أسلوب آخر تستعرضه لنا سوره الكهف وسور أخرى.

أنواع الحكومه الخفيّه والمعلنه:

هناك جمله من الآيات فيها بيانات مختلفه دالّه على أنَّ دوله الحقّ تكون فى آخر الزمان، مثلاً التعبير القرآنى الذى مرَّ بنا مراراً: (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ*وَ نُمَكِّنَ

لَهُمْ فِی الْأَرْضِ) (القصص: ۵ و۶)، فیدلّ هذا التعبیر القرآنی علی أنّ المستضعفین هم من أهل الحقّ وروّاد الحقّ، هؤلاء یکونون وارثین، أی فی مآل الأمر وعاقبته تکون دولتهم التی یظهرهم الله ویمکّنهم فیها، والتعبیر القرآنی الوارد بکثره: (وَ لَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الْأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصّالِحُونَ) (الأنبیاء: ۱۰۵)، فالتعبیر بالوارثین یدلُّ علی أنّه ستکون الأرض للصالحین فی نهایه المطاف والمآل والخاتمه، وکذلک ما ورد فی سوره الأعراف: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) (الأعراف: ۱۲۸)، وهذا العنوان: (وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) ، والتوریث الإلهی للمتّقین فی العاقبه ورد متواتراً متکرّراً فی آیات القرآن الکریم، فی العاقبه للتقوی، فالعاقبه یعنی المآل والخاتمه، وکذلک فی آیات أخری یحدّثنا القرآن الکریم، ویدلّل مثلاً- أنّ عاقبه المفسدین والظالمین والمجرمین والمکذّبین مقطوعه، أی لیست نهایه الأمر لهم: (وَ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِینَ) (الأعراف: ۸۶)، (فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ) (یونس: ۳۹)، أی إنّ دابرهم مقطوع وأنّه لیس لهم مآل ولا خاتمه فی الفترات المتوسّطه.

فدائماً العاقبه تکون بید أهل الحقّ، أمّا الفترات المتوسّطه بید المکذّبین والمنکرین، کما یبیّن لنا: (فَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُکَذِّبِینَ) (آل عمران: ۱۳۷)، العاقبه تکون للصادقین، ویقطع دابر المکذّبین للفترات المتوسّطه بعد الأنبیاء، فالأنبیاء هم ظاهره الحقّ ومسار الحقّ، وتتوسَّط ما بعدهم من الفترات تغلّب المفسدین حسب ما یبیّن لنا القرآن الکریم، لکن العاقبه تکون فی نهایه المطاف لأهل الحقّ والمتّقین. فإذن کون دوله الحقّ فی أمم الأنبیاء هی فی آخر عمر الأمم

التابعه للأنبياء بات أمراً واضحاً ناصعاً عياناً طافحاً بشكل لا تلابسه ريبه فی الهدايه القرآنيه، وهذا ممَّا يدلّل على أنَّ أحد الحجج من أئمّه أهل البيت عليهم السلام الذين استضعفوا واُزووا من مراكز القدره المعلنه ومقاماتهم ورتبهم التی رتَّبهم الله عز وجل وجعلها لهم، ستكون العاقبه لهم ولدولتهم فی آخر الزمان: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) (التوبه: ۳۳).

وكما أنَّ لحكومه أولياء الله أنماطاً مختلفه حيث ذكرنا النمط المعلن والخفی، فهناك نمط ثالث وهو أسلوب بناء التيّار الاجتماعی، وهو أسلوب متوسّط، لا هو أسلوب معلن مكشوف على الظاهر كالحكومات الرسميه، ولا هو خفی سرّی، بل هو متوسّط، وهناك أنماط أخرى فی كيفيه النفوذ والحكومه والقدره يستعرضها لنا القرآن الكريم لخليفه الله فی الأرض، وهذه ثلاثه نماذج ذكرتها سوره الكهف، بل إنَّ سوره الكهف ذكرت نموذجاً رابعاً لحكومه ولیّ الله وخليفه الله فی الأرض، وهو طاعه جميع الملائكه لخليفه الله، كما ذكرت ذلك سوره البقره وسور قرآنيه أخرى، أمَّا النبیّ والرسول فی مقام النبوّه والرساله فهذا مقام لا يكفل طاعه جميع الملائكه كما ينبئنا القرآن الكريم، وإنَّما هذه الخصيصه وهذه القدره فی ملكوت السماوات والأرض من شؤون وصلاحيات مقام الإمام سواء أكان نبيّاً ورسولاً أيضاً أم لا، كما ينبئنا عن ذلك القرآن الكريم فی سور عديده، فمن شؤون وصلاحيات جعل الخليفه فی الأرض أن يطلع الله عز وجل جميع الملائكه المقرَّبين فی السماوات والأرضين، ومن يكون فی جوّ الهواء والسماء، يطلعهم جميعهم على طاعه خليفه الله فی الأرض، وهو إنَّما ذكر فی آدم، لأنَّه

نموذج لأوّل السلسله كما مرَّ بنا وليس منحصراً بآدم، وإنَّما إطاعه الملائكه لآدم بما هو متقلّد مقام الخلافه الإلهيه.

إذن هـذا من شـؤون مقـام الخلاـفه الإـلهيه، وهـذا نمـط من القـدره والحكـم والحكـومه الملكوتيه، وهو نمـط رابع تـذكره سوره الكهف، وهـذا النمط ليس فيه فتور، وليس فيه إقبال وإدبار، وليس فيه انقطاع، وليس فيه جزر ومدّ، بل دائم آبد، فتدلّل لنا سوره الكهف على أنَّ الإمـامه والخلاـفه الإـلهيه لها أجهزه وأنماط عديـده ومختلفه عن أنماط القـدره والحكومه والحكم، وليس فقط الحكومه المعلنه المكشوفه هى الأسـلوب الوحيد لمقام الخليفه والإمام من قبل الله للقيام بأدواره فى النظام البشـرى، وهذا الحصر للأسف غفلت عنه جمله غفيره من الكتب الكلاميه فى مذاهب المسلمين، وهو أنَّها حصرت أسلوب قيام واضطلاع الإمام الخليفه بأدواره بالحكومه الرسميه المعلنه على المكشوف، والحال أنَّ هذه أدبيه ضيّقه الأفق قاصره، ومن ثَمَّ ما جرى من نقض وإبرام فى مقام الإمام فى بحث الخلافه الإسـلاميّه وجعله مقصوراً على الحكومه الظاهريه هو من ضمن ضيق الأفق وضيق البصيره فى الوعى السياسـى أو فى أسـلوب نظم الحكم، وبعبـاره أخرى هو أيضاً مجانب ومجافى وبعيـد عن بصائر أنوار القرآن الكريم فيما يطرحه من أساليب وأجهزه حكم يقوم بها خليفه الله والإمام المنصوب فى الأرض، وفى الحقيقه هـذه الأنماط والأشـكال والأساليب من القـدره والنفوذ والحكم والقيـام بالأـدوار النظميه فى المجتمعـات البشـريه ذكرهـا القرآن الكريم قبـل أربعه عشـر قرنـاً، وللتو فى القرون الأخيره توصَّلت البحوث الأدبيه

الأكاديميه السياسيه والعلوم الاجتماعيه إلى أنَّ هناك صياغات عديده وأشكالاً عديده، وأساليب عديده للحكومه والنفوذ، والحكومه السرّيه هى إحداها. فإذن من الخطأ بمكان فى نهج التفكير الإسلامى أن يناقش إذا كان الإمام إماماً فلماذا هو عازب ضارب صفحاً عن مجريات الأمور الإسلاميّه، وتاركٍ الحبل على الغارب طيله هذه السنين! وهو ظنٌّ فى أنَّ أسلوب القيام بالأدوار فى النظام الاجتماعى منحصر فقط بالحكومه المعلنه الرسميه، كفرضيه مسبقه خاطئه جدَّاً موجوده، ولربَّما لو أردت أن أذكر لك كلمات كثيره لطال المقام من الكتّاب وعلماء المذاهب الإسلاميّه الأخرى فى انتقادهم أو التشكيك فى العقيده بالإمام المهدى وغيبته، وأنَّه كيف يكون إماماً منصوباً من قبل الله تعالى وهو غائب كلّ هذه الفتره؟! على أىّ حالٍ فإنَّ هناك أنماطاً لا تنحصر حتَّى فى هذه الأشكال والأنماط الأربعه، فهناك أدوار متعدّده، وعلى أىّ تقدير فمن المهمّ جدَّاً فى بطاقه البحث على الطاوله الإسلاميّه وفى الفكر الإسلامى وفى العقل الإسلامى عندما يُراد بحث الإمامه وبحث خليفه الله فى الأرض يجب أن تتوسَّع ذهنيه العقول والأفكار فى آفاق وسيعه رحبه وتستوعب ما يطرحه القرآن الكريم من نماذج وبصائر ومن أشكال وأمثال ومن هيئات وأساليب متعدّده. ونحن فقط قد تدبَّرنا شيئاً ممَّا فى سوره الكهف فقط، فما بالك فى السور الأخرى التى تستعرض أنماطاً ونماذج عديده وكثيره جدَّاً، فالحرى إذن بالبحث فى موضوع الإمامه والخلافه أن يكون مبتنياً على هذه العقليه التى ترى بأنَّ القدره لها أشكال، وأنَّ النفوذ

له أشكال، وأنَّ أجهزه القيام بأدوار فى النظام الاجتماعى السياسى يتّخذ قنوات وأبواباً عديده، وأنَّه بات أمراً بديهياً الآن فى الأدبيات الأكاديميه السياسيه، فعجيب من اجترار أفكار باليه وضيّقه الأفق وقاصره النظر من أن تستوعب ما يذكره القرآن الكريم.

حينئذٍ نصل إلى هذه النقطه وهى أنَّ الحكومه الإلهيه عندما تكون أمراً بين أمرين لا جبر ولا تفويض، وأنَّه ليس إلجاءاً، وأنَّه لا بدَّ من تعاون وتفاعل ومناصره وتعاطى القاعده الشعبيه والأمّه الإسلاميّه والمجتمع البشرى مع الحكومه الإلهيه، هذا فى الحقيقه فى أسلوب الحكومه الرسميه المعلنه على المكشوف، وأمَّا أساليب الحكومه الأخرى فهى فى الواقع لا تتوقَّف ولا تتأثّر ولا تعلّق فعّاليتها ونشاطها وحيويتها ودوامها على تفاعل البشر ولا على تعاطى البشر ولا على مبايعه الناس ولا على تجاوب الناس مع تلك الحكومه، وأساليب الحكومه الأخرى وأدوارها يقوم بها الأئمّه والخلفاء من قبل الله تعالى أقبل البشر عليهم أم أدبروا، بايعوهم أم قاطعوهم، ناصروهم أم خذلوهم، فازعوهم أم قتلوهم، ومن ثَمَّ نرى القرآن الكريم يفصح لنا عن ذلك ببديع بيانه: (أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) (النساء: ۵۴)، فالآيه تخاطب حقبه العهد الإسلاميّه، والناس المحسودون كما فى بيان بعض الروايات هم آل محمّد عليهم السلام(۱)، وفى بيان نصوص قرآنيه عديده: (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى) (الشورى: ۲۳)، وهم آل محمّد أيضاً، وآيه الخمس، حيث قال تعالى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى

۱- (۱) راجع: الكافى ۲۰۵ :۱/ باب أنَّ الأئمّه عليهم السلام ولاه الأمر وهم المحسودون/ ح ۱ - ۵.

اَلْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ) (الأنفال: ۴۱)، (لِلّهِ) یعنی تدبیره، فالله عز وجل لیس محتاجاً للأموال، وإنَّما هو خالق کلّ شیء، اللام لام لملک الولایه فی التدبیر، ومن ثَمَّ تکرَّرت اللام فی لله والرسول وذی القربی، ولم تتکرَّر فی الطبقات المحرومه والیتامی والمساکین وابن السبیل، للدلاله علی أنَّ الطبقات المحرومه لیس لها صلاحیه الحکم.

فهم أهل البیت علیهم السلام وآل محمّد، فلم یحدّثنا التاریخ عن أنَّ آل إبراهیم أو إبراهیم عندما قال له الباری تعالی: (إِنِّی جاعِلُکَ) یعنی بالفعل (لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ۱۲۴)، وقال عن إسحاق ویعقوب: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ کانُوا بِآیاتِنا یُوقِنُونَ) (السجده: ۲۴)، أو آیه أخری: (وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا) (الأنبیاء: ۷۳)، هنا أخبر القرآن الکریم بأن آتاهم ملکاً عظیماً، وجعلهم أئمّه بالفعل، ومع ذلک لم یحدّثنا أیّ کتاب تاریخی أنَّهم باشروا الحکومه الرسمیه المعلنه الظاهره. فأیّ ملک عظیم أوتیه آل إبراهیم وإبراهیم؟ أوَلا یحدّث المسلم نفسه عن هذه النبوءه القرآنیه وعن هذا الوحی والحقیقه القرآنیه؟! إذن التصرّف والقدره فی الحکم السیاسی والحاکمیه السیاسیه والإراده السیاسیه الأولی هی لله عز وجل، وهی غیر الإراده التشریعیه، وهی الملک العظیم الذی أخبرنا القرآن الکریم، أنَّه قد أوتیه آل إبراهیم.

* * *

الظاهره السادسه: الإمام المهدی والنبیّ عیسی علیهما السلام

اشاره

ص:۲۵۵

الظاهره السادسه، وهی ظاهره النبیّ عیسی علیه السلام وصلتها الوطیده جدًّاً بظاهره الاعتقاد والعقیده بالإمام المهدی وغیبته، یذکرها القرآن الکریم فی جمله من السور، منها ما فی سوره النساء، حیث یقول الباری تعالی عن الیهود: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِیثاقَهُمْ وَ کُفْرِهِمْ بِآیاتِ اللّهِ وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِیاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَیْها بِکُفْرِهِمْ فَلا یُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِیلاً) (النساء: ۱۵۵)، هنا تمهّد الآیات فی سوره النساء إلی مطلع هذه الآیه، (وَ بِکُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلی مَرْیَمَ بُهْتاناً عَظِیماً) (النساء: ۱۵۶)، حیث لم یؤمنوا بأنَّ عیسی بن مریم قد ولد بإعجاز من الله تعالی، بل قذفوا مریم بالبهتان والفاحشه العظیمه عندما ولدت عیسی من غیر أب ومن غیر زواج.

فطبع الله علی قلوبهم بسبب کفرهم وبسبب قولهم بهتاناً علی مریم، لماذا یطبع الله علی القلوب ولا یجعلها مؤمنه ولا یجعلها راشده ولا یجعلها مهتدیه؟ هنا یبیّن القرآن الکریم، أنَّه بسبب قولهم: (إِنّا قَتَلْنَا الْمَسِیحَ عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ رَسُولَ اللّهِ) ، فلم یعبّر القرآن أنَّه بسبب قتلهم المسیح، أو محاولتهم قتل المسیح، فالتعبیر القرآنی ظریف ودقیق، وهو نفس دعواهم بأنّا قد أبدنا المسیح، أو إنّا قد أبعدناه عن الوجود، فهذا أحد أسباب الطبع علی قلوبهم.

فهنا یبیّن القرآن لنا أنَّ المقوله والزعم بأنَّ النبیّ عیسی قُتل ولیس بحیّ، هذه المقوله تسبّب فقد الإیمان، وهذه المقاله تسبّب طبع الله علی قلوبهم فلا یؤمنون، فالقول بعدم حیاه حجّه الله التی ضمنت السماء

والرساله السماويه حفظه وإبقاءه، يتصادم مع قدره الله تعالى، (إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكَلِّ شَیْ ءٍ قَدْراً) (الطلاق: ۳)، إذ قام الدليل من الوحى الإلهى على وجود حجّه من حجج الله فى أرضه، ثمّ حصلت شبهه من قِبَل الظالمين حول استئصال ذلك الحجّه، فترك تلك البراهين والحجج الإلهيه القائمه على أنَّ الحجّه حىّ، وأنَّ الخليفه حىّ باقٍ، مقابل بعض الأحداث المشبهه والموهمه أنَّ الظالمين استطاعوا أن يستأصلوا خليفه الله فى الأرض أو استطاعوا أن يبيدوا حجّه الله فى الأرض، هذا هو السبب لأن يطبع الله على قلب الفرد الإنسانى فلا يؤمن، فإذا أنبئنا القرآن الكريم أنَّ لله عز وجل فى كلّ زمن خليفه له فى الأرض كمعادله دائمه من أوّل بدء الخليقه البشريه إلى آخر حياه البشر، (إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً) (البقره: ۳۰)، هذا الخليفه لا بدَّ أن يكون موجوداً دائماً، كما ينبئنا القرآن الكريم أيضاً فى ذرّيه آل إبراهيم بأنَّ الإمامه لن تعدم فيهم إلى يوم القيامه فى قوله تعالى: (وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً) ، فليس التعبير فى الآيه الكريم أو اللفظ فى الآيه الكريمه: إنّى جاعلك للناس نبيّاً، أو رسولاً، ذاك مقام آخر، وهذا مقام ثالث: (قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ) (البقره: ۱۲۴)، أى إنَّ الإمامه تبقى فى غير الظالمين من ذرّيته، وإبراهيم مستجاب الدعوه، وهو نبىّ من أنبياء أولى العزم، وقد استجاب الله دعوته، ومن ذرّيته إسماعيل وآل إسماعيل، وهم النبىّ وأهل بيته عليهم السلام، كما فى آخر الآيه من سوره الحجّ: (هُوَ اجْتَباکُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْراهِیمَ هُوَ سَمّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ مِنْ قَبْلُ وَ فِی هذا) ، يعنى فى الاجتهاد والاصطفاء من الله

لكم بالإمامه، وهى دعوه إبراهيم فى ذلك، (لِيَكونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكَمْ وَ تَكونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ) (الحجّ: ۷۸)، إذن أنبأنا القرآن الكريم على أنَّ الإمامه بهذا المقام باقيه فى آل إبراهيم وذرّيه إسماعيل، وقوله تعالى: (رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) ، دعوه إبراهيم وإسماعيل عندما كانا يبنيان قواعد البيت، (وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا) ، ذرّيه إسماعيل التى فيها الإمامه وليس ذرّيه إسحاق، (أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) ، يعنى نفس درجه الإسلام والتسليم لله عز وجل التى طلبها إبراهيم وإسماعيل بعد أن كانا نبيّين فهى درجه تسليم من درجات العصمه العاليه، وهى درجه تضاهى الإمامه، (وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ*رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقره: ۱۲۸ و۱۲۹)، وهو خاتم النبيّين، وكذلك تدلُّ آخر آيه من سوره الحجّ: (هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) حيث يخاطب ثلّه من هذه الأمّه، (مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ) ، فهم من نسل إبراهيم، مجتبون، لهم صله بسيّد الأنبياء، وهو الذى دعا أن تكون الإمامه فى ذرّيته وفى آل إسماعيل، (مِنْ قَبْلُ وَ فِى هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ) ، على أهل البيت، وتكونوا شهداء على الناس، وهو مقام الإمامه.

وهناك الكثير من الآيات التى تدلُّ على إمامه أهل البيت، وأنَّ الإمامه لن تقطع ولن تبتر فى أهل البيت الذين وصفهم الله بالتطهير فى هذه الأمّه، واُعزى إليهم مقدرات الأرض، حيث قال تعالى فى سوره (الحشر: ۶): (ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ) ، الفىء فى تعبير القرآن الكريم وحتَّى فى فقه مذاهب المسلمين يمثّل كلّ ثروات الأرض وعائدات الأرض، فإدارتها وتدبيرها وولايه تدبيرها لصرفها فى الطبقات المحرومه من البشريه ولصرفها وتوزيعها

العادل لترسو العداله، (كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) ، أى كى لا يكون هناك فارق طبقى فاحش أو إقطاع كما عليه البشريه اليوم، فالشيوعيه فشلت فى معالجه الإقطاع والرأسماليه كذلك، وتجارب بشريه كثيره فشلت، ولا زالت الأطروحه الإسلاميّه خالده، وهى التى تستطيع أن تؤهّل من يملأها قسطاً وعدلاً، وهو ولد من ذرّيه الرسول ومن ذرّيه فاطمه وعلى عليهم السلام، وهو المهدى عليه السلام يظهره الله ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

والآيات كثيره فى القرآن الكريم تدلّل على بقاء إمامه أهل البيت وحياه صاحب العتره الإمام فى أهل البيت دائماً، فمن يقول بعدم وجود إمام حيّ من العتره، وهو صاحب الأمر وإمام المسلمين تضاهى مقولته مقوله اليهود التى استعرضها لنا القرآن الكريم، بأنَّ الله تعالى طبع على قلوبهم بسبب قولهم: (إِنّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ) . وللأسف هناك الكثير من الكتابات الإسلاميّه تقول بأنَّ محمّد بن الحسن المهدى قد قُتل.

دور عيسى المسيح فى الإصلاح العالمى:

ظاهره النبيّ عيسى عليه السلام ظاهره وطيده الصله جدَّاً وقريبه جدَّاً فى بدئها وختمها بقضيّه الإمام المهدى عليه السلام؛ لأنَّه قد بات واضحاً لدى المسلمين ولدى حتَّى أتباع الديانات السماويه أنَّه عليه السلام ينزل لتكون له مساهمه ما ومشاركه ودور ما فى تلك الدوله الإلهيه التى ستقام على الأرض لإصلاحها، وقد بات واضحاً لدى المسلمين فى أحاديثهم المتواتره أنَّ النبيّ عيسى عليه السلام إنَّما ينزل فى ذلك الحين لإقامه الإصلاح فى الأرض فى دوله الإمام المهدى عليه السلام، تلك الدوله التى يصلّى فيها خلف الإمام المهدى عليه السلام. فنزوله فصل من العقيده بظهور الإمام

المهدی، أی شقّان لعقیدهٍ واحده، وحقیقه بیّنه ثابته یعتقد بها المسلمون ویعتقد بشطر منها النصاری والیهود، وبالتالی فإنَّ استعراض هذه الظاهره فی القرآن الکریم ذو صله وثیقه وأکیده بظهور الإمام المهدی علیه السلام وبحیاه الإمام المهدی فی الغیبه؛ لأنَّه قرن اسم عیسی باسم المهدی فی بیانات القرآن الکریم وبیانات بصائر الحدیث النبوی المتواتر مستفیضاً عند فِرَق المسلمین. ومن ثَمَّ یسلّط القرآن الکریم الضوء علی ظاهره النبیّ عیسی ویبیّن أنَّ بنی إسرائیل ورغم وجود براهین الوحی الإلهی لدیهم بالبشاره بدور النبیّ عیسی، وأنَّه لن یُقتل حتَّی یشارک فی ثلّه تُعیَّن من قبل السماء فی الأرض بشکل معلن للإصلاح واستتباب وانتشار العداله ودین الحقّ فی أرجاء الأرض کافّه، رغم وجود هذه البراهین لدیهم کیف یزعمون ویقولون بهذه المقاله بأنَّهم قد قتلوه، وأنَّه لیس بحیّ الآن، ولأجل ذلک طبع الله علی قلوبهم.

(وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ إِلّا لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ) (النساء: ۱۵۹)، هذه الآیه تبیّن أنَّ النبیّ عیسی سوف یکون له نزول بعد ما رُفع إلی السماء، وأنَّه سیشارک فی بسط ونشر الإیمان الحقّ فی الأرض، فهناک اقتران وثیق ووطید الصله فی نفس بیانات القرآن الکریم بین ما سبق فی شأن نزول النبیّ عیسی وبین وعد الله تعالی فی قوله: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) (التوبه: ۳۳)، أی إظهار دین الإسلام علی أرجاء الأرض کافّه وملؤها قسطاً وعدلاً، وأنَّ المهدی من ذرّیه فاطمه وذرّیه الرسول وذرّیه علی، هاتان الحقیقتان القرآنیتان هی حقیقه واحده متطابقه.

إذن هنا ظاهرتان تبثّهما عدسه القرآن الکریم کبصائر للبشریه.

المحطّه الأولى: إنكار البراهين اليقينيه يستلزم انتكاس القلوب:

وفى أوّل محطّه من ظاهره النبىّ عيسى يؤكّد القرآن الكريم على أنَّ من قامت لديهم البراهين على حياه النبىّ عيسى وأنَّه حىّ وأنَّه سيبعث فى دوله الإمام المهدى ليكون له دور فى تلك الدوله وبإمامه الإمام المهدى وهو رجل من عتره النبىّ، فالقول إذن بعدم حياته وبأنَّه قد قتل وبأنَّ قوى الشرّ فى ذلك الزمن قبل أكثر من عشرين قرناً قد استأصلته، هذه المقاله والتكذيب فى الواقع تتسبَّب بأن يطبع الله على تلك القلوب ويسلبها الإيمان، هذا الدرس القرآنى يعطينا هذه النتيجه: بأنَّ البشاره بالنبىّ عيسى قبل أن يولد وأنَّه سوف يأتى ليكون له دور، واليهود فى الحقيقه وبنو إسرائيل لازالوا حتَّى فى العهد القديم يؤمنون بمجىء النبىّ عيسى، وإن كانوا يجحدون النبىّ عيسى الذى ولد من غير أب، ويتَّهمونه بالسحر، وأنَّ كلّ ما قام به من أمور هى من السحر، ويبهتون ويفترون على مريم بهتاناً عظيماً، ولكن رغم ذلك وإلى جانب جحودهم وتكذيبهم بالنبىّ عيسى يقولون بمقاله عودته إلى الأرض لما ورد عندهم من البشارات بأنَّ النبىّ عيسى سوف يكون له دور مشاركه ومساهمه مهمّه، وفى أسفار العهد القديم، وهى التوراه رغم أنَّها حُرّفت، إلاَّ أنَّ فيها تلك المقطوعات التى تدلّل على دور النبىّ عيسى فى الدوله الإلهيه التى ستقام فى الأرض، حينئذٍ يقول لهم القرآن الكريم: رغم إيمانكم بهذه البشاره وهذه البراهين التى أتتكم فلِمَ تجحدون حياه النبىّ عيسى إلى الآن!؟ هذه الوقفه القرآنيه العظيمه فى الواقع هى تنبيه للمسلمين على أنَّ الكتاب العزيز قد بشَّرهم بأنَّ الدين سوف يظهر على الأرض، وأنَّ رجلاً من العتره هو الذى يملأها قسطاً وعدلاً.

قد يقول القائل بأنَّ هذا جاء فی الحدیث النبوی! فنقول: نعم، وهو متواتر، بأنَّ المهدی من ولد وذرّیه النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وذرّیه فاطمه علیها السلام، یظهره الله لیملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ویحقّق علی یدیه الإنجاز الإلهی العظیم من نشر الدین والعدل والقسط من أرجاء الأرض کافّه، وهی الدوله التی یقیمها، ولکن القرآن الکریم أیضاً یبشّرنا بهذه البشاره عن رجل من العتره أیضاً، حیث یقول فی سوره (الحشر: ۷): (ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی) ، إذ أنَّ الفیء وثروات الأرض تکون صلاحیه إدارتها وولایه تدبیرها فی التشریع الإلهی بید القربی وعتره النبیّ، وهم الذین یؤهّلون للتوزیع العادل للفیء وهو ثروات الأرض، فی الیتامی والمساکین وابن السبیل، أی الطبقات المحرومه.

إذن البراهین القرآنیه قائمه أیضاً علی أنَّ المصلح هو من العتره، والذی یقیم العداله فی الأرض هو من العتره، وغیرها من الآیات القرآنیه الدالّه علی بقاء رجل من العتره فی طیله الأزمان، یقوم بأدوار الإمامه والخلافه والإصلاح فی الأرض، فالتکذیب بحیاته وببقائه هو تکذیب بالوعد الإلهی، وتکذیب بهذا المیثاق الإلهی والوعد الإلهی الذی أکَّده وضمَّنه البارئ تعالی من الإصلاح.

إذن هناک حلقات عدیده تربط وتوثّق الصله بین العقیده بحیاه النبیّ عیسی علیه السلام، وبنزوله للمشارکه والمساهمه فی دوله الحقّ لإقامه وإرساء العداله الإلهیه وإظهار دین الحقّ علی أرجاء الأرض کافّه. صله وطیده تبیّنها آیات القرآن الکریم فضلاً عن الأحادیث النبویه القطعیه المتواتره بین فِرَق المسلمین علی هذا الارتباط وهذا الاقتران. فالقرآن

الكريم ـ كما مرَّ بنا في سوره الحشر ـ يؤكّد على أنَّ العداله لم ولن تستتب في الأرض إلاَّ بيد ذوى القربى من أهل البيت عليهم السلام، فلينظر المسلم إلى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبقَ من الدنيا إلاَّ يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يبعث فيه رجلاً من ولدى يواطئ اسمه اسمى، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)(1)، المهدى الذى أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه في أحاديثه المتواتره عند المسلمين بأنَّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويظهر الدين في أرجاء الأرض كافّه، ويحقّق إنجاز الوعد الإلهى للنبيّ في ثلاث سور من القرآن الكريم.

هذا النصّ النبوى المقطعى العقيدى عند المسلمين متطابق مع البشاره الإلهيه في القرآن الكريم، بأنَّ العدل لا ينشر إلاَّ بيد ذوى قربى النبيّ، لماذا، وما الحكمه في ذلك؟ لكى يديرها ويوزّعها على اليتامى والمساكين وابن السبيل، أى الطبقات المحرومه؟ ويعلّل القرآن ذلك بقوله تعالى: (كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ) (الحشر: ٧)، أى أنتم أيّها البشر، أيّها المسلمون، إذا أردتم أن لا تحتكر الأموال في طبقات غنيه، وأن لا يكون الفارق الطبقى بينها وبين الطبقات المحرومه فارقاً فاحشاً استثنارياً احتكارياً، فلن تنجو البشريه من الإقطاعات ومن استئثار الأموال إلاَّ على يد إداره وإمامه وحاكميه ودوله ذوى القربى، فإذا أوعزت وأسندت إداره وتدبير أمور النظام البشرى ونظام المعيشه الأرضيه في العلن وعلى المكشوف إلى العتره وذوى القربى من أهل

١- (١) رواه العامّه والخاصّه على اختلاف في اللفظ واتّحاد في المعنى، راجع: كمال الدين: ٣١٨/ باب ٣١ / ح ٤؛ روضه الواعظين: ٢٦١؛ سنن أبى داود ٣١ :٢؛ سنن الترمذى ٣٤٣ :٣.

بيت النبيّ، حينئذٍ سوف لن تكون الأموال دوله بين الأغنياء، وحينئذٍ سوف تنقطع وتنبتر الرأسماليه، ويستأصل الإقطاع والاستئثار والاحتكار البشرى، وهذه نبوءه قرآنيه تدلّل على أنَّ الذى يدير دوله الإصلاح الإلهى فى الأرض لاستتباب العداله وبسط العداله والقسط والعدل هو رجل من عتره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وليس النبيّ عيسى، وإنَّما النبيّ عيسى سوف يكون له دور مساهمه ومعين ومؤازر للمهدى عليه السلام فالبراهين القرآنيه متطابقه على أنَّه سيكون لعيسى دور فى نزوله، وإسهام ومؤازره ومناصره للدور الرئيسى والمركزى الذى يقوم به رجل من ذوى قربى النبيّ ليفشى العدل والقسط فى الأرض وهو المهدى عليه السلام، لأنَّ الآيات القرآنيه أيضاً دلَّت على أنَّ هناك بقاءً دائماً لخليفه الله فى الأرض، وهو رجل من العتره، وهو الذى يبسط العدل والقسط فى الأرض، وتكون الإمامه دائماً فى ذرّيه آل إبراهيم وآل إسماعيل، وبراهين وآيات قرآنيه غفيره دالّه على إمامه العتره وأنَّها باقيه لا تنقطع، فالتكذيب بهذه البراهين القرآنيه يُنذرنا عنه القرآن الكريم ويحذّرنا منه لكى لا نكون كاليهود وبنى إسرائيل الذين طبع الله على قلوبهم وسلب الإيمان من قلوبهم بسبب مقالتهم وجحودهم للبشاره الإلهيه، وذلك بأن أنكروا حياه عيسى، فإنكار حياه النبيّ عيسى يمثّل إنكار البشاره الإلهيه، فهذا إنذار بمن اقترن اسمه باسم عيسى وهو المهدى عليه السلام الذى دلَّت البراهين القرآنيه والإلهيه على حياته وبقائه.

وما أجمل ما تفصّله وتبيّنه هذه الآيه، وهو أنَّ هناك ثلاثه أنماط فى المجتمع من لا يقوى بنفسه على تحصيل المعيشه والمكسب كاليتامى الصغار، والمساكين الذين هم من الطبقات المسحوقه، وأيضاً من أوتى القدره على

تحصیل المعیشه والمکسب ولکن طرأت علیه الطوارئ کسفر وإفلاس وغیره، فهذه نماذج مهمّه لطیفه تذکرها الآیه، علی أنَّها مصرف لتوزیع الثروه العادله، والظریف فی الآیه الکریمه أنَّه مع کون القرآن الکریم یبشّر بنزول عیسی، إلاَّ أنَّه لا یسند التوزیع العادل للثروات للنبیّ عیسی، وإنَّما إلی رجل من عتره النبیّ، فالآیه الکریمه فی سوره الحشر کما مرَّ بنا تعطی البشاره للمسلمین بأنَّ العداله لن تستتب علی وجه الأرض بتوزیع الثروات بنحو عادل إلاَّ علی ید رجل من عتره النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: (ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ) ، ولذلک یقول الإمام الصادق: إنَّ فی آیه الفیء والأنفال جذع الأنف، یعنی أنَّها تطوّع الجاحدین والمنکرین لمقام أهل البیت علیهم السلام لکی یسلّموا بمفاد هذه الآیه الکریمه، إذ إسناد هذا التصرّف لله یعنی حاکمیه الله عز وجل، ومن ثَمَّ حاکمیه الرسول، وتصرّفه یکون امتداداً لحاکمیه الله، وثمّ لذی قربی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم حاکمیه، وهی امتداد لحاکمیه الرسول ممَّا یدلّل علی أنَّ الحقّ فی تدبیر الأمور فی الأمّه الإسلامیّه هو لأهل البیت علیهم السلام، ولیس ذلک عصبیه قبلیه یروّجها القرآن الکریم، ولیس هی نظریه أو دعوه عرقیه وقومیه یدعو إلیها القرآن الکریم، حاشا وکلاَّ، تعالی ربّ العزّه عن ذلک، بل یعلّلها أنَّه کی تصرف هذه الثروات فی الیتامی والمساکین وابن السبیل، أی الطبقات المحرومه فی الأرض، ولا تکون دوله بین الأغنیاء، یعنی أنَّ کلّ من یتنصَّب ویتولّی سدّه الحکم من غیر عتره النبیّ المطهّره سوف یکون معرضاً للأثره والاستئثار والاحتکار والطبقیه والتفرقه فی العطاء، إلی أن ینقض المسلمون علی خلیفتهم ویقتلوه کما حدث فی التاریخ مرَّات وکرّات.

فالقرآن الکریم کما یبشّر بنزول النبیّ عیسی ودوره فی بثّ الإیمان وفی قمع الجحود والإنکار لرساله سیّد الرسل الذی ابتلی به النصاری والیهود وبنو إسرائیل، یبشّر کذلک بأنَّه سیظهر هذا الدین علی

أرجاء الأرض كافّه، لكن القرآن أسند الإمامه والخلافه للمهدی دون النبیّ عیسی؛ لأنّه لا نبیّ یأتی بشریعه جدیده بعد سیّد الرسل، فیکون النبیّ عیسی علیه السلام تابعاً لسیّد الأنبیاء وتابعاً لأئمّه الدین فی هذه الشریعه، وقد ذکر الکثیر من الروایات فی کتب الحدیث عند فِرَق المسلمین أنّ عیسی یصلّی خلف المهدی. ومنه ما رواه ابن حجر فی الصواعق المحرقه، وابن الأبری المتوفّی فی القرن الرابع، وأیضاً ابن قیم الجوزیه، وأیضاً الشیخ ملاّ علی القاری الهروی، والسیوطی، فی کون عیسی یصلّی خلف المهدی، فهذه أمور کثیره ذکرت فی هذا المضمار(۱).

ومن ثَمَّ أکّدت الروایات النبویه کما أکّد القرآن الکریم أنّ الخلافه والإمامه والقیاده تکون بید الإمام المهدی، وهو الذی یملأها قسطاً وعدلاً، ویکون النبیّ عیسی مؤازراً ومناصراً ومعاضداً للإمام المهدی ضمن بقیّه أصحاب الإمام المهدی فی نصرته، ویبثّ وینشر ویبسط رایه العدل فی أرجاء الأرض کافّه.

إذن أوّل محطّه یستعرضها لنا القرآن الکریم فی ظاهره النبیّ عیسی أنّ الله عز وجل قد طبع علی قلوب الیهود بکفرهم وببهتانهم لمریم وقولهم بأنّهم قتلوا المسیح عیسی بن مریم رسول الله، وأنّ الله طبع علیهم بسبب هذه المقاله، وإصرارهم علی جحود بقائه وعلی التمرّد، ولکن سیاق الآیه یدلُّ علی أنّ ذمّ القرآن لمقالتهم هذه لیس فقط من جهه التمرّد علی الله عز وجل، بل لأجل أنّ نفس الاعتقاد بهذه المقاله وهو کون النبیّ عیسی لیس علی قید الحیاه یکون سبباً

۱- (۱) للاستزاده راجع کتاب شرح إحقاق الحقّ ۱۹۵ :۱۳، و۳۰۲ :۲۹، وفیه سرد لعلماء ومحدّثی القوم ممَّن روی ذلک وأقرَّ به، مع ذکر أسماء تصانیفهم وطبعاتها وأرقام الصفحات.

لسلب الإيمان من قلوب بنى إسرائيل، ولطبع الله على قلوبهم بالكفر، ومن ثَمَّ فالقرآن الكريم يتابع هذه المقاله المنكره فى قوله تعالى: (وَ قَوْلِهِمْ إِنّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ) (النساء: ۱۵۷)، بنفى وإنكار هذه المقاله، فيقول: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)، ويصرّ القرآن الكريم على إبطال هذه المقاله، ليس فقط من جهه تمرّدهم على الله، بل من جهه أنَّ هذه المقاله زيف وباطل، أنظر كيف يكرّر القرآن الكريم جمله: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ) ، وجمله: (وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) ، وجمله ثالثه: (وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) ، وجمله رابعه: (ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) ، وجمله خامسه: (إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ) ، وجمله سادسه: (وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً) ، ستّ جمل يركّز ويؤكّد عليها القرآن الكريم، ويوثّق على زيف هذه المقاله، لا من جهه تمرّدهم فقط، كلاَّ، بل النقطه المركزيه التى يشدّد ويؤكّد عليها القرآن الكريم بشكل أكثر هى زيف هذه المقاله، بأنَّ النبىّ عيسى ليس بحىّ، هذا التركيز من القرآن الكريم يهدف إلى أن يبصرنا وأن ينبّهنا وأن يوقظ اليهود ويوقظ النصارى ويوقظ البشريه كافّه إلى أنَّ إنكار حياه حجج الله الذين ادّخرهم الله عز وجل لوعده الإلهى بنشر العدل والقسط والعداله والإيمان وإظهار الدين، وحياه وبقاء هؤلاء الحجج فى ظلّ خفائهم واستتارهم، هذا الإنكار يؤدّى إلى سلب الإيمان ويطبع الله بسببه على القلوب.

وقد اتَّفقت اليهود والنصارى على دعوى وزعم قتل وصلب النبىّ عيسى، غايه الأمر أنَّ النصارى كانوا يعتقدون بنبوّته ويعتقدون بأنَّ اليهود قد قتلوه، لكن الله محييه مرَّه أخرى وسيعيد إنزاله إلى الأرض ليساهم فى بسط دوله العدل، وأمَّا اليهود فهم على اعتقاد ببشاره مجىء النبىّ عيسى، ولكنَّهم يدَّعون أنَّ الذى قتلوه كان يزعم أنَّه النبىّ عيسى، واتّهموا نبىّ الله بتهم، منها أنَّه ساحر وابن

ساحره، ورموا مریم بالبهتان والفاحشه والعیاذ بالله، فأیّاً ما کان فکلٌّ من الیهود علی اختلاف معتقدهم فی النبیّ عیسی ومن النصاری متّفقون علی أنّه قد قتل، وأنّه قد صلب ومات، إلّا أنّ القرآن الکریم یؤکّد أنّ هذه المزعمه باطله، حیث فی قوله تعالی: (وَ مَکَرُوا) یعنی بنی إسرائیل والیهود، (وَ مَکَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ*إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسی إِنِّی مُتَوَفِّیکَ وَ رافِعُکَ إِلَیَّ وَ مُطَهِّرُکَ مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِینَ اتَّبَعُوکَ فَوْقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلی یَوْمِ الْقِیامَهِ) (آل عمران: ۵۴ و۵۵)، وقال تعالی: (وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَیْها بِکُفْرِهِمْ فَلا یُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِیلاً) (النساء: ۱۵۵)، یعنی طبع الله علی قلوب بنی إسرائیل، الجمله السابعه: (بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَیْهِ) ، والجمله الثامنه: (وَ کانَ اللّهُ عَزِیزاً حَکِیماً) (النساء: ۱۵۷ و۱۵۸)، وهذه الجمله الثامنه فی الواقع للتأکید علی عزّه وقدره الله، فهناک ثمانیه جمل فی سوره النساء تؤکّد وتدحض مزعمه الیهود والنصاری، وبالذات مزعمه بنی إسرائیل فی عدم بقاء النبیّ عیسی علیه السلام علی قید الحیاه، وکذلک فی سوره آل عمران.

وهنا یطرح هذا السؤال الذی یطرحه الکثیر من الناکرین والجاحدین لحیاه وبقاء الإمام المهدی من عتره النبیّ المطهّر المدَّخر الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً، الکثیرون یجحدون حیاته وبقاءه، یقولون: ما فائده إبقاء حیاه إمام مدَّخر طول هذه المدّه لینشر ویبسط العدل فی الأرض؟ وهذا السؤال یقال حتّی عن هذه العقیده، وهو السؤال المنکِر الجاحد لعقیده حیاه وبقاء الإمام المهدی الذی نبّأنا القرآن الکریم فی سوره الحشر وفی سور أخری بأنّه هو المصلح من عتره النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وأنّه رجل یبثّ الله علی یدیه العدل ویملأ الأرض علی یدیه قسطاً وعدلاً ویظهر الدین علی أرجاء الأرض کافّه، هذا السؤال فی الواقع یُثار أیضاً علی هذه العقیده القرآنیه الأصیله التی تدلّل علی أنّ النبیّ عیسی

سینزل: (وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) (النساء: ۱۵۹)، ویبثّ الإیمان ویزیل ویبید انحراف النصاری فی إنکارهم وجحودهم لرساله سیّد الرسل ولدین الإسلام، وجحود الیهود وإنکارهم بقاء هذا المصلح الإلهی المدَّخر من قبل الله.

هذه المحطّه وهذا الموقف العقائدی المهمّ هو فی الواقع أوّل المواقف وأولی المحطّات المهمّه التی یرکّز ویؤکّد علیه القرآن الکریم فی ظاهره النبیّ عیسی علیه السلام التی هی مقترنه بظاهره الإمام المهدی؛ لأنَّ أتباع الدیانات السماویه سواء الیهود أو النصاری أو المسلمین، یتطَّلعون إلی نزوله للمساهمه والمشارکه فی دوله الإصلاح التی یقودها _ کما فی عقیده المسلمین _ الإمام المهدی علیه السلام، ویکون خلیفه البشریه فی الأرض، رغم وجود نبیّ من أولی العزم، لأنَّه لا نبیّ صاحب شریعه بعد سیّد الأنبیاء، فیکون تابعاً لشریعه سیّد المرسلین وللإمام المنصوب فی هذه الشریعه وهو الإمام المهدی علیه السلام الثانی عشر من خلفاء النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، کما اعترف بذلک (ابن کثیر) فی تفسیره فی سوره المائده فی ذیل قوله تعالی: (وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً) (المائده: ۱۲)(۱).

ومن الجدیر بالذکر أنَّ القرآن الکریم حینما یذکر الخلافه الإلهیه یکون العدد اثنا عشر فیها رمزاً مقدَّساً فی السنن الإلهیه، ویذکر (ابن

۱- (۱) قال ابن کثیر فی تفسیر قوله تعالی: وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِیثاقَ بَنِی إِسْرائِیلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَیْ عَشَرَ نَقِیباً، وبعد أن أورد حدیث: (الخلفاء الاثنی عشر)، وأقرَّ بأنَّه الثانی عشر: (والظاهر أنَّ منهم المهدی المبشَّر به فی الأحادیث الوارده بذکره فذکر أنَّه یواطئ اسمه اسم النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم). أنظر: (تفسیر ابن کثیر ۳۴ :۲).

كثير) فى ذيل ذلك فى تفسيره الأحاديث المعتبره التى رواها المسلمون رغم اختلاف فِرَقهم أنَّ خلفاء النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر، فالقرآن الكريم إذن يؤكّد على هذه الحقيقه المهمّه التى يجب أن يتَّعظ بها المسلمون والمؤمنون من أنَّ المدَّخرين للإصلاح الإلهى والمُعدّين من قبل الله تعالى لإرساء العداله فى الأرض كالنبىّ عيسى، وكالمهدى الذى هو رجل من عتره النبىّ، ومن ثَمَّ أكَّد القرآن الكريم على مرتبه القلب لا مرتبه اللسان، فهم وإن كانوا أهل الكتاب، وإن كان المسلم فى ظاهر الإسلام من أتباع الديانه الإسلاميّه ولا ينفى عنه هذا الانتماء ولا يسلب القرآن الكريم عنه هذا الانتماء، ولكن يسلب عنه الإيمان، والكفر فى مقابل الإيمان؛ لأنَّ الكفر يطلق فى القرآن الكريم على معانى عديده، فهناك كفر مقابل ظاهر الإسلام، وفى مقابل ظاهر أتباع الكتاب، وهناك كفر مقابل الإيمان: (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: ۱۴)، ففرَّق القرآن الكريم بين الإيمان والإسلام، فظاهر الإسلام بالإقرار بالشهادتين، ولكن الإيمان يحتاج إلى الاعتقاد بأصول متعدّده، فظاهر الإسلام هو بالإقرار بالشهادتين ليدخل الفرد فى حظيره وبيئه الإسلام، ولكن إذا أراد أن يدخل فى حظيره وبيئه الإيمان التى هى أرفع درجه فلا بدَّ أن يقرّ بأصول الإيمان، وهناك يؤكّد القرآن الكريم أنَّ الاعتقاد ببقاء حياه المصلح الإلهى المدَّخر من قبل الله تعالى لبثّ الإصلاح فى الأرض هو من أصول الإيمان، وإن لم يكن من أصول ظاهر الإسلام أو من أصول ظاهر اتّباع الكتاب فى أهل الكتاب.

وهـذه المحطّه الأولى التى نشاهدها فى ظاهره النبىّ عيسـى وغيبته مهمّه جدًّاً. والذى نسـتوحيه من إفادات القرآن العظيم وبياناته البيّنه أنَّه يجب الاعتقاد بعـد قيام الدليل والبراهين القرآنيه على ادّخار مصـلحين إلهيين وحجج إلهيين ادَّخرهم الله ليقيم بهم دوله العدل ودوله الإصـلاح، ويجب الاعتقاد ببقاء حياتهم فى ظلّ غيبتهم وظلّ خفائهم، فهذه عبره مهمّه نسـتفيدها من ظاهره الاعتقاد بالنبىّ عيسـى التى يأمرنا القرآن الكريم بالإيمان بها، وأن لا نحذوا حذو اليهود والنصارى فى إنكار وجحد بقاء حياه النبىّ عيسى رغم خفائه ورغم غيبته ورغم عدم وصول عقولنا لفوائد وثمار هذا الخفاء وهذه الغيبه، وهذا الإعداد الإلهى العظيم لساعه الظهور ولساعه الإصـلاح رغم عـدم وصول عقولنا لـذلك رغم كلّ ذلك إلاَّ أنَّه يجب أن نعتقد _ لكى نكون مؤمنين _ ببقاء حياه هذا المصلح عند الله عز وجل فى السماء للإعداد للإصلاح، فهذه نقطه مهمّه.

المحطّه الثانيه: مفارقات فى الغيبه:

ومع أنَّ كلا الغيبتين غيبه خفاء وليست غيبه زوال وجود، إلاَّ أنَّ هناك مفارقه واضـحه بين غيبه النبىّ عيسى وغيبه الإمام المهدى عليه السـلام، حيث إنَّ غيبه النبىّ عيسـى كما يصـرّح القرآن الكريم هى الرفع، كما قال تعالى: (يا عِيسـى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِيـنَ كَفَرُوا) (آل عمران: ۵۵)، والمقصود بـذلك أنَّ النبىّ عيسـى لا زال على قيد الحياه ولكنَّه فى السـماء عند الله عز وجل، إلاَّ أنَّ غيبه الإمام المهدى ليست فى السـماء، وليست خفاءاً واسـتتاراً فى السـماء، وإنَّما هى اسـتتار فى الأرض، وليس استتاراً فى بقعه خاصّه عن بقيّه البقاع، وإنَّما المراد منها خفاء

هويّته، خفاء الشعور به، فهى ليست غيبه نأى ولا ابتعاد ولا مزايله عن ساحه الحدث، بخلاف غيبه النبىّ عيسى، فهى استتار فى السماء.

وهذا فارق آخر بين غيبه النبىّ عيسى وغيبه الإمام المهدى عليه السلام، وهو أنَّ الإمام المهدى فى ظلّ غيبته هو الإمام الذى يضطلع ويقوم بأدوار ومسؤوليه الإمامه والخلافه فى الأرض عبر ما حدَّثنا القرآن الكريم من نماذج كما فى غيبه النبىّ يوسف والنبىّ موسى والخضر عليهم السلام، فهناك أجهزه متعدّده يقوم بها الإمام المهدى فى أدواره فى النظام البشرى وفى الأدوار السياسيه للنظام البشرى بنحو خفى، والدوائر التى تحيط به من أولياء الله ورجال الغيب، أى رجال الخفاء والسرّيه من أولياء الله وأصفيائه، كالخضر ومجموعته ومجاميع أخرى من الدوائر والأبدال والسيّاح والأركان والأوتاد وما شابه ذلك، هؤلاء فى الواقع يقومون بأدوار متعدّده. ورغم هذا التخفيف فى غيبه الإمام المهدى والشدّه فى الطرف الآخر فى غيبه النبىّ عيسى عليه السلام، مع ذلك يطالبنا القرآن بأن نعتقد ونؤمن بحياه وبحجّيه النبىّ عيسى وبنبوّته وبدوره المساهم فى دوله الإصلاح، دوله الإمام المهدى، هذه الحجّيه لم يأتِ آتٍ من المسلمين وينكرها ويقول: كيف أعتقد بحجّيه النبىّ عيسى وهو فى السماء ولا يمارس دوراً؟ وهو إذن مبتعد عنّا! رغم كلّ ذلك نشاهد الاعتقاد ببقاء حياه وحجّيه النبىّ عيسى وبالإيمان بأنَّه سينزله الله ليبسط العدل ويُعين الإمام المهدى فى نشر الدين ومؤازرته على بسط القسط والعدل.

وهناك مفارقه ثالثه بين غيبه النبىّ عيسى وغيبه الإمام المهدى، ففى ظلّ غيبه النبىّ عيسى فى السماء ربَّما يعسر تصوّر ممارسته لدور فى النظام البشرى طيله حقبه غيبته وهى أطول من غيبه الإمام المهدى، فقد تمادت وتطاولت غيبه

النبيّ عيسى عليه السلام وإعداد الله وادّخار الله له لينزل ويظهر فى دوله الإمام المهدى، فهناك نوع من المفارقه الموجوده فى المدّه الزمانيه، وهذه مفارقه ثالثه وهى طول مدّه غيبه النبيّ عيسى وقصر مدّه غيبه الإمام المهدى بالقياس لها.

وقد أثبت القرآن الكريم أنَّ للحجّيه معنى يتلاءم ولا يتنافى مع الغيبه.

هذه محطّه ثانيه مهمّه استفدناها من ظاهره النبيّ عيسى المقرون اسمه باسم الإمام المهدى غيبةً وظهوراً ونزولاً وإصلاحاً.

المحطّه الثالثه: الحراسه الإلهيه لوليّ الله:

المحطّه الثالثه التى يستعرضها لنا القرآن الكريم أيضاً فى ظاهره النبيّ عيسى وهى محطّه خلاّبه وأخّاذه فى نور البصائر القرآنيه الاعتقاديه، وهى قوله تعالى: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)، يريد القرآن الكريم إثبات أنَّ فى قدره الله وعزّه البارى تعالى أن يحفظ أولياءه، وأن يحفظ حجّته رغم محاوله إقدام سلطات الوقت على تصفيته جسدياً، فقد كان الملك الطاغيه فى بنى إسرائيل يلاحق عيسى للإعدام والاستئصال بتحريك من بنى إسرائيل ومن اليهود فى عداوتهم له، كما يحدّثنا القرآن الكريم إخباراً من الله للنبيّ عيسى: (وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ) (المائده: ۱۱۰)، فأبدوا له العداوه ومحاوله التصفيه والإباده كما يقول القرآن أيضاً: (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ*إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ) ، طبعاً هذا التوفّى ليس بمعنى الإماته، وسنأتى إلى شرح معناه: (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (آل عمران: ۵۴ و۵۵)، فيبيّن لنا القرآن الكريم أنَّ ما حاول بنو إسرائيل واليهود ارتكابه من قتل وصلب النبيّ عيسى، هو

جحود لوجود الحراسه والضمانه الإلهيه، وهذا درس مهمّ. وهذا بنفسه جرى فى ظاهره الإمام المهدى، وهى ظاهره عامّه أنَّ سلطات الشرّ وأنظمه الشرّ وحكومه الظلم عندما تتوجَّس خيفه من مصلح، وسيّما أنَّ النبىّ عيسى عندهم مبشّر وأنَّه يساهم فى إقامه دوله الإصلاح، ولذلك فإنَّ ملوك الشرّ وملوك الظلم وملوك الاستبداد يتوجَّسون خيفه من ظهور هذا المصلح، ولذلك تنبرى قوّه الشرّ لتصفيه النبىّ عيسى وقتله، كما هو الحال فى العبّاسيين، حيث سجنوا الإمام الهادى جدّ الإمام المهدى وسجنوا والد الإمام المهدى وهاجموا بيت الإمام الحسن العسكرى مرَّات وكرّات ليقتلوه.

فالقرآن الكريم يحدّثنا عن محطّات عديده فيها كبس الظالمون على أولياء الله وحججه الذين بُشّروا بأن يكونوا مصلحين. فكم من درس قرآنى يُتّعظ به تجاه أولياء الله، فهذا درس ثالث ومحطّه ثالثه.

ويحدّثنا التاريخ أنَّ الإمام الحسن العسكرى كان يقطن بيته المحاصر فى سُرَّ من رأى التى كانت قاعده عسكريه خمسه فقهاء من فقهاء البلاط العبّاسى من وعّاظ السلاطين ليراقبوا الإمام الحسن العسكرى. هكذا كانت الرقابه شديده جدَّاً، وكانت نسوه وجوارى وبعض إماء الإمام الحسن العسكرى يراقب حملهنَّ، كما فعل فرعون مع نسوه بنى إسرائيل كى يقتل كلّ ولد ذكر يولد فى عصره، ومع ذلك حقَّق الله عز وجل الإنجاز بوعده لتولّد النبىّ موسى وظهوره وإصلاحه وغيبته ثمّ ظهوره ثمّ دكدكته وإطاحته بعروش الفراعنه وهى أكبر عروش ظالمه آنذاك فى الحقبه البشريه.

ولا يخفى أنَّ هناك من يروقه المسلك العلمانى لإنكار الأحاديث النبويّه

والتمرّد على دلالات القرآن الكريم فى حقائق الوعد الإلهى، وهذا أمر آخر، ولكن الظالمين والأنظمه والعروش تتحسَّب كامل التحسّب؛ لأنَّ هذا أمر يمسّ عروشها، فكان لدى العبّاسيين توجّس وخيفه شامله، ولذلك كان عندهم تعبئه مهمّه للحيلوله دون تولّد الإمام المهدى، أو إذا تولّد يكبسونه بالتصفيه والإباده، كما فعل بنو إسرائيل بالنبىّ عيسى المبشّر بالإصلاح، والإنجيل فى اللغه العبريه يعنى البشاره الملكوتيه.

المحطّه الرابعه: التأكيد على بقاء عيسى عليه السلام حيّاً:

المحطّه الرابعه التى تطالعنا فيها الآيات من ظاهره النبىّ عيسى هى: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ) ، إذن لا زال باقياً على قيد الحياه، (وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)، هذه ملحمه قرآنيه مهمّه احتدمت فيها آراء المفسّرين وأقوالهم فى قوله تعالى: (شُبِّهَ لَهُمْ) ؟ وكيف يحصل التشبيه؟ إجمال ما يستعرضه لنا القرآن الكريم وما استعرضته الروايات لا سيّما روايات أهل البيت عليهم السلام والتى أخذ وانتهل منها بقيّه المفسّرين من الفِرَق الإسلاميّه كما يحدّثنا الإمام الباقر عليه السلام: أنَّ الجلاوزه حاصروا عيسى وكان مع حواريّيه الاثنى عشر فى بستان وفى دار، وكان بإيعاز من بنى إسرائيل واليهود، وتقلقل الملك الذى كان مستبدّاً وغاشماً من بشاره كون النبىّ عيسى مصلحاً وأنَّه سوف يكون هو مبشّراً بالإصلاح وإقامه دوله الإصلاح والمساهمه فيها، وما بثّه عنه اليهود، فحوصر النبىّ عيسى، وكان قد أخبره الله عز وجل بهذا الأمر وبكيد الكائدين، كما تحدّثنا بذلك سوره آل عمران: (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ*إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (آل عمران: ۵۴ و۵۵)، والتوفّى ليس الإماته كما سنذكر وذكرته روايات أهل البيت

علیهم السلام فی تفسیر بیان ظاهر هذه الآیه، حینها أخبر النبیّ عیسی حواریه بما سیجری وأنَّ الله رافعه، فمن منهم یضحّی ویفدی نفسه بأن یلقی علیه شبه عیسی ویقتل ویصلب ولکی یکون فی درجه النبیّ عیسی فی الآخره؟ فبادر أحدهم إلی ذلک، وقال له النبیّ عیسی: کن أنت ذلک، أی الذی یضحّی ویفدی نفسه ویلقی علیه شبه النبیّ عیسی لیحسبه الیهود هو، فحینئذٍ أتی جلاوزه ذلک النظام ودهموا تلک الدار لقتل النبیّ عیسی، إلاَّ أنَّ النبیّ عیسی رفعه جبرئیل من روزنه الدار إلی السماء(۱).

وفی روایات أهل البیت أنَّ وفاه النبیّ عیسی لیس بمعنی الإماته، وإنَّما قُبضت روحه فی أثناء عملیه الرفع، ثمّ أعیدت له فی السماء، کما یتوفّی الله الأنفس فی المنام، فهی شبه الحاله المنامیه، کما تحدّثنا الآیه الکریمه: (اللّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها وَ الَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنامِها) (الزمر: ۴۲).

۱- (۱) فی الروایه عن أبی جعفر علیه السلام، قال: (إنَّ عیسی علیه السلام وعد أصحابه لیله رفعه الله إلیه، فاجتمعوا إلیه عند المساء وهم اثنا عشر رجلاً، فأدخلهم بیتاً ثمّ خرج علیهم من عین فی زاویه البیت وهو ینقض رأسه من الماء، فقال: إنَّ الله أوحی إلیَّ أنَّه رافعی إلیه الساعه ومطهّری من الیهود، فأیّکم یلقی علیه شبحی فیقتل ویصلب ویکون معی فی درجتی، فقال شاب منهم: أنا یا روح الله، قال: فأنت هوذا، فقال لهم عیسی علیه السلام: أمَا إنَّ منکم لمن یکفر بی قبل أن یصبح اثنتی عشره کفره، فقال له رجل منهم: أنا هو یا نبیّ الله؟ فقال عیسی: إن تحسّ بذلک فی نفسک فلتکن هو، ثمّ قال لهم عیسی علیه السلام: أمَا إنَّکم ستفترقون بعدی علی ثلاث فِرَق فرقتین مفتریتین علی الله فی النار وفرقه تتّبع شمعون صادقه علی الله فی الجنّه، ثمّ رفع الله عیسی إلیه من زاویه البیت وهم ینظرون إلیه). ثمّ قال أبو جعفر علیه السلام: (إنَّ الیهود جاءت فی طلب عیسی علیه السلام من لیلتهم، فأخذوا الرجل الذی قال له عیسی علیه السلام: إنَّ منکم لمن یکفر بی من قبل أن یصبح اثنتی عشره کفره، وأخذوا الشاب الذی ألقی علیه شبح عیسی فقتل وصلب، وکفر الذی قال له عیسی علیه السلام: تکفر قبل أن تصبح اثنتی عشره کفره)، (تفسیر القمی ۱: ۱۰۳).

فاستعمل القرآن الكريم التوفّى فى المنام، كما استعمله فى حاله نزع الروح، فكلّ منهما يعبّر عنه القرآن الكريم ب- (التوفّى)؛ لأنَّه يتمّ نوع ودرجه من نزع الروح، وهنا التعبير بالتوفّى (إِنِّى مُتَوَفِّيكَ) ليس معنى وفاه الموت، وإنَّما هو وفاه شبه الحاله المنامیه أو غيرها، ولمَّا رفع إلى السماء، أعيدت إليه الروح كما يستيقظ النائم مثلاً، وهو حىّ باقٍ فى سماء ربّ العالمين، إلى أن ينزله الله لإصلاح الأرض، كما تحدّثنا بذلك سوره النساء.

كما دهمت جلاوزه بنى العبّاس عدّه مرَّات بيت الإمام العسكرى لكبس وقتل الإمام المهدى، وأحد المرَّات التى دهموا فيها بيت الإمام الحسن العسكرى الذى كان مشتملاً على طابق سفلى تحت سطح الأرض كما هو متَّخذ فى جمله من البلدان فى العراق وإيران لأجل التبريد من حراره الشمس ومتّصل ببقيّه طبقات المبنى والذى يدعى الآن ب- (سرداب الغيبه)، والمراد منه أنَّه كان عليه السلام موجوداً فى ذلك البيت، وقام جلاوزه بنى العبّاس بكبس ومداهمه البيت، إلَّا أنَّ الله أعماهم كما أعمى قريشاً عندما دهمت بيت النبىّ ليله مبيت على فى فراش النبىّ صلى الله عليه وآله، فهم قد دهموا بيت النبىّ، إلَّا أنَّه خرج من بين أيديهم فعمى الله أبصارهم، هكذا حصل، وعندنا فى روايات أهل البيت مداهمه جلاوزه بنى العبّاس لبيت الإمام الحسن العسكرى المشتمل على الطابق الذى يُدعى بالسرداب، إلَّا أنَّ الله غيّب شعورهم بالإمام المهدى، فسمّى هذا السرداب ب- (سرداب الغيبه)، وليس معنى سرداب الغيبه اختفاء الإمام المهدى فيه، وإنَّما إخفاء وخفاء الشعور به، كما أخفى الله شعور قريش

الحاقده المعانده للنبیّ صلی الله علیه وآله، عندما خرج من بین أیدیهم فی لیله المبیت، ثمّ هاجر وغاب فی غار الثور ثلاثه أیّام ثمّ هاجر إلی المدینه المنوَّره، هکذا صنع الله، وهکذا یخبرنا القرآن الکریم بأنَّ ذلک لیس عزیزاً علی قدره الله، حیث إنَّ النبیّ عیسی عندما دهمه وکبسه جلاوزه الملک الظالم فی ذلک الحین لتصفیته وإبادته حال الله دون أن یصلوا إلی ذلک، ورفعه إلیه وحرسه عن أن یصل إلیه مکر الماکرین وکید الکائدین، وصنع الباری تعالی فی ذلک أن ألقی شبه عیسی علی أحد حواریه الذی کان مفدّیاً نفسه، کما فدّی علیٌّ الرسول صلی الله علیه وآله بنفسه لیله المبیت، فألقی الله شبه عیسی علی ذلک الحواری، فأخذه جلاوزه النظام ظنّاً منهم بأنَّه عیسی، فقتلوه وصلبوه، وهنا تتبیَّن القدره الإلهیه، فهذه محطّه مهمّه جدَّاً مرتبطه بغیبه النبیّ عیسی.

وهی قدره الله تعالی فی تغییب وإخفاء الحجج والأولیاء بأن یعطّل الباری تعالی قدرات البشر فی الإحساس والشعور والإدراک عن درک الحقیقه، هذا هو الذی تحدّثنا به هذه الآیه: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)، فهل هذه خرافه والعیاذ بالله! هل هذا خیال داعب خیال البشر!؟ حاشا للقرآن عن ذلک، إذن ما هو الواقع؟ الواقع أنَّ هناک سُنّه إلهیه وقدره إلهیه تفوق قدره البشر رغم ما أوتوا من قدره، قدره الله عز وجل علی سلب البشر إدراکهم، وهو الإدراک بالحسّ، حیث یستطیع الله عز وجل أن یعطّله وأن یغیّبه عن الفاعلیه والنشاط.

فماذا ینکر هؤلاء المنکرون والجاحدون لوجود الإمام المهدی علیه السلام وبقاء حیاته، ووجود مثل الخضر ومجموعته التی یحدّثنا القرآن الکریم عنها؟!

ماذا ينكرون فی قدره الله؟ وماذا ينكرون فی سُنّه الله؟ فهذه سُنّه إلهيه يخبرنا وينبئنا بها القرآن الكريم، أنَّ فی قدره الله حفظ وحراسه أوليائه، وتعطيل وإعجاز إدراك البشر وقدرتهم على الإحساس، وهذا ليس هو الموضوع الوحيد الذی يحدّثنا به القرآن الكريم، وهذه محطّه رابعه وملحمه ذات إثارات عقائديه عديده، فلينظر القرّاء الأعزّاء التفاسير فی ذيل سوره النساء الآيه مائه وسبعه وخمسون(۱)، وفی سوره آل عمران الآيه خمسه وخمسون(۲)، هذا التشبيه من الله عز وجل على بنی إسرائيل وعلى الظالمين هو حيلوله منه تعالى عن أن ينالوا ولیّ الله وحجّته، يُرى الله المسلمين أنَّ الكافرين قِلَّه، فقد كانوا يناهزون الألف، ولكن قدَّر الله أن يُرى المسلمين الكافرين قليلاً، وأن يقلّل الكافرين فی عيون المسلمين: (وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِی أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِی أَعْيُنِهِمْ) ، أيضاً قلَّل البارى تعالى المسلمين فی عين الكافرين، لماذا؟ وما الحكمه فی ذلك؟ الجواب: (لِيَقْضِیَ اللّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (الأنفال: ۴۴).

هل يدعو القرآن للسفسطه ؟

هل يدعو القرآن الكريم للتشكيك فی الحسّ والسوق إلى السفسطه؟ وهل يشكّك القرآن الكريم فی الأخبار الحسّيه والخبر الحسّی؟ وهل يسقط القرآن الكريم حجّيه الخبر المتواتر، وهذا ينجم عنه الطعن فی مصادر نقل الشريعه للبشريه؟

۱- (۱) وهی قوله تعالى: وَ قَوْلِهِمْ إِنّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِی شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً.

۲- (۲) وهی قوله تعالى: إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسى إِنِّی مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَیَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ ثُمَّ إِلَیَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ.

فی هـذا البحث من الظواهر القرآنیه والعقیـده بالإمام المهدی وغیبته، ونحن لا زلنا فی الظاهره السادسه وهی ظاهره النبیّ عیسـی علیه السـلام، هنا یؤکّـد القرآن الکریم أنَّ یـد الیهود ویـد الظالمین انحسـرت عن أن تصل بسوء أو بإیذاء إلی النبیّ عیسـی وهو النبیّ المدَّخر فی الوعد الإلهی والبشاره الإلهیه عند الیهود وعند النصاری، وکذلک عند المسـلمین، ویؤکّد لنا القرآن الکریم أنَّ أحد نماذج القدره الإلهیه والعزّه الإلهیه المنیعه هو أن تُزوی الإدراک الحسّی البشری عن أن یکون فاعلاً، أو أن یکون نشیطاً مع المحیط الخارجی الذی یعیش فیه، هذا الإدراک الحسّـی المتمثّل بالحواس الخمسه قد یُعطَّل فی قدره الله، أو یُزوی عن أن ینفذ الظـالمون وقوی الشـرّ مکرهم للحیلوله دون بلوغ التـدبیر الإلهی للغایات، (وَ مَکَرُوا وَ مَکَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ) (آل عمران: ۵۴)، لأنَّ هذه القدرات من الله عز وجل ینعم بها علی عباده، ویزوّد بها عباده، فإذا حجب هذه النعم فإنَّها تتعطَّل.

ففی عزّه الله وقـدرته أن یحفظ أولیاءه، ویُعجِز قـدره البشـر عن أن تصل إلی أولیائه بسوء، حینئذٍ تُطرح هذه الأسـئله: أنَّه إذا کان زعم النصاری والیهود أنَّ عنـدهم خبراً حسّـیاً متواتراً بقتل الیهود للنبیّ عیسـی علیه السـلام، وصـلبه فکیف إذن یخطَّأ ویفنَّد هـذا الخبر المتواتر؟ وإذا فنّدت الأخبار المتواتره والحسّ، فهل هذه سفسطه؟ وبالتالی یکون طعناً فیما ینقل من تراث الشرائع السماویه إلی الأجیال اللاحقه، فهل القرآن یـدعو إلی کلّ ذلک؟ حاشا للقرآن عن ذلک، فإذن ما مغزی طعن القرآن الکریم فیما یـدَّعیه الیهود والنصاری من إدراکهم الحسّی لقتل وصلب النبیّ عیسی: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)؟

والجواب أنَّ هناك حقائق فى فعل الله بأن يزوى الحسّ عن أن يبصر كلّ شىء، وعن أن يدرك؛ لأنَّ قدره الإحساس هى فى سبيل إفاضه إنعام من الله على البشر، فإذا قطع الله سببه فإنَّ السبيل ينضب، لا أنَّه يشكل لهم شيئاً آخر، كتخييل السحر والتلاعب فى الخيال لحجب الواقع عن حقيقه البصر، كلَّا فليس الحال كذلك فى قدره الله، وإنَّما فى قدره الله ينضبها ويعجزها ويفترها ويحجب عن إعمالها، فهل هذا حينئذٍ دعوى من القرآن إلى التشكيك بالحسّ أو السفسطه؟ كلَّا، وإلى ماذا يريد أن يشير لنا القرآن الكريم؟ فى الحقيقه هذه الأسئله المحتدمه ذكرها المفسّرون فى هذه الآيه: (وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (الأنفال: ۴۴)، وحتَّى أصحاب السير حول حجب الله أبصار قريش والقبائل العربيه عن أن تنال النبىّ صلى الله عليه وآله بسوء يوم خرج للهجره، حيث كانوا متواطئين ومتآمرين ليقتلوا النبىّ صلى الله عليه وآله أو يحبسوه ويسيطروا عليه، فالسُنّه الإلهيه هنا تريد أن تعطى للمؤمن وللمسلم مغزى ودرساً تبرزه لنا، ويريد القرآن الكريم أن يقول: إنَّ عقائد الشريعه وأصول الإيمان بالشريعه ليست كلّها بمقتضى الحسّ، أو أن تحبس فى هذا المنبع الضيّق فقط، نعم الحسّ يعوَّل عليه وهو منبع ومصدر، ولكنَّه ليس كلّ شىء، وبعباره أخرى يريد القرآن الكريم أن يفنّد أصاله الحسّ، لأنَّ القائلين بأصاله الحسّ يذهبون إلى أنَّ ما أوصلنا إليه الحسّ نؤمن به، وما غاب عن الحسّ لا نؤمن به، وهذا يؤدّى إلى الكفر، مع أنَّ الغيب ليس من الضرورى أن يكون فى عوالم أخرى غير

عـالم الـدنيا وعـالم الأرض، فكلَّما يغيب عن حسّ الإنسان يكون غيباً، وكلَّما يغيب عن حسّ البشـر وإن كان موجوداً فى كينونه الأـرض يكون غيباً بالنسـبه إليه، فـإذا عوَّل البشـر فى مصادر المعارف الـدينيه على حكر وحصـر المصادر فى الحسّ فهنا تكون الطامه الكبرى وهنا تكون الرزيّه كلّ الرزيّه وهنا الداهيه الدهياء.

والقرآن الكريـم فى هـذه الحقيقـه الثـانيه يريـد أن يسـلّط الضـوء ويـدقّ الجرس للتنـبيه والإنـذار للمـؤمنين والمسـلمين واليهـود والنصارى ولكلّ أتباع الـديانات السـماويه، أنَّ الحسّ ليس هو الأمر والمصدر الأوّل والأخير والوحيد للمعرفه، فإنَّ ذلك يسـبّب أزمه فى المعرفه الدينيه وغيرها. نعم هنا حيث يؤكّد القرآن الكريم تخطئه اليهود والنصارى فيما ادّعوه من الخبر المتواتر الحسّـى من قتل النبىّ عيسـى وصـلبه، وطبعاً اختلف بعـد ذلك اليهود والنصارى فى أنَّ النبىّ عيسـى أحيى بعد ذلك وهو على قيد الحياه كما يـذهب إلى ذلك النصارى، أو كما يـذهب إلى غير ذلك اليهود، حيث يقولون: إنَّ الذى زعم أنَّ هذا هو النبىّ عيسـى فإنَّه قد مات، وأمَّا النبىّ عيسـى الموعود بالبشاره الإلهيه الذى يساهم فى دوله الإصلاح فى آخر الزمان فإنَّه سينزل ويبعث بعد ذلك، فهم يتَّفقـون فى بعض النقـاط ويختلفون فى جمله منهـا، يتَّفقون فى أنَّ النـبىّ عيسـى سـيظهر فى آخر الزمـان وينزله الله عز وجل للمساهمه فى دوله الإصلاح الإلهى الشامل، ويتَّفقون أيضاً فى أنَّ الذى أنبأ الناس بنبوّته هو عيسى بن مريم وقد قتل وصلب، نعم يختلفون بأنَّ الذى قُتل وصُلب هل هو النبىّ عيسى حقيقه كما تؤمن بذلك النصارى وتكفر بذلك اليهود، وأنَّ هذا الذى قُتل

وصُلب هو باقٍ على قيد الحياه، فهذه موارد ونقاط اختلاف بينهم كما أنَّ هناك موارد ونقاط وفاق أيضاً. على أىّ تقدير فالقرآن يخطّئهم فيما زعموه من الخبر المتواتر والخبر الحسّى بأنَّ النبىّ عيسى قتل أو صلب: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) ، ألقى شبهه على أحد حواريه فظنّوا أنَّه عيسى، (وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً*بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ) (النساء: ۱۵۷ و۱۵۸).

هنا يأتى هذا السؤال: هل أنَّ القرآن يطعن فى الحسّ بكونه مصدراً من مصادر المعرفه، ومصدراً من مصادر نقل الشريعه إلى الأجيال الأخرى؟ كلاَّ فالقرآن الكريم ليس فى صدد الطعن فى الحسّ، بل فى صدد الطعن فى مذهب أصاله الحسّ، يعنى المذهب الذى يقول بأنَّ ما يؤدّى إليه حسّنا فهو حقّ، وما لا يؤدّى إليه حسّنا فهو باطل، هذا المذهب الحسّى يقف القرآن الكريم فى صدد إبطاله وتخطئته، أى إنَّ الحسّ ليس هو المصدر الأوّل والآخِر فى المعرفه الإيمانيه الدينيه. والحقيقه الثانيه أيضاً التى يؤكّدها ويشيّدها القرآن الكريم من خلال هذه الملحمه أنَّ هناك حججاً وبراهين تعلو حجّيه الحسّ، فليس للحسّ المرتبه الأولى وأنَّ ما يكون من حجج أخرى هى فى المراتب الدنيا، بل هناك جمله من الحجج والبراهين تفوق وتعلو الحسّ، فإذا أدَّت تلك الحجج إلى غير ما يؤدّى إليها الحسّ، فيجب أن يؤمن الفرد البشرى مؤمناً كان أو مسلماً بما تؤدّى إليه تلك الحجج، لا أنَّه يُنكر ويجحد ما تقوم به البراهين ذات الحجج الأعلى والمراتب الأعلى، كأن ينكرها

لأجل نوع من المشاغبه الحسّيه لتلك الحجج مثلاً، ولو نظر الإنسان وبصر إلى طرفى شارع ممتد طولاً إلى الأفق يرى الواقف فى الحقيقه أن طرفى الشارع وجنبتيه فى نهايه امتداده فى الأفق قد التقتا وكأنّما أصبح كالمثلث، ولكن هل العقل يصدّق هذه الصوره البصريه التى يلتقطها الحسّ؟ بالتأكيد لا يمكن أن يصدّقها العقل؛ وذلك لأنَّ البرهان قد قام لدى العقل على خلاف ما يتراءى فى الحسّ، فهذا لا يعنى أنَّ الحسّ لا يعوَّل عليه، لكن إذا قام البرهان الذى يفوق حجّيه الحسّ فإنَّه يعوّل على ذلك البرهان، فالتعويل على الحسّ محدود لا مطلق ولا منحصر فيه.

مثال آخر نضربه فى الحسّ: أنَّه لو مسك شخص شعله من النار وأدار تلك الشعله بقوّه، فماذا سيبصر الإنسان الناظر لذلك المحرّك والحامل للشعله، سيرى أنَّ الشعله من بعيد كحلقه ناريه، لكن هل العقل يصدّق أنَّ هناك حلقه ناريه؟ كلاَّ، لا يصدّقها العقل؛ لأنَّه يعلم بأنَّ هذه الشعله هى واحده كنقطه، لكن بسرعه دورانها تكون فى خلايا شبكيه العين والبصر بنحو تعاقبى صوراً متعدّده للنار فتلتئم فيتراءى فى خداع البصر لدى الإنسان أنَّ هناك حلقه ناريه. هذه ليست تشكيكات فى الحسّ تؤدّى إلى السفسطه، كلاَّ، فهذه الأمور ليست ظواهر ولا شواهد للطعن فى الحسّ مطلقاً، ولا إسقاط الحسّ عن المعرفه ومصدر المعرفه من رأس بالمرَّه، كلاَّ وليس الحال كذلك كما يقول السفسطائيون، وإنَّما هذه الظواهر وهذه البيانات من القرآن الكريم ومن تجربه عقل البشر تبيّن وتبرز أنَّ الحسّ ليس المصدر الوحيد للمعرفه، بل المعرفه البشريه فى الحقيقه لها مصادر ومنابع متعدّده أخرى، هذه حقيقه.

وحقيقه ثانيه هى أنَّ تلك المصادر للمعرفه قد تعلو الحسّ رتبةً، ولا توافق حجّيه الحسّ عندما تتصادم مؤدّيات ونتائج تلك الحجج مع

الحسّ فيعوَّل عليها دون الحسّ، وهذا درس عقائدى معرفى عظيم يكشفه القرآن الكريم فى ظاهره النبىّ عيسى وغيبته، وهو أنَّه قد وصلكم من سيّد الأنبياء وسيّد الأنام أنَّ خلفاءه اثنا عشر، وأنَّ الأرض لا تخلو من حجّه، وأنَّ الله عز وجل أخبركم أنَّه جاعل فى الأرض خليفه.

هناك بيّنات وبراهين عديده لدى اليهود والنصارى من التوراه ومن قول وإنباءات النبىّ موسى على أنَّ النبىّ عيسى هو الذى سيساهم فى دوله الإصلاح الشامل ومؤازره الإمام المهدى، وإنَّما يزعم اليهود أنَّ عيسى بن مريم كان يدَّعى ذلك المقام وأنَّه ليس هو النبىّ عيسى، فمن ثَمَّ برَّروا لأنفسهم الإقدام على قتله وصلبه واتّهموه بأنَّه ساحر كذّاب _ والعياذ بالله _ هكذا قذفوا النبىّ عيسى، وإلاَّ فهم متَّفقون مع النصارى بأنَّ الله سيظهره، فقد كان كل من اليهود والنصارى على إيمان بهذا الوعد الإلهى الذى قد تلقّوه على لسان النبىّ موسى، وأيضاً على لسان النبىّ عيسى بالنسبه للنصارى حيث يعتقدون بنبوّته، وكانوا هم على بيّنه ويقين من هذا الوحى الإلهى، فكيف يتركونه ويركنون إلى الحسّ، وإن كان أمام أعينهم كأنَّما النبىّ عيسى قتل وصلب، لكن كيف يستندون ويركنون إلى الحسّ ويتركون الوحى الذى هو فوقه؟ فهنا يعالج القرآن الكريم هذه الجدليه ويعالج هذه المجاذبه ويرسم هذه الموازنه الخطيره جدَّاً فى معركه المعرفه البشريه وفى المعركه الدينيه ويقدّمها عبره للمسلمين وللمؤمنين القارئين للقرآن الكريم، أنَّه إذا كانت لديكم هناك براهين من الوحى الإلهى على أمر ما عقدى واعتقادى فيجب أن تتمسَّكوا بمثل هذا البرهان الوحيانى، ومن غير الصحيح الركون إلى الحسّ ومشاغبات الحسّ التى تؤول نتيجه لزلزله الإيمان، وإنَّما يجب الاعتقاد بتلك البراهين الوحيانيه التى هى أقوى درجه.

من هنا احتدم الاختلاف فی أقوال المفسّرین من کلّ المذاهب الإسلامیّه حول تفسیر هذه الآیه: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ۱۵۷)، وما هو مراد القرآن الکریم؟ وما هی حکمه الله عز وجل فی إلقاء هذا التشبیه؟ فقد حاصوا وباصوا وتشتّتت وتکثّرت أقوالهم فی تفسیر هذه الآیه؟ وما هو تفسیر هذه الظاهره، بأن یلقی الله سبحانه وتعالی شَبَه النبیّ عیسی علی فرد آخر، وبالتالی یفنّد مزعمه الیهود والنصاری بقوله عز وجل: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَ ما قَتَلُوهُ یَقِیناً) ؟ فالقرآن الکریم یعبّر عن الرکون إلی الحسّ أنّه رکون إلی الظنّ فی مقابل یقین الحسّ، فکیف یمکن أن یکون ظنّاً ولا یکون یقیناً(۱)؟ هذه إضاءه هامّه

۱- (۱) من ذلک ما أورده الطبرسی فی تفسیره (مجمع البیان ۲۳۲ :۳ - ۲۳۵) بعد تفسیره لقوله تعالی: وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لکِنْ شُبِّهَ لَهُمْ، وبعد أن ذکر ما روی فی حادثه إلقاء الشبه والاختلاف فی کیفیه التشبیه، قال فی تفسیر قوله تعالی: وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِیهِ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ: (قیل: یعنی بذلک عامّتهم، لأنَّ علماءهم علموا أنَّه غیر مقتول، عن الجبائی. وقیل: أراد بذلک جماعه اختلفوا، فقال بعضهم: قتلناه، وقال بعضهم: لم نقتله. ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ أی: لم یکن لهم بمن قتلوه علم، لکنَّهم اتَّبعوا ظنّهم، فقتلوه ظنّاً منهم أنَّه عیسی، ولم یکن به، وإنَّما شکّوا فی ذلک، لأنَّهم عرفوا عدّه من فی البیت، فلمَّا دخلوا علیهم وفقدوا واحداً منهم التبس علیهم أمر عیسی، وقتلوا من قتلوه علی شکّ منهم فی أمر عیسی، هذا علی قول من قال: لم یتفرَّق أصحابه، حتَّی دخل علیهم الیهود. وأمَّا من قال: تفرَّق أصحابه عنه، فإنَّه یقول: کان اختلافهم فی أنَّ عیسی هل کان فیمن بقی، أو کان فیمن خرج، اشتبه الأمر علیهم. وقال الحسن: معناه فاختلفوا فی عیسی، فقالوا مرَّه: هو عبد الله، ومرَّه: هو ابن الله، ومرَّه: هو الله. وقال الزجّاج: معنی اختلاف النصاری فیه أنَّ منهم من ادّعی أنَّه إله لم یقتل، ومنهم من قال: قتل.-

شدیده فی القرآن الکریم لبیان أنَّ الاستناد إلی الحجّه الدنیا وترک الحجّه العلیا والرکون إلی مستند أضعف ومتارکه المستند الأقوی هو نوع من اتّباع الظنّ وترک الیقین، رغم أنَّه فی حدّ نفسه ذو درجه محدوده من الیقین، ولکن هناک ما هو أشدّ درجه وأوسع فی الیقین وهی المستندات الفطریه والعقلیه والوحیانیه الشرعیه، فمتارکه تلک المستندات والحجج الأقوی والانتقال إلی ما هو دونها یعتبر اتّباعاً للظنّ؛ لأنَّه دائماً حیطه المستند والحجّیه الأدنی هی دون حیطه ودائره وهیمنه

ص:۲۸۸

وقدره المستند الأعلى، وإلّا فترتيب المستندات والحجج والبراهين كما مرَّ بنا منتظمه والمغزى فيها أنَّ الحجج والبراهين حيطتها محدوده، ودائرتها ليست واسعه، وقدره الإبصار والاستكشاف بها والاستطلاع بها محدوده، فلا تجعلوه غير محدود، ولا تغالوا فى الحسّ، وليست هذه دعوه من القرآن بالتفريط بالحسّ، ولكن لا تعطوا الحسّ فوق قدره ولا فوق شأوه. فالحسّ له درجات محدوده ومنظار يمكن النظر به إلى بقعه محدوده، وإذا أردتم أن تنظروا بمنظار إلى بقاع أوسع وحدود أشمل فعليكم الاستناد إلى حجج أخرى أعلى شأناً، كالأمور الفطريه فى الإنسان، وكالرجوع إلى معرفه نفسه، وكالرجوع إلى البراهين والحجج الوحيانيه، فالإنسان المؤمن الموحّد يؤمن بالله، مع أنَّ الإيمان بالله، وكثيراً من المعارف ليس فى متناول آليه الحسّ ولا قدره الحسّ ولا محدوده الحسّ، ومع ذلك يشير القرآن الكريم كما مرَّ فى سوره البقره: (ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقره: ٢)، أوّل صفه بارزه فيهم هو الإيمان بالغيب، والقرآن كتاب هدايه لمن يؤسّس المعرفه لديه، لا على أساس الحصر فى الحسّ، فإذا أريد أن يؤسّس العقل الإسلامى، وهيكل العقل الإسلامى ونظامه على الحسّ حينئذٍ سوف تنحسر آفاق فى المعرفه كثيره، فالإنسان العارف والإنسان الواعد هو الذى يستند إلى العلم، فمن مدائح القرآن العظيم هى المدائح العلميه، والإنسان قد يمدح بصفات علميه، ويمدح بفضائل علميه. ومن مدائح القرآن العظيم الكبيره للمتّقين الذين يستطيعون أن ينهلوا من هدى الكتاب، فى أوّل مطلع سوره البقره، أوّل صفه بارزه علميه أنَّهم: (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) ، يعنى

أنَّهم لا يجعلون تمام مستند معرفتهم ولا يحصرون حصراً حكرياً منبع معرفتهم فى الحسّ، فالإنسان الذى يقبع فى سجن الحسّ هو دون البهيمه؛ لأنَّنا نرى فى الحيوانات بعض الصفات التى تدلُّ على أنَّها تشعر بكثير من ما وراء الحسّ، كما فى بعض الحالات التى رصدت فى علم الأحياء. فالمقصود أنَّ أبرز صفه فى تكامل الإنسان هو الإيمان بالغيب، أى إنَّ منبع المعرفه أصلاً، والأجهزه التى زوّد بها الإنسان تكويناً فى ذاته هى فى الواقع تتخطّى الحسّ، فكيف يسجن الإنسان نفسه فى الحسّ ويقبع فيه مع أنَّه مصدر كأحد المصادر للمعرفه وليس هذا محلّ طعن من الآيات الكريمه فى ذلك، وإنَّما المراد أنَّه ليس من الصحيح إعطاء الحسّ فوق دوره وفوق درجته، فإذا أراد الإنسان أن يوسّع دائره إدراكه ودائره إطلاعه يجب أن يتزوَّد بآليات أقوى من الحسّ، كالروح، القلب، الضمير، الوجدان، فيدرك العقل ما لا يدرك الحسّ، والآن فى العلوم التجربيه الحديثه يدركون أشياء لا يدركها الحسّ، فالذرّه مثلاً- إلى الآن ورغم وجود الانشطار النووى والمفاعل النووى والدمج النووى إلاَّ- أنَّ علماء الذرّه والبحوث النوويه يعترفون أنَّهم لم يتوصَّلوا إلى إدراك الذرّه ونواه الذرّه بأجهزه حسّيه كالميكروسكوب أو المجاهر المتطوّره، وإنَّما يتعاطون مع الذرّه من خلال آثارها وتداعياتها ونتائجها، ولم يستطع الإنسان أن يبصر الذرّه بالحسّ، فكيف وصل إلى استثمار هذه النتائج الكبيره من البحوث النوويه العلميه؟ أليس ذلك كان بإدراك عقله حيث يرى آثاراً وتداعيات يستنتج العقل بها أنَّ هناك شيئاً. كذلك نجد كثيراً من بحوث الطاقه وكثيراً من بحوث البيئه وبحوث الطبيعه حتَّى

الماديه لا تكون متناولاً ليد وقدره الحسّ وآليه الحسّ وإنَّما هى متناول لآله العقل.

فمن الظلم أن يجعل الإنسان الحسّ هو الأمير والكبير والرئيس فى مصدر المعرفه، وإنَّما الحسّ خادم من خدم مَلِك المعرفه، والعقل له درجات من الوجدان والقلب والروح، فهنا نجد القرآن الكريم يؤكّد على هذه الظاهره، وهى أنَّ الاستناد إلى الحسّ كمصدر أصلى ومركزى وعمومى للمعرفه يؤدّى إلى الغوايه والضلال، ومن ثَمَّ يعيب على النصارى واليهود أنَّهم رغم وجود المعاجز والبراهين الوحيانيه لديهم على لسان النبىّ موسى ولسان النبىّ عيسى بأنَّ النبىّ عيسى سوف يبقى ويشارك فى دوله الإصلاح ويبقيه الله حيّاً ويدَّخره لذلك، رغم كلّ هذه البراهين والمعاجز الوحيانيه استندوا إلى الحسّ، وقالوا بأنَّ الذى قُتل فى صوره النبىّ عيسى هو الذى قُتل، ولم يحتملوا أنَّ الحسّ يمكن أن يشتبه فيه، وأنَّه إذا جُعلت المحوريه للحسّ فسوف يدبُّ التشكيك فيه وسوف يعطى حجماً أكبر من حجمه، بخلاف ما لو جعل العقل مهيمناً عليه واستند العقل إلى براهين بيّنه.

وقد رصد العلماء ما يقارب من أربعمائه أو خمسمائه مورداً للحسّ يخطئ فيه ويصحّح له العقل، وليس هذا تهاوناً أو استهانه بالحسّ، وليس هذا تشكيكاً بالحسّ، ففرق بين المنهج السفسطى والمنهج الإيمانى، والمنهج العقلانى، فالمنهج السفسطى يريد أن ينسب الحسّ إليه، أمَّا المنهج العقلانى والمنهج القرآنى فيريد أن يعطى الحسّ مساحه محدوده. والصحيح أن لا يغالى فيه ولا أن يفرط فيه، فالجادّه الوسطى هى الاعتدال، الحسّ له قيمته لكن بقدره الذى لا يجعل من الحس ملك المعرفه، وإلاَّ سوف يؤدّى به إلى إنكار نتائج هى فوق

طاقته وقدرته، وهذا ما لا يستطيع حتّى علماء العلوم الحديثه التجريبيه الركون إليه، لأنَّ كثيراً من النتائج التى يتوصَّلون إليها ويبنون عليها بعض النظريات ليست فى متناول يد الحسّ، وإنَّما هى فى متناول يد العقل والاستنتاج العقلى.

فهناك وسطيه، وهى أنَّ الحسّ لا يفرّط فيه كالسفسطه حيث تنسفه نسفاً، ولا يغالى فيه، بل يعطى درجته ويعطى للعقل هيمنه فوقه، وللروح وللوجدان وللعيان الغيبى والإعجازى الذى يدركه الإنسان بتوسّط أجهزه يزوّد بها الإنسان بذاته تكويناً وخلقه، وهذا يحلُّ المشكله حينئذٍ، فأحد الإشكالات التى يترنَّم بها الكثيرون الجاحدون للعقيده بالإمام المهدى وحياته وغيبته أنَّه لِمَ لا يرى؟ وكيف لا يرى وهو إمام؟ وكيف؟ وكيف؟ كلّها استناد إلى الحسّ، وأمَّا إذا قامت لديك البراهين من القرآن الكريم على أنَّ إمامه أهل البيت باقيه، وأنَّ للقرآن عِدلاً وشريكاً أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما: (إنّى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، فإنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا علىَّ الحوض)(1)، يعلمون كلّ تأويل الكتاب، وإلاَّ لكان بعض الكتاب معطَّلاً، وحاشا للقرآن أن ينزل ويكون معطَّلاً.

وهناك آيات وبيّنات عديده تبيّن استمرار بقاء العتره النبويه، وكذلك آيات الإمامه فى ذرّيه إسماعيل ـ وقد مرَّ استعراضها ـ دالّه على بقاء الإمامه فى عتره النبىّ صلى الله عليه وآله وبقاء إمامتهم، فكيف يتَّجه الإنسان إلى مشاغبات الحسّ وينكر ويجحد عقيده قرآنيه أصيله وهى بقاء العتره قرينه وعدلاً للقرآن الكريم ومفسّره لتأويل الكتاب.

القرآن لا يفتأ يؤكّد على أنَّ الذى لا ينتظم إليه المخروط الهرمى لنظام

۱- (۱) أنظر: كمال الدين: ۲۴۰/ باب ۲۲/ ح ۶۱؛ مسند أحمد ۱۴ :۳.

المعرفه، سوف تأخذه دلالات بعض المصادر فی المعرفه یمیناً وشـمالاً، وتأخذه فی سوح التیه وبحار الظُلمه، وأنَّه لا بدَّ أن یکون نظام المعرفه لـدی الإنسان أو لـدی المؤمن رتیباً منتظماً منظومیاً، لـذلک یخطّئ القرآن الکریم هنا ویضـلّل الیهود والنصاری فی استنادهم للحسّ ومتارکتهم للبیّنات السابقه، وقد مرَّ بنا أنَّ الیهود لا زالت تعتقد أنَّه سوف یظهر النبیّ عیسی، وأنَّ الذی ادّعی أنَّه النبیّ عیسی فی السابق هو ساحر کذّاب دجّال والعیاذ بالله، هکذا یقذفون النبیّ عیسی، مع أنَّ لدیهم البشائر الوحیانیه الإلهیه ببقاء النبیّ عیسی باعتباره مشارکاً مهمّاً وکبیراً فی دوله الإصلاح للإمام المهدی علیه السلام، کما نقل عن بعض نصوص الإنجیل التی فیها البشائر بخلق الله اثنی عشـر عظیماً من سـلاله إسـماعیل، ویکون علیهم سیّدٌ وهو سیّد الأنبیاء محمّد صلی الله علیه وآله وسلم وشـریعته لأرجاء الأرض کافّه، فالخلاصه أنَّهم لدیهم بشارات متعدّده وبیّنات وحی، وکیف تترک ویعرض عن بیّنات الوحی إذا کانت بیّنه وبرهانیه وإعجازیه مع مسـرح حسّـی قد تدخل فی الالتباس أو قد یدخل فی الستار أو قد یسدل علیه بشیء من الإبهام والهلامیه، کما نری المشاهد الحسّـیه البعیده جدَّاً کأنَّها صـغیره، کالمجرّات العظیمه تُری صغیره الحجم، فهل هی فی الواقع بهذا الحجم الصـغیر؟ کلَّا هذه فی الواقع معطیات الحسّ، فإذا أراد الإنسان أن یستنتج ویقصر استنتاجه علیها، ولیس علی بصیره العقل ومحاسبه المعادلات الریاضیه والهندسیه فسوف یخطئ حینئذٍ فی النتیجه.

إذن لا یمکن الرکون والاتّکال علی معطیات الحسّ بما هی، لأنَّ هذه المعطیات لها أفق معیَّن هو بالنسـبه إلی أفق معرفه الإنسان یعتبر أفقاً قزمیاً؛ لأنَّ أفق معرفه الإنسان ذو شموخ علیاوی، وله منابع أکثر ثروه فی

مصدر المعرفه، فالذى يريد أن يؤكّده القرآن الكريم، هو أنَّ الالتباسات الحسّيه لا توجب زعزعه إيمانكم بحجّه الله وببقائه وبادّخاره وبحياته.

إذن فى هذا المقطع وهذا المحور من ظاهره النبىّ عيسى يشدّد القرآن من نكيره وتخطئته وتضليله لمقاله اليهود والنصارى فى تصفيته وإبادته؛ لاستنادهم إلى الحسّ، مع أنَّه قد تبيَّنت لهم معطيات حياتيه وعقلانيه من معاجز النبىّ عيسى، ومعاجز النبىّ موسى أنَّه سوف يدَّخره الله حيّاً باقياً لدوله الإصلاح، فكيف يستندون إلى حسّ قابل للتأويل العقلى، وهذا ليس من تلاعب العقل بالحسّ، بل هذا من ترشيد العقل للحسّ، وكما ذكرنا أنَّ المجرّات تُرى من بعيد كأنَّها صغيره، فلا بدَّ أن تعطى تفسيراً عقلياً رياضياً يدلّل بأنَّها ليست من الصغر كما يشاهدها الإنسان حسّاً، وإنَّما هذا الحسّ يحكم لدى الإنسان، ولكن بسبب تفسير العقل وترشيد العقل لمعطيات الحسّ هنا تصبح المعلومات أدقّ تفسيراً. يريد القرآن الكريم أن يؤكّد لنا على ابتلائنا بمحنه وعقيده تستمرّ قروناً، ألا وهى بقاء رجل من العتره صاحب القرآن وقرين القرآن وعدل القرآن، كلّ هذه البينات الكثيره التى لسنا بصدد التفصيل فيها عندما يلتقى بها المسلم، نشاهد كثيراً من كبار أصحاب الأسماء اللامعه من المذاهب الإسلاميّه الأخرى ذوى الكتابات العريضه الطويله يشكّك فى مثل هذه المصادر الوحيانيه والبيّنات العقليه بسبب التباس حسّى لديه كابن خلدون، وتنظر صاحب كتاب (تاريخ الإسلام) وغيره يقولون: إنَّ ابن الحسن العسكرى قد قتل أو عدم. وأنَّه قد داهمت جلاوزه بنى العبّاس بيت الإمام الحسن العسكرى وصفّوا من فيه، وكان الإمام الحسن العسكرى تحت المراقبه الشديده من السلطه العبّاسيه، فكيف يمكن أن يفرّ منهم ابن الإمام الحسن العسكرى؟ وكيف يمكن أن يبقى سالماً؟ وكيف يمكن أن يكون هو المهدى؟ فلا بدَّ أن ننساق مع ما أشيع آنذاك من

الدوله العبّاسيه أنَّهم قد صفّوا ابن الإمام الحسن العسكرى وكبسوه فى البيت وأعدموه واغتالوه، وهل يمكن أن يفلت إنسان من هذه المراقبه الشديده التى تقيمها دوله عظمى تمثّل أكبر دوله عظمى آنذاك والتى تساوى مساحتها مساحه أربعين أو خمسين دوله الآن، والحال أنَّ الإمام الحسن العسكرى كان مسجوناً عسكرياً تحت قبضه بنى العبّاس، وكذلك أبوه الإمام الهادى، تحسّباً من تولّد ابنهم الموعود بأن يكون مهدى هذه الأمّه وعلى يده ينتشر القسط والعدل، فترى ابن خلدون يقول عبارته التى قرأناها فيصف أتباع مدرسه أهل البيت ـ وإن كان الوصف فى الحقيقه لائق به لا بهم ـ بقوله: (وهؤلاء من الجهل بحيث ينتظرون من يقطع بموته)(1)، هكذا يبرز لديه القطع المستند إلى مثل هذه العناصر الحسّيه، هذا هو الذى يخطّئه، فبيّنات إمامه أهل البيت عليهم السلام فى القرآن الكريم كثيره، وزعزعه التمسّك بهذه البيّنات والتنكّر لهذه البيّنات الوحيانيه فى الأحاديث النبويه المتواتره مقابل دعوه حسّيه رصدها المؤرّخون أو رصدتها الدوله العبّاسيه

۱- (۱) يقول ابن خلدون فى تاريخه (ج ۴/ ص ۲۹ و ۳۰): (ويزعمون (أى الشيعه) أنَّ الإمام بعده (أى: الإمام على الهادى) ابنه الحسن ويلقَّب: العسكرى؛ لأنَّه ولد بسُرَّ من رأى، وكانت تسمّى العسكر، وحبس بها بعد أبيه، إلى أن هلك سنه ستّين ومائتين ودفن إلى جنب أبيه فى المشهد، وترك حملاً ولد منه ابنه محمّد، فاعتقل ويقال: دخل مع امّه فى السرداب بدار أبيه وفقد، فزعمت شيعتهم أنَّه الإمام بعد أبيه ولقَّبوه: المهدى والحجّه، وزعموا أنَّه حىّ لم يمت، وهم الآن ينتظرونه ووقفوا عند هذا الانتظار، وهو الثانى عشر من ولد على، ولذلك سمّيت شيعته الاثنى عشريه، وهذا المذهب فى المدينه والكرخ والشام والعراق، وهم حتَّى الآن على ما بلغنا يصلّون المغرب، فإذا قضوا الصلاه قدَّموا مركباً إلى دار السرداب بجهازه وحليته ونادوا بأصوات متوسّطه: أيّها الإمام اخرج إلينا فإنَّ الناس منتظرون والخلق حائرون والظلم عامّ والحقّ مفقود فاخرج إلينا، فتقرّب الرحمه من الله فى آثارك، ويكرّرون ذلك إلى أن تبدوا النجوم، ثمّ ينصرفون إلى الليله القابله، هكذا دأبهم، وهؤلاء من الجهل بحيث ينتظرون من يقطع بموته مع طول الأمد، لكن التعصّب حملهم على ذلك، وربَّما يحتجّون لذلك بقصَّه الخضر، والأخرى أيضاً باطله، والصحيح أنَّ الخضر قد مات!!).

بأنَّها كبست بيت الإمام الحسن العسكرى وصفَّت من فيه وقتلت إحدى جوارى الإمام الحسن العسكرى التى كانت حاملاً وأسقطت الحمل أو أعدم أو غير ذلك، هذه ملحمه فى الحقيقه، فإذا استندنا إلى الحسّ وركنّا إليه ونبذنا آيات الكتاب فى القرآن الكريم ونبذنا الأحاديث النبويه سنكون قد وقعنا فيما قد وقع فيه نفس اليهود والنصارى الذين ضلَّلهم القرآن الكريم فى هذا الفعل الخاطئ، حيث استندوا فى المعرفه إلى الحسّ الملتبس وتركوا بيّنات الوحى، وتركوا بيّنات العقل وتركوا بيّنات الفطره، وتركوا منابع المعرفه والعقيده والإيمان، وهذه طامّه كبرى، وكان أحدهم يقول: إنَّ اعتقادى بالإمام المهدى لا بدَّ أن يكون مستنداً إلى الحسّ، فإن لم يكن هناك أىّ معطيه حسّيه ــ مع أنَّها موجوده بحمد الله فيما روته الإماميّه من مدرسه أهل البيت من بيّنات كثيره على ولادته حسّياً واختفائه عليه السلام وما شابه ذلك ــ ولكنَّنا نجارى هذا القائل حيث يقول: إن لم تتكوَّن لدى معطيات حسّيه فلا أؤمن به!، أنظر لهذه المقاله التى يفنّدها القرآن أشدّ تفنيداً، إنَّ المستند للإيمان والمعرفه بحجج الله وبقائهم هؤلاء المدَّخرون للإصلاح فى الوعد الإلهى يجب أن لا يكون حبيس الحسّ.

الأدلّه والمعطيات الحسّيه فى ولاده الإمام المهدى عليه السلام:

الكثير من التساؤلات بأقلام الكتّاب السابقين واللاحقين من الكتّاب الإسلاميّين يرفعون هذا الاعتراض، وهو: لماذا لا يكون فى الإيمان والاعتقاد بالإمام المهدى عليه السلام معطيه حسّيه؟ إنَّ المعطيه الحسّيه موجوده فيما تناقلته وروته الإماميّه من أتباع مدرسه أهل البيت فى ظلّ الظروف القاهره الأمنيه الكابسه الخانقه من دوله بنى العبّاس، وهذا بيّن لدى كلّ المسلمين، أنَّ الدوله العبّاسيه استقدمت الإمام الهادى والإمام الحسن العسكرى من المدينه المنوَّره،

وأقامت عليهما رقابه عسكريه حتَّى فى بيتهما عليهما السلام، وفى بعض الأخبار الروائيه والتاريخيه التى يروونها أنَّ عشره من جلاوزه وعلماء بلاط بنى العبّاس كانوا يمكثون فى بيت الإمام الحسن العسكرى للرقابه، إلى هذا الحدّ كان هناك استنفار أمنى بدرجه قصوى لدى الدوله العبّاسيه تجاه الإمام الحسن العسكرى وتجاه الإمام الهادى، خمداً لأنفاس الإمامه حسب ما يتوهَّمون لإطفاء نور إمامه أهل البيت عليهم السلام، وتحسّباً من مجىء ولدهم الثانى عشر الموعود بأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ضمن هذه الظروف القاهره الخانقه الكابسه الظالمه لدوله عظيمه آنذاك، يقول: لِمَ لا تبدى لى مسحه حسّيه ورديه؟! وكأنَّما هو يتنكَّر إلى المعطيات الموجوده التى أجمعت عليها البشريه والمسلمون آنذاك فى ذلك الظرف التاريخى الخانق، ورغم ذلك هناك معطيات حسّيه كثيره، لكن كيف يسوغ لمسلم يقرأ القرآن الكريم ويهتدى ويسترشد من القرآن الكريم أن يجعل من الحسّ المحور الأوّل والأخير ويترك الدلائل الوحيانيه البرهانيه الأخرى، وهذا القرآن يفنّد اليهود والنصارى ويضلّلهم ويسلب عنهم الإيمان بسبب أنَّهم جعلوا الحسّ مصدراً لمعرفتهم واعتقادهم وإنكارهم لبقاء حياه النبىّ عيسى، وأنَّه صفّى وقتل وأعدم وأبيد، وكان ذلك نتيجه للركون إلى الحسّ، والقرآن الكريم يقول: أتتكم البيّنات فى التوراه والإنجيل، وها هى فى القرآن الكريم البيّنات الوحيانيه التى هى أرفع شأناً ودرجةً وحجّيةً وبياناً ونوراً وهدىً من ضآله مستوى الحسّ، فالقرآن الكريم ـ كما مرَّ بنا ـ دائماً يشدّد النكير على حصر الاستناد إلى هذا المنهج المعرفى الخاطئ، بأن يستند الإنسان إلى

مصـدر معرفی نازل ویجعل منه المحور الأوّل ویترک مصادر المعرفه العالیه، رغم کلّ ذلک فیأتی فی مثل هـذا القرن وفی قرون عدیـده أخری من الکتّاب الإسـلامیّین من یقول: أین المعطیات الحسّـیه؟!، وهـذا القرآن ینادی بأنَّ الحسّ لیس هو کلّ المصدر للمعرفه، وهلاَّ ـ قال: أین البیّنات من القرآن؟ أو أین البیّنات من الأحادیث النبویه؟ فربَّما یکف عن الترنّم واللهـج بهـذا الإشـکال، لأنَّه یری فی الآیات القرآنیه وفی الأحادیث النبویه بیّنات ساطعه ناصـعه نیّره هادیه إلی هـذه العقیـده الشـریفه، لکنَّه أخذته العزّه بالإـثم فیقول: ومن أحالک علی غائب لم ینصـفک، فکیف بمن أحالک علی مسـتحیل(۱)؟! وهـذا القرآن الکریم ینبئنا عن أنَّ عمر النبیّ نوح زاد علی الأـلف؛ لأـنَّ دعوته کانت تقلُّ عن ألف سـنه إلاَّ قلیلاً، أمَّا حیاته فأکثر من ذلک، وها هو القرآن الکریم ینبئنا عن حیاه النبیّ عیسـی وبقائه عند الله عز وجل ونزوله للمشارکه والإسـهام فی دوله الإصلاح الشامله فی الکره الأرضیه، ومع ذلک تری التشرنق بشرنقات حسّیه ملبوسه یجعل منها الرکن

۱- (۱) قال الذهبی فی کتابه (سیر أعلام النبلاء ۱۱۹ :۱۳ و ۱۲۰) تحت عنوان: المنتظر: الشـریف، أبو القاسم، محمّد بن الحسن العسکری بن علی الهادی بن محمّد الجواد بن علی الرضی بن موسی الکاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن زین العابدین بن علی بن الحسین الشهید بن الإمام علی بن أبی طالب، العلوی الحسینی. خاتمه الاثنی عشر سیّد الذین تدّعی الإمامیّه عصمتهم - ولا عصـمه إلاَّ لنبیّ - ومحمّـد هـذا هو الذی یزعمون أنَّه الخلف الحجّه، وأنَّه صاحب الزمان، وأنَّه صاحب السـرداب بسامراء، وأنَّه حیّ لاـ یموت، حتَّی یخرج فیملأـ الأـرض عـدلاً وقسـطاً، کما ملئت ظلماً وجورًا. فوددنا ذلک - والله - وهم فی انتظاره من أربع مئه وسـبعین سـنه، ومن أحالک علی غائب لم ینصـفک، فکیف بمن أحال علی مسـتحیل؟! والإنصاف عزیز. فنعوذ بالله من الجهل والهوی. (هذا نصّ کلامه).

الأصيل لمنبع العقيده، لو أتونا وناقشونا فى الأحاديث النبويه الدالّه، ولو أتونا وناقشونا فى الأحاديث المتواتره، أو فى البيّنات القرآنيه على ذلك، لكنّا نعمل به، أمّا أن يتشدَّقوا ويتشرنقوا من خلال لفيف حسّى محبوس، فهذا هو الذى يخطّئه القرآن الكريم، إذ يقول: (وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِنْهُ) ، هذا اختلاف جارٍ فى الأمّه الآن، كالذى حصل من اختلاف فى حياه النبىّ عيسى وظهوره وامتداد عمره، إذ هو مثل ضربه الله فى القرآن للمهدى من آل محمّد ليكون لنا عظه وعبره، ومنهجيه معرفيه سطَّرها لنا لكى نحتذى ونتربّى عليها، فلماذا ننبذ القرآن وراء ظهورنا، فتعالوا بنا نستمسك بالرؤيه المنهجيه المعرفيه التى يرسمها القرآن الكريم لهيكله العقل الإسلامى، فلا يمكن أن نقزّم العقل الإسلامى والعقل البشرى فى الإدراك الحسّى وملابساته وهيولاه الهلاميه المحدوده، أبداً، بل لا بدَّ أن ننطلق إلى مصادر معرفيه كثيره، ترى كثيراً من نقاشاتهم ـ وقد جمعت ـ فى كثير من المصادر تستند إلى وسوسات الحسّ ومصادر حسّيه من القتل والإعدام والتصفيه، وأنَّ الدوله العبّاسيه كانوا فى حصار آبائه وأجداده، فكيف إذن يتمكَّن من التخلّص والتملّص منهم؟! وما شابه ذلك من هذه الإشكالات التى ينبغى للمسلم أن ينأى عن البناء والتبنّى والاستمساك بها.

فأحدهم يرى أنَّ الاعتقاد بالنبىّ عيسى وحياته وأنَّه سوف ينزل ويظهره الله بعد هذا الأمد الطويل من تغييبه وبقاء حياته لإنجاء البشريه ما هو إلاَّ تخديراً!، وهذه المقاله ليست حديثه، بل يتردَّد ويتشدَّق بها الكثير فى الكتب القديمه فى قبال العقيده بالإمام المهدى، مع أنَّ هذا الارتباط والعقيده بحياه وبقاء النبىّ عيسى ونزوله وظهوره لمسانده الإمام المهدى

هو برهان قرآنی قویم، وهناک تقارن لهاتین العقیدتین اللتین هما عقیدتان قرآنیتان، بل هما عقیده واحده، ومع کلّ ذلک یذهب إلی أنَّ الاعتقاد بحیاه النبیّ عیسی وظهوره مخدّر، ویقول بموته ویستدلّ علیه بقوله تعالی: (وَ مَکَرُوا وَ مَکَرَ اللّهُ وَ اللّهُ خَیْرُ الْماکِرِینَ*إِذْ قالَ اللّهُ یا عِیسی إِنِّی مُتَوَفِّیکَ) (آل عمران: ۵۴ و۵۵)، فقد توفّاه الله ومات، ولا تقع نجاه البشریه علی یده ویدالإمام المهدی فی دوله الإصلاح الشامل، بل یجب أن لا نخدّر عزائمنا وهممنا وطاقاتنا وتفکیرنا بمثل هذه العقائد، هذا القائل یرید أن یجحد وینکر هذه العقیده تحت ذریعه أنَّها عقیده مخدّره عن الحیویه والحرکه والنشاط والفعالیه، وأنَّ الاعتقاد بأنَّ النبیّ عیسی حیّ لیس له أصل، مع أنَّ کلمه (مُتَوَفِّیکَ) لیست بمعنی وفاه الموت؛ لأنَّ القرآن الکریم کما مرَّ بنا یستعمل الوفاه سواء فی الحاله المناميه أو فی حاله الموت المعهوده: (اللّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها وَ الَّتِی لَمْ تَمُتْ فِی مَنامِها) (الزمر: ۴۲)، فیطلق علیه التوفّی، فهذا التوفّی هو نوع من حاله منامیه، باعتبار عروج النبیّ عیسی فی الفضاء یلازم نوعاً من الإرباک البدنی أو الفسیلوجی، فحیطه من الله للنبیّ عیسی جعلت له مثل حاله منامیه أو حاله المثالیه التی هی قریبه من حاله الموت، إلی أن رفعه إلیه، وهو عند الله باقٍ، هذا القرآن الکریم یعدنا: (وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ إِلاّ لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیداً) (النساء: ۱۵۹)، یعنی أنَّ القرآن الکریم یعد بظهور ونزول النبیّ عیسی، وکذلک فی سوره الزخرف: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْیَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُکَ مِنْهُ یَصِدُّونَ ...)، إلی أن تقول الآیات: (وَ إِنَّهُ) ، یعنی ابن مریم النبیّ عیسی علیه السلام، (لَعِلْمٌ لِلسّاعَهِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ) (الزخرف: ۶۱ ـ ۵۷)، فجعل نزول النبیّ

عیسی علماً للساعه، وهذه أحادیث الفریقین المتواتره فی ذلک، وهذه الآیات المتعدّده الدالّه علی ذلک، وهذه عقیده أصیله فی القرآن الکریم وفی الأحادیث النبویه، بل وفی التوراه والإنجیل أیضاً.

فهذا التنکّر والجحود لهذه العقیده من هذا القائل، وهذه المقاله کما مرَّ مذکوره فی کتب قدیمه عدیده، نظراً لما وجدوه من الصله الوطیده الوثیقه بین الاعتقاد بحیاه النبیّ عیسی وظهوره باعتباره مصلحاً معدّاً ومدَّخراً من قبل الله تعالی مع العقیده بحیاه الإمام المهدی وبقائه وخفائه وإعداده الإلهی لیکون مصلحاً فی نهایه المطاف للبشریه، وإن کان هو یمارس دوره إلی الآن فی ظلّ الخفاء والسرّیه، وأمَّا إشکالیه الخمود أو إشکالیه التخدیر والخدر والتسویف الذی ربَّما ینتاب الأمّه نتیجه الاعتقاد بهذه العقیده، فهذا توهّم بارد، وهذا مقال کاسد؛ لأنَّ هذه العقیده لیست هی مصدراً ومبعثاً للخمود، بالعکس فهی منطلق ومنشأ للحرکه والحیویه ولبقاء الأمل، وعدم الیأس وعدم الإحباط، وأن یکون الإنسان دوماً فی ضخ أمل رحب واسع الأفق ینطلق فیه؛ لأنَّ المنهج فی سُنّه الله فی الإصلاح لا علی الجبر ولا علی التفویض، والسرّ والحکمه الإلهیه فی جعل سنن التغییر الاجتماعی والإصلاح الاجتماعی فی الأمر بین الأمرین؟ لأنَّه لو کانت جبریه أوجبت التخدیر والخمود، وأنَّ الله هو الذی یفعل کلّ شیء، وبالتالی لیست هناک مسؤولیه ملقاه علی عاتق الأمّه لتقوم بدورها فی الإصلاح والإعداد للإصلاح العالمی الشامل الإلهی، وإن کان تفویضاً فسوف یسبب الجمود والخدر والإحباط، لأنَّه إذا کانت المعطیات هی بمقدار ما هو موجود فی أیدی البشر والمجتمعات البشریه، فإذا تغلَّب الظالمون وتغلَّبت تلک الأنظمه الجائره

والرأسماليه والإقطاعيه وتغلَّبت قوى الشرّ، ولم يكن هناك من منفّس فالمفروض أنَّه ليس بيد الله أى إسهام ـ والعياذ بالله ـ فلو افترضنا هذه المقاله، فالتفويض أيضاً سوف يسبب انقطاع الأمل والإحباط، وهذا على خلاف القول بأنَّه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، هذه ديناميكيه محرّكه حيويه دائماً للقيام بالمسؤوليه، ولعدم التخاذل وعدم التهرّب من ساحه المسؤوليه وساحه الحدث.

فالاعتقاد بعقيده الإمام المهدى وعقيده النبىّ عيسى وأنَّهما حيّان فى قدره الله، وأنَّهما معدّان ومدَّخران للإصلاح الإلهى العامّ الشامل الكبير، هذا الطابع وهذا المجال فى الحقيقه لا يدعو إلى التخدير، وإنَّما يكون مبعثاً للأمر ومنطلقاً لفسح رحب الأفق، وبالتالى يكون هناك نوع من الدور المتزاوج البشرى والإلهى فى إعطاء مسار التغيير يد إسهام فيه، فلا تفويض ولا جبر وهذه هى نظريه وعقيده مدرسه أهل البيت، ليست فقط فى الفعل الفردى، بل حتَّى فى الفعل الاجتماعى كما مرَّ أنَّ الإصلاح لا يرسمه القرآن الكريم أو ترسمه الأحاديث النبويه، أو ترسمه الكتب السماويه بأنَّه نحو إلجاء وإكراه من الله وب- (كُنْ فَيَكُونُ) ، فليس من سنن الله ذلك، بل سنن الله أنَّه أمر بين أمرين، إسهام من السماء، وإسهام بشرى أيضاً فى الإصلاح البشرى، وليس تفويضاً يوكل إلى البشر لكى يحبط أو ييأس عند عجزهم؛ لأنَّه لا معين ولا ناصر لهم، ولا هو إلجاء. إذن هذه الحاله الحيويه الناشطه وهذه الحاله المتحرّكه باعثه دائماً النشاط وعدم اليأس وعدم الاغترار بعجز النفس أو عجز البشر، بل هى أمر بين أمرين، فالحيويه إذن كامنه فى الاعتقاد بعقيده الإمام المهدى وظاهره النبىّ عيسى عليهما السلام.

المحطّه الخامسه: الهجره عن الفساد:

بعد ذلك يواصل لنا القرآن الكريم محطّه مهمّه فى ظاهره النبىّ عيسى، وهى الظاهره السادسه، وهذه المحطّه ربَّما نقتصر بجعلها الأخيره فى ظاهره النبىّ عيسى عليه السلام، وإن كانت هناك محطّات عديده يمكن للباحث والمحقّق والمتدبّر أن يجدها فى ظاهره النبىّ عيسى وهى محطّات أخرى لها اتّصال وثيق بالعقيده بالإمام المهدى وحياته وظهوره ودوله الإصلاح الشامل، ولكن نقتضب الحديث ونقتصر على ما تقدَّم، وما نذكره من هذه المحطّه الأخيره التى تتناولها الآيه الكريمه: (بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء: ١٥٨)، هذه المحطّه تفتح علينا ظاهره سابعه مشتركه فى جميع الأنبياء، وسوف نقوم بالخوض فيها.

وهى ظاهره الهجره عن المجتمعات الفاسده، والغياب الحسّى عنها.

قال تعالى: (بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) .

هذه السُنّه التى تتعرَّض إلى بيانها الآيه الكريمه من رفع النبىّ عيسى فى آيه أخرى: (وَ رافِعُكَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (آل عمران: ٥٥)، هنا تبيّن الآيه حكمه رفع النبىّ عيسى وإبقائه على قيد الحياه إلى أن يحلّ أوان الظهور والنزول والإصلاح الشامل، وهو تطهير الله لأنبيائه ورسله وخلفائه الأئمّه عن التلوّث بالبيئه الفاسده الظالمه المنحرفه، فالسرّ والسبب الكبير المبيَّن فى القرآن الكريم لغيبه النبىّ عيسى هو أن لا يتلوَّث بدرن النظام الاجتماعى الظالم الكافر، وهنا يبيّن القرآن الكريم بأنَّ الشخص فى السُنّه الإلهيه الذى هو حجّه من حجج الله والموعود بأن يقوم بالإصلاح الشامل لا ينصاع ويتكبَّل ويتقيَّد بأغلال وأدران النظام الظالم؛ لأنَّ هذا التكبل بهذه القيود وهذا الانحباس فى ظلّ هذه

المنظومه الفاسده من النظام غير العادل والنظام الذى لا يسير مسار العداله السماويه يعتبره القرآن الكريم بيئه فاسده وبيئه فيها رجس، والمفروض فى سُنّه الله كما تبيّنه الآيات الكريمه كمثل وكآيه للنبىّ عيسى، حيث وعد البشر وبشَّرهم فى التوراه والإنجيل والزبور وفى القرآن الكريم بمساهمه النبىّ عيسى: (وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَهِ) (الزخرف: ۶۱)، كما قرأناه فى الآيه السابقه، وأيضاً فى هذه الآيه: (وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) (النساء: ۱۵۹)، وعد إلهى بنزول النبىّ عيسى ومشاركته فى الإصلاح، وآيات كثيره تتعرَّض إلى ذلك فى بيانات القرآن الكريم، وبالضبط هذه السُنّه الإلهيه فى ظاهره النبىّ عيسى قد بيَّنها أهل البيت فى أحد العلل والحكم المهمّه الكبرى فى غيبه الإمام المهدى، وهو أنَّه إذا ظهر لا تكون فى عنقه بيعه لحاكم ظالم(۱)، فيبدأ بدوله الإصلاح.

إذن هذه سُنّه قرآنيه، وهى الغيبه للموعود بدورهم فى الإصلاح، سُنّه إلهيه أصيله وعقديه مصدرها القرآن، وهذا يفتح لنا الباب على ظاهره سابعه فى جميع الأنبياء، فندخل فى هذه الظاهره السابعه من الظواهر القرآنيه المتَّصله والمرتبطه بظاهره العقيده المتَّصله بالإمام المهدى عليه السلام وغيبته.

* * *

۱- (۱) فى الروايه عن على بن الحسن بن على بن فضال، عن أبيه، عن أبى الحسن على بن موسى الرضا عليهما السلام أنَّه قال: (كأنّى بالشيعه عند فقدهم الثالث من ولدى يطلبون المرعى ولا يجدونه)، قلت له: ولِمَ ذلك يا بن رسول الله؟ قال: (لأنَّ إمامهم يغيب عنهم)، قلت: ولِمَ؟ قال: (لئلاَّ يكون فى عنقه لأحد بيعه إذا قام بالسيف). (عيون أخبار الرضا عليه السلام ۲۴۷ :۲/ باب ۲۸/ ح ۶).

الظاهره السابعه: الإمام المهدى عليه السلام وهجره الأنبياء وغيبتهم

اشاره

ص:۳۰۵

يبيّن القرآن الكريم ويبرز لنا أنَّ النبيّ إبراهيم عليه السلام حينما أراد أن يقوم بمشروع الإصلاح الإلهى، استعصى عليه المجتمع النمرودى والنظام النمرودى، فأخذ موقع الانسحاب فى السطح الظاهر وليس انسحاباً فى الواقع؛ لأنَّه عليه السلام لم يترك مجتمعات الشرق الأوسط سدىً وعبثاً، بل استطاع أن يحوّلها من الوثنيه إلى الملّه الحنيفيه، وهذا مشروع جبّار جدَّاً، فانسحب كما نسمّيه انسحاباً تكتيكياً أو تدبيرياً مؤقّتاً بتوقيت من الله عز وجل، سواء طال أمده كما فى النبيّ نوح أو لم يطل كما فى غيره من الأنبياء، المهمّ أنَّه فى سنن الله تعالى أنَّه فى السطح الحسّى المعلن الظاهر قد ينسحب المصلح ويغيب ويهاجر بحسب الإدراك الحسّى، أو بحسب الحياه المعتاده المبصره بأدوات الحسّ، وإن كان هو ليس بغائب فى الحقيقه، فهنا أيضاً يستعرض لنا القرآن الكريم هجره وغيبه النبيّ إبراهيم عليه السلام، وإن كانت هى غيبه نسبيه وليس غيبه مطلقه كما فى النبيّ عيسى أو فى الإمام المهدى، فما يقصّه لنا القرآن الكريم حول النبيّ إبراهيم: (وَ أَعْتَزِلُكُمْ وَ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ) (مريم: ۴۸)، فعندما يستعصى المجتمع للإصلاح فى السُنّه الإلهيه يتَّخذ المصلح دور الانسحاب فى الظاهر، كى لا يصفّى أو يباد أو يسلّم بأيدى جلاوزه نظم الشرّ، فالنبيّ إبراهيم اتَّخذ أسلوب الغيبه النسبيه وهو أسلوب الهجره، (وَ أَعْتَزِلُكُمْ) هو نفس التعبير الذى مرَّ فى سوره الصافات: (إِنِّى ذاهِبٌ) ، وهذا ليس انكفاءاً وانحساراً حقيقياً من أنبياء الله والمصلحين كما يروق للبعض أن يقول: أين الإمام وخليفه النبيّ الثانى عشر المعدّ للإصلاح؟ وكيف ينكفئ أو ينحسر عن أداء المسؤوليه؟ وإنَّما هو تدبير وتكتيك من النشاط فى السطح

المعلن إلى النشاط الخفى، كى يُفسح له المجال بشكل أرحب وأوسع ليمارس أداء دوره، فهذه سُنّه إلهيه فى كلّ الأنبياء، كما فى النبىّ إبراهيم، ومرَّ بنا فى النبىّ عيسى، فلمَّا اعتزلهم وما يعبدون أيَّده بالنصر الإلهى؛ لأنَّ أسباب القوى ومعادلات القوّه تجتمع وتتركَّز لديه فى حركته وانطلاقه ونشاطه وأدائه، بخلاف ما يكون علناً ومكبَّلاً ومقيَّداً، وهذه نظريه أمنيه فى السُنّه الإلهيه للأنبياء والرسل والمصلحين الإلهيين يبيّنها القرآن الكريم، وهى الآن فى البشريه أصبحت من أبجديات العلم السياسى والعلم الأمنى والعلم الاستراتيجى، وكذلك فى سوره العنكبوت ترد الهجره والغيبه النسبيه للنبىّ إبراهيم: (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى) (العنكبوت: ٢٦)، انكفاء وانحسار سطحى فى الحسّ المعلن، لا فى الحقيقه، وإلاَّ فالنبىّ إبراهيم عاد بعد ذلك مظفراً مؤيّداً منصوراً بأن قَلَبَ المجتمعات فى الشرق الأوسط وبما فيها العراق أيضاً من الملّه الوثنيه إلى الملّه الحنيفيه المسلمه، وهذا عمل عظيم جبّار قام به شيخ الأنبياء وهو النبىّ إبراهيم، ولا تستطيع مئات وعشرات الدول أن تقلب عادات وأعراف المجتمعات فضلاً عن عقيدتها، (إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ١٢٤)، إذن هو قد أمَّ الناس، لكن بالتدبير تحت السطح وبالتدبير الخفى، لا بالتدبير المعلن حتَّى لا يكبَّل حينذاك بأغلال وبمقاومه وبتصفيه أنظمه الشرّ، فكانت النتيجه النصر والظفر المؤيَّد من قبل الله تعالى فى إنجاز هذا المشروع الإلهى الكبير.

فهذه سنن يستعرضها لنا القرآن الكريم دواليك متتاليه فى الأنبياء والرسل؛ للتدليل على أنَّ هذه سُنّه إلهيه متكرّره دائبه دائمه، يكرّرها القرآن الكريم لنا فى النبىّ إبراهيم وفى النبىّ موسى وفى النبىّ عيسى وختاماً بالمهدى المنتظر عليه السلام، وكذلك فى النبىّ يونس عندما استعصى عليه مجتمعه فى الإصلاح، فابتعد عليه السلام

عنهم، ولكنّها لم تكن هجره، بل كانت متاركه، وإنّما يتلو الهجره عوده للإصلاح، (فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاّ قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ) (يونس: ۹۸)، وفی سوره الصافات حول النبیّ یونس: (وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ*فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ...)، إلى أن تقول الآيات الكريمه: (وَ أَرْسَلْناهُ) ، تجديد الدور والقيام بالمسؤوليه أكثر: (وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ*فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ) (الصافات: ۱۴۸ _ ۱۳۹)، وهذه ظاهره أخرى فی نبیّ رابع يستعرضها لنا القرآن الكريم، وهی هجره وغيبه النبیّ يونس، كما هاجر وغاب النبیّ عيسى والنبیّ موسى والنبیّ إبراهيم، وهناك سلسله من الأنبياء أيضاً على هذا المنوال.

الهجره والغياب الحسّی عن المجتمعات الفاسده:

هذه الظاهره السابعه التی نحن فيها هی من الظواهر القرآنيه العظيمه التی بيَّنها الله عز وجل فی قرآنه الكريم، وهی دلائل نيّره وبيّنه على ما امتحن به المسلمون والمؤمنون، محن اعتقاديه وعقيديه فی ظلّ وظرف قرون متطاوله من غيبه آخر العتره النبويه الإمام المهدی عليه السلام، والتی هی عقيده يؤاخذ عليها ويحاسب عليها كلّ مسلم وكلّ مؤمن بما سطر الله عز وجل وشيَّد ودلَّل وعزَّز بيّنات ودلائل وآيات هذه العقيده فی قرآنه الحكيم، وهی من الدلائل على إمامه أهل البيت عليهم السلام ولاسيّما الإمام الثانی عشر الذی وعد البارى تعالى بأن يظهر على يديه الدين كلّه فی أرجاء الأرض كافّه ولو كره الكافرون والمشركون، هذا الوعد الإلهی العظيم سيكون إنجازه على يد المهدی من ذرّيه النبیّ وولد فاطمه وعلی، فالعقيده بحياته وببقائه فی ظلّ هذه القرون وفی العصر الراهن

كما بيَّن لنا القرآن الكريم فى الظاهره السادسه التى مرَّ استعراضها فى النبىّ عيسى، وأنَّ القرآن آخَذَ اليهود والنصارى وسلب عنهم الإيمان على مقالتهم بتصفيه وإباده النبىّ عيسى، أى محاسبتهم على عدم القول ببقاء حياه هذا الموعود به ليكون له دور فى دوله الإصلاح الشامل دوله الإمام المهدى، فالعقيده بالإمام المهدى عليه السلام وحياته إذن عقيده فى صلب الإيمان بصدق الوعد الإلهى بأن يظهر هذا الدين على الدين كلّه على أرجاء الأرض كافّه، فبأهل البيت يختم الله عواقب الأمور ويصلحها ويفشى القسط والعدل فى أرجاء الأرض كافّه، وقد أقام القرآن الكريم على هذه العقيده شواهد عديده فى سنن الأنبياء، ومرَّ بنا استعراض ستّ ظواهر، ودخلنا فى الظاهره السابعه التى هى متَّصله ومرتبطه بالظاهره السادسه، وهى من ظواهر القرآن الكريم للدلاله على العقيده بالإمام المهدى وغيبته، وهى ظاهره هجره الأنبياء كسُنّه مشتركه، فكما مرَّ فى الظاهره السادسه فى آخر محطّه من رفع الله تعالى للنبىّ عيسى وإبعاده عن مكر وكيد اليهود: (بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء: ۱۵۸)، وأيضاً فى قوله تعالى: (وَ رافِعُكَ إِلَىَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (آل عمران: ۵۵)، وقد تكرَّر نفس هذا المطلب فى النبىّ إبراهيم عندما هاجر وغاب نسبياً عن المجتمع النمرودى، عندما كان موقف قومه فى قوله تعالى: (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) (العنكبوت: ۲۴)، هنا عندما يستعصى النظام الاجتماعى السياسى على المصلح الإلهى، يبدأ المجتمع بخطّه الإباده والتصفيه لولىّ الله وحجّته، فمن ثَمَّ يكون التدبير الإلهى فى الانكفاء الظاهرى، أى فى الانكفاء بحسب الصوره الظاهره

وليس بحسب الواقع، نظير ما يذكره القرآن الكريم من تحريم الفرار من القتال أو الإدبار بدل الكرّ على الجبهه المقابله، إلّا متحرّفاً، فيقول: (وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ) (الأنفال: ۱۶)، يعنى قد يستدبر المقاتل والمقاوم، ولكن ليس لأجل التقاعس، وليس لأجل الفرار، وإنّما لأجل التحرّف، أى التدبير ورسم الخطّه من جديد لأجل القيام بهذه المهمّه والمسؤوليه، فهذا فى الواقع ليس انكفاءاً ولا انحساراً حقيقه ولا غياباً حقيقه، وإنّما هو تدبير جدّى جهدى أكثر جدّيه وقوّه وصرامه وجدوائيه فى القيام بالمسؤوليه، وبعد أن رأى قومه أن يقتلوه أو يحرّقوه قال: (إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (العنكبوت: ۲۶)، هنا استشهد النبىّ إبراهيم فى هجرته وغيبته عن المجتمع النمرودى لحفظ نفسه ولإنجاز التدبير بشكل أكثر فاعليه وفى خفاء، استشهد بعزّه الله وحكمته وقدرته، يعنى أنَّ من عِزّ قدره الله فى تدبير الأمور للمصلحين الإلهيين وحكمته أن ينكفئوا بحسب الظاهر، وإن كانوا بحسب الواقع مقبلين مقدمين لأجل الإنجاز بشكل أكثر جدوائى وأكثر قوّه للمهمّه الموكّله إليهم، هذا ما مرَّ فى النبىّ إبراهيم. فكما أنَّ الله عز وجل فى رفعه للنبىّ عيسى استشهد بأنَّ ذلك من عزّه ومنعه قدره الله: (بَلْ رَفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (النساء: ۱۵۸).

إذن هذه الهجره والسُنّه للغياب سُنّه مشتركه فى الأنبياء، ليس لأجل الفرار كما قد يتخيَّل المتخيّلون، وإنَّما لأجل معاوده الإقدام بتدبير أكثر قوّه وأكثر فاعليه، وكذلك فى ما استعرضه لنا القرآن الكريم فى النبىّ موسى: (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ) (القصص: ۲۱)، هذا الخروج ليس خروج هروب وتقاعس وإلى الأبد، وإنَّما لأجل استعاده القوّه ونظم القوّه والتدبير، لكى يكون الإقدام اللاحق

إقداماً مؤثّراً، كذلك ما قصَّته سوره الشعراء: (فَفَرَرْتُ مِنْكَمْ لَمّا خِفْتُكَمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ) (الشعراء: ۲۱)، وفی یونس أیضاً مرَّت الآیات الکریمه أنَّه عندما خرج من قومه عندما استعصوا علیه عاود فی التدبیر الإلهی: (وَ أَرْسَلْناهُ إِلی مِائَهِ أَلْفٍ أَوْ یَزِیدُونَ*فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلی حِینٍ) (الصافات: ۱۴۷ و۱۴۸)، وأیضاً کانت هجره النبیّ یونس وغیابه عنهم نوعاً من التدبیر أیضاً، بحیث آل بهم الأمر إلی الإیمان: (فَلَوْ لا کانَتْ قَرْیَهٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِیمانُها إِلاّ قَوْمَ یُونُسَ لَمّا آمَنُوا کَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْیِ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلی حِینٍ) (یونس: ۹۸).

فهذه هی سیره متکرّره فی الأنبیاء، وکذلک فی سیره سیّد الأنبیاء، وإن کانت هذه یمکن اعتبارها ظاهره ثامنه، ولکن بشکل مشترک نرید أن نسلّط الضوء علی الجهه التی یتساوی عندها الأنبیاء. نلاحظ أیضاً فی سیره سیّد الأنبیاء محمّد صلی الله علیه وآله هجرته عندما أرادت قریش أن تبیده وتصفّیه، فهنا کانت سُنّه الله وهی الهجره، وقبل هجرته غاب فی الغار صلی الله علیه وآله وسلم ثلاثه أیّام، إلی أن أذن الله له بالظهور والخروج، فهذا لیس انکفاء وانحساراً وفراراً حقیقهً، وإنَّما هو استعاده تدبیر واستعاده قوی ونظم برمجی لنفس القیام بمسؤولیه ومسار أداء الواجب الإلهی وإنجاز الأهداف الإلهیه، وکذلک فی أمر النبیّ المسلمین بالهجره إلی الحبشه، وکانت مؤقّته، وکذلک لإخفاء النبیّ للدعوه الإسلامیّه إلی أن أمره الله عز وجل بأن یصدع بالأمر.

فنری أنَّ هناک سُنّه إلهیه مشترکه فی جمیع الأنبیاء هی الهجره أو الغیاب، وهی فی الحقیقه إعاده إقدام بشکل قوی مدبَّر، ولکی ینجز الظفر والنصر، طالت هذه الهجره أم قصرت، کما فی النبیّ عیسی فهی الآن قد طالت، لکن بتدبیر من الله وحکمه، وکما فی النبیّ نوح، حیث تستعرض لنا روایه أخری عنهم علیهم السلام إبطاء نوح علیه السلام وأنَّه لمَّا استنزل العقوبه علی قومه من السماء بعد أن

طال الأمد، أسفر الصبح عن الليل، وصرح الحقّ عن محضه، وصفى الإيمان من الكدر، ليصدق وعده بأن يستخلف فى الأرض الذين أخلصوا التوحيد والإيمان واعتصموا بحبل الولاء، ويمكّن لهم دينهم(۱)، يعنى هناك سُنّه إلهيه فى الامتحان

۱- (۱) كما ورد فى الروايه عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (... وأمَّا إبطاء نوح عليه السلام: فإنَّه لمَّا استنزلت العقوبه على قومه من السماء بعث الله عز وجل الروح الأمين عليه السلام بسبع نويات، فقال: يا نبىّ الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنَّ هؤلاء خلائقى وعبادى ولست أبيدهم بصاعقه من صواعقى إلَّا بعد تأكيد الدعوه وإلزام الحجّه، فعاود اجتهادك فى الدعوه لقومك، فإنّى مثيبك عليه، وأغرس هذه النوى، فإنَّ لك فى نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين. فلمَّا نبتت الأشجار وتأزَّرت وتسوَّقت وتغصَّنت وأثمرت وزها التمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العده، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكّد الحجّه على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التى آمنت به، فارتدَّ منهم ثلاثمائه رجل، وقالوا: لو كان ما يدَّعيه نوح حقّاً لما وقع فى وعد ربّه خلف. ثمّ إنَّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرَّه بأن يغرسها مرَّه بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرَّات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منه طائفه بعد طائفه إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً، فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرح الحقّ عن محضه وصفى الأمر للإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثه، فلو أنّى أهلكت الكفّار وأبقيت من قد ارتدّ من الطوائف التى كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدى السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوّتك بأن أستخلفهم فى الأرض وأمكّن لهم دينهم وأبدّل خوفهم بالأمن، لكى تخلص العباده لى بذهاب الشكّ من قلوبهم، وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّى لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا وخبث طينهم وسوء سرائرهم التى كانت نتائج النفاق، وسنوح الضلاله، فلو أنَّهم تسنَّموا منّى الملك الذى أوتى المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته، ولاستحكمت سرائر نفاقهم، تأبّدت حبال ضلاله قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوه، وحاربوهم على طلب الرئاسه، والتفرّد بالأمر والنهى، وكيف يكون التمكين فى الدين و انتشار الأمر فى المؤمنين مع إثاره الفتن وإيقاع الحروب، كلَّا وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَ وَحْيِنا).-

البشرى، بأنَّ برنامج الإصلاح للسطح الظاهر يتمّ بنحو التدريج وبنحو خفى، إلى أن ينتهى به المآل أن يظهر إلى العلن، وهذه أيضاً سُنّه وحكمه يستعرضها لنا القرآن الكريم فى النبىّ نوح.

وهذه الظواهر السبعه القرآنيه، ونحن فى الظاهره السابعه من هجره الأنبياء وغيبتهم عن مجتمعاتهم لئلَّا يكبّلوا بالقيود والأعراف الظالمه السياسيه لتلك المجتمعات التى تقع على عاتقهم وكاهلهم مسؤوليه إصلاحها وإقامه الصلاح والإصلاح فيهم، أقام الله عز وجل الظواهر القرآنيه العديده كآيات مغزاها الشهاده لهذه العقيده، مضافاً إلى الاعتقاد بنبوّات الأنبياء السابقين وأدوارهم، لذلك عندما يستعرض القرآن الكريم فى سوره الزخرف أنَّ النبىّ عيسى سيكون من رموز الإصلاح فى دوله الإمام المهدى: (وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَهِ) أى النبىّ عيسى (فَلا تَمْتَرُنَّ بِها) (الزخرف: ۶۱)، بما تفيض الآيات وتبدى الآيات، وهذا الخطاب الإلهى قبل ذلك: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) (الزخرف: ۵۷).

فمن البيّن الظاهر أنَّ استعراض الله عز وجل للأنبياء مضافاً إلى حكمه لزوم وجوب الاعتقاد بنبوّاتهم وبرسالاتهم وبمبادئ التوحيد والعقيده التى بعثوا بها، يفيدنا القرآن وينادى بأنَّ استعراضه لهم ولظواهرهم هو لحكمه إلهيه، والدواعى لهذه الحكمه الإلهيه هى كونهم أمثالاً لما يُبتلى به جمهور هذه الأمّه وأجيال هذه الأمّه الإسلاميّه من وظائف اعتقاديه،

وأمثالاً لما تمتحن به هذه الأمّه من محاور عقائديه، وأىّ محنه الآن أعظم من هذه المحنه والامتحان الذى امتحن به المسلمون، وامتحن به المؤمنون فى أن يعتقدوا بوجود العتره المقرونه كثقل مع القرآن وعدل له وهم أصحاب الفىء، وأصحاب الخمس وأصحاب دعوه إبراهيم فى ذرّيته من الإمامه من نسل إسماعيل، وأصحاب كثير من الأوسمه القرآنيه التى تستعرضها طوائف آيات القرآن الكريم، وأنَّهم المطهَّرون الذين يمسّون الكتاب، وأنَّ الله سيجرى على أيديهم وعده بإفشاء العدل والقسط فى الأرض وإظهار الدين، هذه عقيده قرآنيه أصيله، وهى من الامتحانات والمحن العقائديه الكبرى، ذكر القرآن الكريم هذه الفرائض الاعتقاديه وأقام الله عز وجل المثال والظواهر والشواهد لها، مضافاً إلى لزوم الاعتقاد بهذه الأمور وبنبوّات الأنبياء.

يستعرض القرآن الكريم حكمه أخرى وذلك فى قوله: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) ، أنَّ ذكر النبىّ عيسى عليه السلام، بل جميع الأنبياء السابقين فيما جرى عليهم من أحوال وأحداث وسنن، إلى جانب الفريضه الأولى الأصليه فى الاعتقاد بهم وبنبوّاتهم، هناك حكمه أخرى ثانيه وهى أنَّهم مثل ضُرب لما يبتلى به المسلمون أيضاً فى عقائدهم بالحجج المنصوبين عليهم من قِبَل الله تعالى، فهذا صريح القرآن يقول: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) ، فى نفس الآيات التى تستعرض أنَّ عيسى سوف ينزل ويظهر لدوله الإصلاح فى سوره الزخرف: (وَ إِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَهِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَ اتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ) (الزخرف: ۶۱)، فليستيقظ هؤلاء الذين يصدّون عن التدبّر فى ظاهره النبىّ عيسى، كمثل لما يلزم عليهم

الاعتقاد به فی شریعه خاتم المرسلین، وما الشیء الذی یشابه فی شریعه خاتم المرسلین لظاهره النبیّ عیسی من غیبته وحمایه وحراسه الله له؟ ألا- وهی ظاهره الإمام المهدی علیه السلام من طول غیبته، کطول غیبه النبیّ عیسی وحراسه الله له وإعداده وادّخاره للإمام المهدی لیقوما بدوله الإصلاح، وکذلک فی جمیع الأنبیاء فی الظاهره السابعه التی نحن فیها من هجرتهم وغیبتهم وانکفائهم فی الظاهر عن مسرح الأحداث لیقدموا مرَّه أخری فی التدبیر وإنجاز الوعد الإلهی.

ومرَّ بنا فی هجره النبیّ إبراهیم، أنَّ قیام النبیّ إبراهیم بهذا الإنجاز الحضاری المخلَّد؛ وهو الملّه الحنیفیه التی لا زالت ترکه إلهیه عظیمه ورثتها البشریه إلی یومنا هذا، فالأدیان السماویه الباقیه هی کلّها متشعّبه من الملّه الحنیفیه، ومن الواضح أنَّه لیس عملاً فردیاً، وقد خاطبه الله بجعل منصب له: (إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً) (البقره: ۱۲۴)، بل هذا الإنجاز یقوم به فی الواقع مجموعه من عناصر الشبکه الإلهیه التی یستعرضها لنا القرآن الکریم فی سوره الکهف وفی سور أخری، کالخضر أنَّه: (عَبْداً مِنْ عِبادِنا) ، کلّ منهم موصوف بأنَّه: (آتَیْناهُ رَحْمَهً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً) (الکهف: ۶۵)، هذه فی الواقع لیست شبکه وجدت بنحو المصادفه والاتّفاق فی زمن النبیّ موسی، بل هی فی الواقع کما یحدّثنا القرآن الکریم أنَّها من سنن الله فی إقامه الإصلاح وإقامه برامج السماء فی مجتمعات الأرض، وفی الطبیعه البشریه علی ید الأنبیاء والرسل والأئمّه الخلفاء، أن یقوموا بالإمامه فی الأرض: (وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ) (البقره: ۳۰)، إنَّ وجود الخلیفه فی الأرض هو لدرء الفساد فی الدماء وسفکها، أی لإقامه الإصلاح، وهذه مجموعه من

السنن والظواهر القرآنیه التی یستعرضها لنا القرآن الکریم حول الأنبیاء طالت أم قصرت، وهذه الغیبه والهجره عندهم فی سننهم کما مرَّ بنا فی استعراض حدیث عن الأئمّه علیهم السلام حول طول برنامج الإصلاح الذی قام به نوح، وإن کانت هی ظاهره نستطیع أن نسمّیها ثامنه، ولکن أیّاً ما کان نستطیع أن ندرجها فی الظاهره السابعه من إبطاء الوعد بالإصلاح والنصر والظفر الذی وعد به النبیّ نوح علیه السلام، فإبطاء النبیّ نوح عندما استنزل من الله عز وجل الظفر والنصر من السماء علی قومه، وطال هذا الانجاز الإلهی ما یقارب من العشره قرون، لکن أسفر الصبح عن اللیل، وصرح الحقّ عن محضه، وصفی الإیمان من الکدر، هو أحد حکم الله عز وجل فی تدریجیه الإصلاح وإطاله الوعد، کی یصدق الباری تعالی وعده بأن یستخلف فی الأرض الذین أخلصوا فی التوحید والإیمان والذین اعتصموا بحبل الولاء، ولیمکّن لهم دینهم ویبدّل خوفهم أمناً، وهذه سُنّه إلهیه فی الإبطاء، وهی کظاهره ثامنه ذکرناها وهی فی الواقع إلی جانب الظاهره السابعه، (وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) ، کی تخلص العباده له تعالی: (یَعْبُدُونَنِی لا یُشْرِکُونَ بِی شَیْئاً) (النور: ۵۵)، فکیف یکون التمکین فی الدین وانتشار الأمن فی المؤمنین مع إثاره الفتن وإیقاع الحروب بین المخلصین من المؤمنین، ومع وجود من دان بالإیمان ولکن لم یصْفُ قلبه، ومن أسرَّ منهم النفاق ونشأت سرائره علی النفاق والضلال فیکاشفونهم بالعدواه والحرب؟ هذه الظواهر الثمانیه فی الواقع هی ظواهر قرآنیه مفعمه ضربت مثلاً کفرائض اعتقادیه وکأمثال لما تمتحن به هذه الأمّه من عقائد ومحاور تجاه خلفاء النبیّ الأئمّه الاثنی عشر، وثانی عشرهم الإمام المهدی علیه السلام، بما وعد به العالم الإسلامی والعالم البشری من دوله الإصلاح.

جهه الاشتراک بین الهجره والغیبه:

اتَّضح أنَّ سُـنّه الهجره هی سُـنّه إلهیه فی الأنبیاء، واستعرضـها لنا القرآن الکریم فی مجمل أو جلّ الأنبیاء السابقین، کما مرَّ بنا فی النبیّ إبراهیم، والنبیّ موسـی، والنبیّ عیسـی، وأیضـاً فی النبیّ یونس، والنبیّ یوسف إنَّ صـحَّ إطلاـق الهجره علی ابتعاده عن أبیه وإخوته. المهمّ أنَّ هناک سلسـله من الهجرات التی استعرضـها لنا القرآن الکریم فی الأنبیاء، للتدلیل علی أنَّ هذه سُـنّه جاریه من الله عز وجل، وکذلک فی سیّد الأنبیاء، والرعیل الأوّل من الذین استجابوا لدعوه الإسلام فی الهجره الأولی للحبشه بقیاده جعفر بن أبی طـالب، وأیضـاً فی الهجره الثانیه إلی المـدینه المنوَّره عنـدما بات أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السـلام فی فراش النبیّ صـلی الله علیه وآله، واختفی سیّد الأنبیاء فی الغار، ثمّ هاجر إلی المدینه المنوَّره، ولحق به علی بن أبی طالب، ثمّ إنَّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسـلم لم یـدخل المـدینه حتَّی لحق به ابن عمّه علی بن أبی طـالب مع الفواطم وفیهنَّ فـاطمه الزهراء وفاطمه بنت أسـد، المهمّ أنَّ هـذه الهجرات فی الحقیقه نراها تتکرَّر دوالیک عند الأنبیاء، وإذا أردنا أن نمعن بشـیء من التحلیل وبشـیء من الاتّعـاظ والعبره فی هجره الأنبیـاء عن المجتمعـات الفاسـده، باعتبـار أنَّ النظـام الظـالم الجائر الـذی لا یعتمـد شـریعه العـداله السـماویه بالتـالی یکون نظاماً ینتـج ویثمر الرجس والنجاسات الخلقیه والمادیه وما شابه ذلک، سواء وعاها البشـر، أو غفل عنها، فانسـحاب الأنبیاء إن صحَّ أن یطلق علیه التکتیکی أو المناوری هو لأجل القیام بإقدام أشدّ ثباتاً للإصلاح، فإنَّ عملیه الانکفاء فی الظاهر ثمّ الانقضاض علی بؤره الفساد سُنّه إلهیه فی الأنبیاء سمّیت هجره وسمّیت غیبه خفاء؛ لأنَّ الغیبه فی الواقع نوع من

الهجره، والهجره هى نوع اختفاء أيضاً ونوع ابتعاد عن السطح المعلن، وكذلك فى الغيبه، فهناك جهه اشتراك واضحه إذن بين الغيبه والهجره، وهى نوع من الانكفاء والانحسار فى المواجهه الظاهريه، وإن كان هناك فى الواقع إمساك بأزمّه الأمور فى الباطن.

هذه جهه اشتراك بين هجرات الأنبياء وهى ظاهره سابعه قرآنيه فى غيبه الإمام المهدى وغيبه حجج الله، وأنَّ ذلك ليس ببدع فى سنن الله تعالى فى أنبيائه، بل هى نوع من المناوره ونوع من المحاسبه لإبقاء مسيره الإصلاح ولإبقاء دفّه النهضه الإلهيه قدماً لتثبيت وإقامه وإنجاء بُنى وأعمده الإصلاح، فهذه جنبه اشتراك.

الفوارق بين الهجره والغيبه:

أمَّا جنبه الافتراق بين الهجره أو هجرات الأنبياء، وبين الغيبه التى يقاوم بها بعض منهم _ كما مرَّ بنا _ أو هى واقعه فى مسيره الإمام المهدى عليه السلام والتى هى طبعاً بمعنى غيبه خفاء وليست غيبه وجود، أنَّ هناك فرقاً فيزيائياً _ إن صحّ التعبير _ أو فرقاً حسّياً مادّياً بين الهجره والغيبه، وهو أنَّه فى الهجره ربَّما يكون ابتعاد فى الوجود، أو ابتعاد بدنى يكون بين النبىّ المهاجر أو الوصىّ والحجّه المهاجر والمجتمع الفاسد، يكون نوع من الابتعاد البدنى أو الابتعاد الجغرافى، وإن لم يكن هو ابتعاد فى التدبير، وإن لم يكن هو ابتعاد فى التفاعل مع الواقع الفاسد لأجل إصلاحه، ولكنَّه ابتعاد جغرافى، أمَّا فى الغيبه فليس هناك فى البين ابتعاد جغرافى ولا ابتعاد بدنى، وإنَّما هو عباره عن اختفاء فى المعرفه واختفاء فى الشعور واختفاء فى علم البشر، يعنى بعباره أخرى الاختفاء

عن إدراک البشر، أو الاختفاء عن انتباه البشر للحجّه، فی حین أنَّه حاضر، ومن ثَمَّ مرَّ بنا مراراً فی منطق القرآن الکریم فی الأنبیاء السابقین، وکذلک فی الإمام المهدی علیه السلام، وبضروره أحادیث المسلمین أیضاً، أنَّ الغیبه مقابل الظهور، والظهور یقابله الخفاء، ولیست الغیبه مقابل حضور أو ابتعاد أو مزایله کما فی الهجره.

وفی الغیبه امتیاز إیجابی تتمیَّز به علی الهجره، وهو عدم الابتعاد البدنی، ولیس الابتعاد الحضوری، ولا الابتعاد عن کبد مرکز الحدث، بینما فی الصوره الظاهره فی الهجره یبدو هناک ابتعاد عن الساحه الساخنه الملتهبه الملتحمه فی الحدث إلی أن تکون هناک مناوره للانقضاض مرَّهً أخری، وهذا جانب مهمّ فی الفرق بین الغیبه والهجره.

وهناک فارق آخر أیضاً بین الغیبه والهجره فی الأنبیاء، هو أنَّ فی ظلّ الغیبه یتمّ مباشره وعلاج مواضع ومفاصل الداء والمرض، والانحراف فی نظام المجتمع بشکل مباشر وبشکل عمقی وبشکل من الداخل، بخلاف الهجره، فالهجره تتمّ فیها معالجه المرض فی بدن وجسم النظام الاجتماعی من الخارج، ومن الواضح أنَّ المعالجه من الداخل لا ریب أنَّها تکون أکثر تثبیتاً وأکثر تأثیراً عن المعالجه من الخارج، فالمعالجه من أعماق الداخل فی الواقع معالجه تکون أساسیه وبنیویه وجذریه وفیها دوام وثبات، بخلاف المعالجه عندما تکون من الخارج والتی قد تکون معالجه مسکّنه لبعض الوقت، ولکن ما أن یذهب ذلک المسکّن، فقد یحدث انقلاب أو ارتداد، کما حذَّر منه القرآن الکریم فی قوله تعالی: (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

اَلرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِى اللّهُ الشّاكِرِينَ) (آل عمران: ۱۴۴)، وإن كانت معالجه النبیّ صلى الله عليه وآله للبشريه لا زالت مستمرّه، ومعاجله خلفه والثانى عشر من ولده الإمام المهدى هى يد من أيادى نبیّ الرحمه وسيّد الأنبياء، ولكن القصد هنا بيان الفرق بين معالجه الهجره فى الواقع وبين معالجه الغيبه، أنَّه فى الغيبه تكون معالجه داخليه من الأعماق يتمّ بها انتشال البشريه من الانحراف.

والمغزى العظيم الذى تؤكّده هذه الظاهره المنتشره بشكل وافر وسيع جدًّاً فى كثير أو فى أكثر الأنبياء الذين استعرض لنا القرآن الكريم حياتهم، وكذلك بقيّه الحجج والأوصياء هى ظاهره الهجره عن المجتمعات الفاسده والأنظمه الجائره والعروش الفرعونيه أو النمروديه أو غيرها، أو اللوبى الحبرى اليهودى وما شابه ذلك كما فى النبیّ عيسى عليه السلام، فهذه الهجره المنتشره كظاهره وسيعه ومتّسعه الأمثوله فى كثير من الأنبياء مغزاها أنَّه ليس فى التدبير الإلهى أو فى سُنّه الله فى الأمر الجارى أن تكون الأمور (كن فيكون)، وإنَّما الأمور تأخذ منحه تدريجيه، فى حين أنَّ هذه المنحه التدريجيه التى تأخذ سياسه السماء والسياسه الإلهيه فى الإصلاح فيها نوع من المشاوره، فليست إذن هى حاله على شاكله وسيره واحده، ولا هى دفعيه، بل تدريجيه تتَّخذ أساليب وأدواراً وألواناً، وإقداماً وإحجاماً، وكرَّاً وفرَّاً، وهذا الفرّ ليس فراراً، وإن كان فى صورته وظاهره كذلك، بل هو تحرّف للقتال، لقتال الفساد، ولمواجهته، فهو أسلوب المناوره وأسلوب التدبير وأسلوب المنهجه والتكيف.

فليس حينئذٍ إلّا عبطاً، ومن برود من التفكير أن يظنّ الظانّ أنَّ أسلوب المصلحين فى السنن الإلهيه، المصلحين من قبل السماء أن يتَّخذوا شاكله واحده ونمطاً واحداً من البرنامج، ومن نظام الدعوه والإصلاح، بل فى الواقع هناك نظم وبدائل وفصول كثيره يمرُّ بها مسير الإصلاح لكى يصل إلى النتيجه والغايه، وهذه نكته مهمّه أخرى يجب أن نستفيدها من الهجره، من هجره الأنبياء، أنَّ هناك نوعاً من الغروب، ثمّ الطلوع، نوعاً من غشيان ليل الظلمه، ثمّ يسفر الصباح عن نوره وعن ضيائه وعن نفعه، فبالتالى لا يظنّ الظانّ أنَّ السُنّه الإلهيه فى الإصلاح هى دائماً نهار ودائماً صباح، بل قد يكون هناك نوع من الفتره والأوقات التى تمرُّ بها تكوير الليل والنهار، فإذن هناك نوع من الطلوع والغروب والأفول والظهور وما شابه ذلك.

الفتره بين الأنبياء والحجج:

فى الحقيقه نستطيع أن نضمّ إلى هذه الظاهره السابعه فقره أخرى مهمّه جدًّاً، ألاـ وهى فقره ما عرف بالفتره، وفى اصطلاح الشريعه ولسانها تكون الفتره تقريباً ظاهره تابعه ومنضمّه إلى ظواهر الأنبياء، كظاهره الهجره، هناك ظاهره الفتره بين الرسل، وقد ورد هذا التعبير أيضاً فى القرآن الكريم: (قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ) (المائده: ١٩)، الفتره فى الواقع فتور، وهو نوع من الغروب فى الظاهر لدعوه السماء، أو البرنامج الإلهى حسب العلن الظاهر، ولكن ليس هو انقطاع، وليس هو انسداد إلى الأبد، وإنَّما هو أيضاً نوع من التدبير الإلهى فى سُنّه التدريج فى الإصلاح، فيتبيَّن لنا إذن أنَّ سُنّه الإصلاح فيها ليل ونهار، وفيها طلوع

وأفول، وفيها بزوغ وفيها غروب، فليست إذن هى على شاكله واحده؛ حتّى يصل إلى نهايه المحطّه من الإصلاح الشامل التامّ العامّ فى أرجاء الكره الأرضيه كافّه، كما وعد به البارى تعالى: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ) (التوبه: ۳۳)، إظهار الدین: (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ) (الذاریات: ۵۶)، ففیه انتظار وفیه ترقّب وفیه توقّع.

فالانتظار یحمل معنی البصیره من النظر، وهذا نستفیده من هذه العناوین بکثره حول شأن الإمام المهدی علیه السلام، وهذه العناوین الثلاثه فی الحقیقه هی کلّها مستقاه أیضاً من السنن التی جرت فی الأنبیاء السابقین، هجراتهم، أو الفترات.

الانتظار یعنی أنَّ ثاقب النظر یری المستقبل وأمل المستقبل وتغیّر المستقبل، وأنَّ المسیره لیست علی شاکله واحده، ولیست سرمدیه اللیل، بل سیبزغ الصبح، (أَ لَیْسَ الصُّبْحُ بِقَرِیبٍ) (هود: ۸۱).

الانتظار یحمل معنی البصیره للمستقبل من خلال ما یتّعظ به المسلم والمؤمن والقارئ للقرآن الکریم فی ظواهر قصص الأنبیاء السابقین وسنن الله فی برنامج الإصلاح والدفع بعجله مشروع الهدایه والفلاح.

والانتظار أیضاً یعنی التوقّع، ویعنی ما سیقع، وکیفیه مساهمه المؤمن نفسه فی التوقع،

(منتظر لأمرکم ، مرتقب لدولتکم) کما ورد فی الزیاره الجامعه(۱)، وفی زیاره أمیر المؤمنین علیه السلام والدعاء عنده ورد أیضاً: (معتصم بحبلکم، متوقّع لدولتکم)(۲)، فالتوقّع من الوقع، وبالتالی الوقوع إذ کان صفه من صفات المؤمن أنَّه متوقّع أی مشارک فیها سیکون من وقوع حدث مهمّ عظیم فی الوعد الإلهی

۱- (۱) المزار لابن المشهدی: ۵۳۰.

۲- (۲) المزار لابن المشهدی: ۲۵۰.

المضمون إنجازه، فلا يكون المنتظر منتظراً بدون أن يكون متوقّعاً، أى مشاركاً ومساهماً فى وقوع هذه الحدث والوعد الإلهى العظيم، كما يبيّن لنا القرآن الكريم فى هذه الظاهره السابعه من هجرات الأنبياء أنَّ المهاجرين من المخلصين ممَّن احتفَّ بالنبىّ صلى الله عليه وآله، المؤمن منهم والذى كانت هجرته لله ولرسوله لا للأثره والأموال وطمع الدنيا، يخصُّ القرآن الكريم المديح بالصافى النيّه منهم بقوله تعالى: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً) (النور: ۵۵)، فالمؤمن منهم ممَّن كان صحيح النيّه فى برنامج الهجره هو أيضاً كان مساهماً فى وقوع الإصلاح. فالمتوقِّع إذن صفه للمؤمن تجاه العقيده بالإمام المهدى نستخلصها من هجرات الأنبياء ومن كان معهم من المخلصين، المتوقّعين، المنتظرين، والانتظار بلا توقّع يعنى انتظاراً بلا مشاركه وإسهام، وهذا انتظار سلبى، والمترقّب فى الحقيقه هو الذى يكون له نوع من الرقابه، وهو عباره عن تحمّل المسؤوليه أيضاً، وهو ضمانه وحراسه لمسيره الإصلاح، وهذا أيضاً بُعد آخر فى سيره الأنبياء ومن معهم من المخلصين، أنَّ المؤمن يجب أن يتَّعظ فى هذا الجانب، أن يكون منتظراً، ومتوقّعاً مساهماً فى الواقع، ومترقّباً، أى يحافظ على حراسه وسلامه واستدامه واستمرار مسيره الإصلاح، وهذه أيضاً نوع من المساهمه.

إذن ما نستخلصه من هذه الظاهره السابعه ظاهره الهجره المنتشره فى الأنبياء، وظاهره الفترات هو جمله من النقاط والفوائد الاعتقاديه والعقديه مرتبطه ومتَّصله بالعقيده بالإمام المهدى وغيبته، من أنَّها سُنّه جاريه لله عز وجل فى أنبيائه وحججه، من حاله المناوره، وحاله التدبير، وحال الأفول ثمّ الطلوع، مع فارق إيجابى كثير فى الغيبه عن الهجره، كما مرَّ،

كأسلوب وبرنامج وأداه وآليه للإصلاح، مضافاً إلى ما نستثمره من مسؤوليه اتّباع أولئك المصلحين الإلهيين ووظيفتهم.

هـذا مـا نسـتطيع على أيّه حـال فى هـذه العجـاله أن نسـتخلصه من هـذه الظاهره السابعه، وهى ظاهره هجره الأنبياء والفترات التى تخلَّلت بينهم، ونبدأ الحديث بعون الله تعالى عن الظاهره الثامنه وهى ظاهره إبطاء الإصلاح فى سيره النبىّ نوح عليه السلام.

تأخّر إنجاز الوعد الإلهى:

هناك أوجه تشابه متماثله كثيره من زوايا متعدّده ومتنوّعه بين الظاهره القرآنيه وهى ما سرده وقصَّه واستعرضه القرآن الكريم من سيره النبىّ نوح وسُنّه الله فيه وبين العقيـده بالإمام المهـدى عليه السـلام وغيبته، ونحن بقـدر جهدنا نسـتعرض بعض الأمور منها، فمن تلك الأوجه المماثله هو طول الطريق للوصول إلى فتره إنجاز الوعد الإلهى فى الإصلاح، أو قد يعبَّر عنه كما ورد فى جمله من الروايات فى بيان هـذه الظاهره القرآنيه إبطاء الوعـد الإلهى لإنجاز الإصـلاح، هـذا الإبطاء كما يخبرنا القرآن الكريم: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلاّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ*فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَهِ وَ جَعَلْناها آيَهً لِلْعالَمِينَ) (العنكبوت: ۱۴ و۱۵)، فالملفت أوّلاً فى ظاهره النبىّ نوح طول مـدّه إنجاز الوعد الإلهى ما يقارب من عشـره قرون إلاَّ نصف قرن، هـذه المـدّه الممتـدّه الطويله البعيـده الأمد، إذن وجه المماثله واضح بين ظاهره النبىّ نوح القرآنيه والعقيده بحياه الإمام المهدى، وسوف يختم نجاح هذا الدين القويم على أرجاء الأرض كافّه بأهل البيت عليهم السلام الذين بهم يختم الله هذه الخاتمه المشرفه النيّره الشامخه العظيمه، فكما بدأ وانتشر دين الإسلام بأهل البيت وهم النبىّ وأهل بيته

عليهم السلام فإنَّ الله عز وجل سيختم بهم العاقبه الحسنه والمضيئه المشرقه لهذا الدين، هذا لا يختلف فيه اثنان من المسلمين، وإن اختلفوا فى الاعتقاد بحياه الإمام المهدى الآن وطول مدّه غيبته وحياته، فإذن هذه عظه من القرآن الكريم لهذه الأمّه بأن سيقع فى هذه الأمّه أيضاً إبطاء فى إنجاز الوعد الإلهى العظيم، هذا الإنجاز وهذا الحدث الهائل الكبير الذى تستعدّ البشريه لوقوعه، برغم هذا الإبطاء إلاَّ أنَّه لا يؤدّى إلى اليأس من روح الله، (إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ) (يوسف: ٨٧)، كيف وقد استعرض وبيَّن لنا القرآن الكريم أنَّ سُنّه الله تجرى فى أدوار من الإصلاح أنَّه قد يمتدّ ويطول به الزمن، كى تتهيَّأ البشريه وتمرّ فى حاله إعداد لوقوع هذا الإصلاح العظيم، وقد كان طوفان النبىّ نوح حدثاً مجلجلاً للبشريه، لذلك يعبّر القرآن الكريم عنه بالقول: (وَ جَعَلْناها) ، يعنى هذا الطوفان العظيم: (وَ جَعَلْناها آيَهً لِلْعالَمِينَ) ، فهذا الطوفان مضرب مثل واضح، لأنَّ فيه هزَّه للبشريه والكره الأرضيه بشكل عارم شامل عامّ، وهذا ما يدلّل على أنَّ البارى تعالى فى سُنّته فى الإصلاح المجلجل الذى يأخذ أبعاداً فى أرجاء الأرض كافّه أنَّه يبطئ وقوعه ويتمادى طولاً وامتداداً وأجلاً فى الكتاب المحتوم لوقوعه، وهذا أوّل وجه شبه بين ظاهره النبىّ نوح وظاهره الإمام المهدى عليه السلام، فقد وردت فى الأحاديث إشاره إلى مثل هذه الزاويه من الشبه بين ظاهره الإصلاح الموعود به النبىّ نوح وظاهره الإصلاح الموعود به فى الدين الإسلامى لإنجازه على يد المهدى من ذرّيه الرسول صلى الله عليه وآله الثانى عشر من خلفاء النبىّ صلى الله عليه وآله، ومن هذا الوجه كان على المؤمنين أن لا ييأسوا من روح الله ولا يخفق إيمانهم ولا ينقطع ولا يزول، ولا ينعدم والعياذ بالله إيمانهم عن هذه العقيده العظيمه بالوعد الإلهى بالإصلاح فى أرجاء الأرض كافّه بسبب تطاول وتأخّر هذا الإصلاح

وإنجاز هـذا الوعـد الكبير العظيم، بل يجب عليهم أن يزيـدهم ذلك من الوثوق ومن الإيمان بوقوع هـذا الإصـلاح، فهو نوع من الاختبار العظيم، كى يصـدق الله وعـده بأن يسـتخلف الله فى الأرض الـذين أخلصوا التوحيـد والإيمان واعتصـموا بحبل ولايه الله ورسـله وأوصـيائه وحججه ويمكّن لهم ويبدّلهم من بعد خوفهم أمناً، ولكى تخلص العباده له، إذ كيف يكون التمكين فى الدين وانتشـار الأمن فى المؤمنين مع إثاره الفتن وإيقاع الحروب بين المخلصـين من المؤمنين، وبين من أسرَّ منهم النفاق فيكاشـفونهم بالعـداوه والحرب. فلن يكون هنـاك صـفاء فى البشـريه إلاَّ عنـدما يزداد تسـليط نار المحنه ونار الامتحان والفتن،كالمعـدن يفتن بالنار إلى أن يصـفو، ومن الواضـح أنَّ الصـفاء الـذى لا شوب فيه يحتاج إلى طول مدّه. إذن هذا وجه شـبه أوّل عظيم بين ظاهره النبى نوح وظاهره الإمام المهدى عليه السلام وهو إبطاء إنجاز الوعد الإلهى واتّعاظ المؤمنين، ومغزى ذلك هو نوع من الإصلاح الجذرى العمقى الداخلى فى الجسم والطبيعه إلى أن يبقى الخالص ليتمّ به الإصلاح التامّ، هذا أوّل وجه شبه بين الظاهرتين.

وجه الشـبه الثانى الـذى يمكن أن نسـتخلصه أيضاً هو طول عمر النبىّ نوح، فإنَّه ليس ذلك على الله بعزيز، فقد ورد فى الروايات عنهم عليهم السـلام وهذه الروايات التى وردت فى الواقع معتضده بمحكم الكتاب الذى ورد فى طول فتره عهد دعوه النبىّ نوح، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السـلام أنَّ مدّه طول عمر نوح كانت ألفى وثلاثمائه سـنه، كان قد عاش ثمانمائه وخمسـين سنه قبـل بعثته رسولاً- إلى قـومه ليـدعوهم إلى توحيـد الله وشـريعته، ثمّ مكث فى قومه يـدعوهم ألف سـنه إلاَّ- خمسـين عامـاً، يعنى تسـعمائه وخمسـين سنه، هذه هى فتره الدعوه إلى أن أنجز الوعد الإلهى، وبعد ذلك عاش قرابه الخمسمائه سنه بعد الدعوه، أى بعد أن انجز له الوعد الإلهى ليقيم مجتمع الإصلاح والصلاح، بأن مصَّر الأمصار وأسكن

ولده البلدان(۱)، یعنی أنَّ العمران الذی حدث فی المجتمع البشری بعد الطوفان الذی اجتاح وجه الکره الأرضیه کافّه واجتاح المجتمعات البشریه وقضی علیها، فأنشأ بعد ذلک المجتمعات والبلدان هو من الید الشریفه للنبیّ نوح فی إقامه هذا العمران عمران الصلاح والإصلاح، فإذن هذه الحقبه الطویله من عمر النبیّ نوح عِظه أخری عظیمه فی المثل بین طول عمره وطول عمر الإمام المهدی علیه السلام. بعباره أخری هذا برهان بیّن من القرآن الکریم فی أنَّ من حججه من یطول عمره وتبطئ خاتمه الإصلاح علی یدیه فی الإنجاز للوعد الإلهی، وبالتالی هذه سُنّه من الله عز وجل فی إطاله عمر ذلک المصلح المعدّ للإصلاح الکبیر والمدوی فی الکره الأرضیه، فی الإصلاح الجذری الشامل سُنّه من الله وهی إطاله عمر ذلک المصلح، وبالتالی إبطاء إنجاز الوعد؛ لأنَّه احتاج إلی نوع من الإعداد العظیم الطویل الأمد، هذا وجه شبه ثانٍ أیضاً بین النبیّ نوح والإمام المهدی.

وهناک أیضاً وجه آخر من المماثله فی الواقع تحقّق ومرَّ حدوثه فی النبیّ نوح علیه السلام، وأیضاً فی الإمام المهدی، وهو أنَّ النبیّ نوحاً بعد أن وقع هذا الزلزال المدوی فی الأرض وهو الطوفان، وکان فی الواقع إنجازاً للوعد الإلهی للإصلاح أوعد القوم به، بعد ذلک قام النبیّ نوح بتمصیر الأمصار وأسکن ولده البلدان، ففی الحقیقه هی بدایه حیاه بشریه ذات طابع متکامل إصلاحی لما خلَّفته البشریه قبل الطوفان، ومن ثَمَّ عُرف أنَّ الطوفان کان محطّه مهمّه بشریه تعتبر خاتمه لحقبه، وفاتحه لحقبه جدیده، فاتحه لحقبه عمرانیه متمدّنه متطوّره فی مسار

۱- (۱) روی الکلینی فی (الکافی ۲۸۴ :۸ و۲۸۵/ ح ۳۲۹ و ۴۳۰) بسنده، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: (عاش نوح علیه السلام ألفی سنه وثلاثمائه سنه، منها ثمانمائه وخمسین سنه قبل أن یبعث، وألف سنه إلاَّ خمسین عاماً وهو فی قومه یدعوهم، وخمسمائه عام بعدما نزل من السفینه ونضب الماء، فمصَّر الأمصار وأسکن ولده البلدان...).

النهج الإلهی والنهج المعیشی فی سکن الأرض، وهی محطّه تاریخیه مهمّه فی عمر البشریه وحیاه البشر علی وجه الأرض، ما یدلّل علی أنَّ هناک نقله مدنیه ونقله تکامالیه واضحه بعد إنجاز الوعد الإلهی علی ید نوح، وهذا فی الواقع ما تشیر إلیه الآیات الکریمه وبشکل خطوط عامّه عریضه من أنَّ إظهار الدین علی أرجاء الأرض کافّه: (هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ) (التوبه: ۳۳)، وسوف یکون هو حقبه المتّقین: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ) (الأعراف: ۱۲۸)، وهی عاقبه الإصلاح فی الأرض لیستخلف الله عز وجل الذین استضعفوا: (وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَیُمَکِّنَنَّ لَهُمْ دِینَهُمُ الَّذِی ارْتَضی لَهُمْ وَ لَیُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً) (النور: ۵۵)، وأنَّه: (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَیْهِمْ بَرَکاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) (الأعراف: ۹۶)، والتعبیر بالقرویه هو فی مقابل التمدّن فی اصطلاح القرآن الکریم فی الاستعمال الظاهری لا التأویلی، بل فی مقابل الإیمان وفی مقابل انتهاج نهج الإیمان ونظام الإیمان ومسار الإیمان والالتزام ببرنامج الإیمان یطلق علیه القرآن الکریم القرویه، فإذا آمنوا وانتهجوا رؤیه الإیمان فسیرسل الله عز وجل حینئذٍ علیهم خیرات وکنوزاً، وهذا هو المفاد الحقیقی من الآیه الکریمه، أو من الروایات التی رواها الفریقان.

الخاتمه:

من الواضح أنَّ قصص الأنبیاء عقیده وإیمان ومعرفه ربّانیه ودینیه أصیله، کذلک هی أیضاً عِظه وعبره، کما یحدّثنا القرآن الکریم مثلاً فی سوره (یوسف: ۱۱۱): (لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ) ، إذن

ليست قصصهم هى مجرَّد سرد قصصى، وإنَّما هى معرفه عقديه واعتقاديه بهم وإيمان بهم، وهو أيضاً عبور وعبره لنعبر منها إلى عقيده أخرى مماثله؛ لأنَّ العبور من شىء إلى شىء إنَّما يكون من المماثل إلى المماثل، وإلاَّ إذا لم يكن هناك وجه صله ولا نسبه مماثله فكيف يكون العبور من الشىء إلى شىء أجنبى عنه لا صله له به، فالعبره أخذت من العبور. إذن ما استعرضه لنا القرآن الكريم من قصص الأنبياء وأمثالهم فى الوقت الذى هو معرفه وإيمان بكتب الله ورسله وملائكته، أيضاً هو عبره وعبور للانتقال إلى محاور وأركان اعتقاديه أخرى.

فما هى الأركان الاعتقاديه الأخرى؟ هى ما افترض علينا القرآن الكريم الاعتقاد بهم: (إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب: ٣٣)، وهؤلاء فى هذه الأمّه هم الذين باهل بهم النبىّ الأكرم والذين خصَّهم القرآن الكريم بخصائص ومقامات، (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ) (الواقعه: ٧٩ _ ٧٧)، فالمطهَّرون هم أهل آيه التطهير، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ...)، إلى أن تقول الآيه: (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ) (آل عمران: ٧)، وهم أهل البيت عليهم السلام ودورهم فى إنجاز وعد الله وإصلاح البشريه.

ومن ثَمَّ يستعرض لنا القرآن الكريم ظواهر الأنبياء السابقين يقول: (وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) (الزخرف: ٥٧)، فما يستعرضه لنا القرآن فى النبىّ عيسى فى الوقت الذى هو عقيده هو مثل كذلك، والمثل لمماثل،

والعبره لعبور إلى مماثل، وكذلك فى نفس ما استعرضه لنا القرآن الكريم أيضاً فى ظاهره النبيّ نوح يقول تعالى: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلاّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ*فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَهِ وَ جَعَلْناها آيَهً لِلْعالَمِينَ) (العنكبوت: ۱۴ و۱۵)، والآيه يستدلُّ بها على ذى الآيه، والآيه يعبر منها إلى ذى الآيه، والآيه بمعنى العلامه، فالعلامه يعبر منها إلى ذى العلامه، والآيات القرآنيه كلّها طافحه على أنَّ ما قصَّه لنا القرآن الكريم واستعرضه من ظواهر فى النبيّ نوح هى فى الواقع حكمه وعظه وعبره وعبور ومثل وتمثّل لما يجرى فى هذه الأمّه من فرائض اعتقاديه فى حجج الله فى هذه الأمّه، أوَلم يخبرنا القرآن الكريم فى سوره الحجّ فى آخر آيه منها: (هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ۷۸)، فمن اجتبى؟ هل كلّ الأمّه الإسلاميّه؟ أم ثلّه منها؟ لننظر الآيه الكريمه ماذا تقصُّ علينا وماذا تستعرض لنا وماذا تسمعنا: (هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ) ، إذن هناك ثلّه خاصّه من هذه الأمّه التى هى من نسل إبراهيم وإسماعيل، (هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) ، إبراهيم سمّى الذرّيه هو وإسماعيل فى دعائه: (رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ) (البقره: ۱۲۸)، ثمّ تقول الآيه التى بعدها: (رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقره: ۱۲۹)، إذن هم ذوو صله بسيّد الأنبياء وخاتم الأنبياء، وأنَّ أهل البيت مجتبون بلفظه سوره الحجّ، وهذا مقام اجتباء من الله عز وجل لثُلّه من هذه الأمّه اصطفاهم على البشريه، فالعبور من هذه الظاهره وما تقدَّم فى

الواقع من ظواهر عديـده، العبور من تلـك الظواهر القرآنيه بتوصـيه وبتعليم من القرآن الكريم: (لَقَـدْ كـانَ فِى قَصَصِـهِمْ عِـبْرَةٌ) ، اعبروا أيّها المؤمنون الكرام إلى ما هو راهن من محاور اعتقاديه عقديه قد ذكرها وتلاها عليكم القرآن الكريم فى نبيّه وأهل بيته المطهّرين، لتعتقـدوا بـذلك، ولنكون نحن وإيّاكم قـد نجونا وانتفعنا ببصائر القرآن الكريم، كآيات ومثل للاعتقاد بما هو معاش وراهن من العقيده فى أهل البيت عليهم السلام، وما يعده الله عز وجل لهم من دور إلهى عظيم.

* * *

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.

الاحتجاج: الطبرسی/ ت محمّد باقر الخرسان/ دار النعمان/ ۱۳۸۶ه- .

أعيان الشيعه: السيّد محسن الأمين/ ت حسن الأمين/ دار التعارف/ بيروت.

الأمالی: الشيخ الصدوق/ ت قسم الدراسات/ ط ۱/ ۱۴۱۷ه-/ مؤسسه البعثه.

الأمالی: الشيخ الطوسی/ ت مؤسسه البعثه/ ط ۱/ ۱۴۱۴ه-/ دار الثقافه/ قم.

بحار الأنوار: العلّامه المجلسی/ ط ۲ المصحَّحه/ ۱۴۰۳ه-/ مؤسسه الوفاء/ بيروت.

بصائر الدرجات: محمّد بن الحسن الصفّار/ ت كوجه باغی/ ۱۴۰۴ه-/ مط الأحمدی/ منشورات الأعلمی/ طهران.

تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون/ ط ۴/ دار إحياء التراث العربی/ بيروت.

تاريخ الإسلام: الذهبی/ ت تدمری/ ط ۱/ ۱۴۰۷ه-/ دار الكتاب العربی/ بيروت.

تاريخ الطبری: الطبری/ ط ۴/ ۱۴۰۳ه-/ مؤسسه الأعلمی/ بيروت.

تاريخ مدينه دمشق: ابن عساكر/ ت علی شيری/ ۱۴۱۵ه-/ دار الفكر/ بيروت.

التبيان: الشيخ الطوسی/ ت أحمد حبيب قصير العاملی/ ط ۱/ ۱۴۰۹ه-/ مكتب الإعلام الإسلامی.

تفسير ابن كثير: ابن كثير/ ت يوسف المرعشلی/ ۱۴۱۲ه-/ دار المعرفه/ بيروت.

تفسير الثعلبی: الثعلبی/ ت أبی محمّد بن عاشور/ ط ۱/ ۱۴۲۲ه-/ دار إحياء التراث العربی/ بيروت.

تفسير الطبری: ابن جرير الطبری/ ت خليل الميس/ ۱۴۱۵ه-/ دار الفكر/ بيروت.

تفسير العياشى: العياشى/ ت هاشم الرسولى المحلاتى/ المكتبه العلميه الإسلاميّه/ طهران.

تفسير القرطبى: القرطبى/ ت البردونى/ دار إحياء التراث العربى/ بيروت.

تفسير القمى: على بن إبراهيم القمى/ ت طيب الجزائرى/ ط ۳/ ۱۴۰۴ه-/ مؤسسه دار الكتاب/ قم.

التفسير الكبير: الفخر الرازى/ ط ۳.

تفسير مجمع البيان: الطبرسى/ ت لجنه من العلماء/ ط ۱/ ۱۴۱۵ه-/ مؤسسه الأعلمى/ بيروت.

الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندى/ ط ۱ كامله محقّقه/ ۱۴۰۹ه-/ مؤسسه الإمام المهدى/ قم.

الخصال: الشيخ الصدوق/ ت على أكبر الغفارى/ ۱۴۰۳ه-/ جماعه المدرسين/ قم.

ذخائر العقبى: أحمد بن عبد الله الطبرى/ ۱۳۵۶ه-/ مكتبه القدسى/ القاهره.

روضه الواعظين: الفتال النيسابورى/ ت محمّد مهدى الخرسان/ منشورات الشريف الرضى/ قم.

سنن ابن ماجه: ابن ماجه القزوينى/ ت محمّد فؤاد عبد الباقى/ دار الفكر/ بيروت.

سنن أبى داود: ابن الأشعث السجستانى/ ت محمّد اللحّام/ ط ۱/ ۱۴۱۰ه-/ دار الفكر/ بيروت.

سنن الترمذى: الترمذى/ ت عبد الوهّاب عبد اللطيف/ ط ۲/ ۱۴۰۳ه-/ دار الفكر/ بيروت.

سير أعلام النبلاء: الذهبى/ ط ۹/ ۱۴۱۳ه-/ مؤسسه الرساله/ بيروت.

شرح إحقاق الحقّ: السيّد المرعشى/ ت شهاب الدين المرعشى/ مكتبه المرعشى/ قم.

شرح نهج البلاغه: ابن أبى الحديد/ ت محمّد أبو الفضل إبراهيم/ ط ۱/ ۱۳۷۸ه-/ دار إحياء الكتب العربيه/ بيروت.

الصحاح: الجوهرى/ ت أحمد عبد الغفور العطّار/ ط ۴/ ۱۴۰۷ه-/ دار العلم للملايين/ بيروت.

صحيح البخارى: البخارى/ ۱۴۰۱ه-/ دار الفكر/ بيروت.

صحيح مسلم: مسلم النيسابورى/ دار الفكر/ بيروت.

علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ ت محمّد صادق بحر العلوم/ ۱۳۸۵ه-/ منشورات المكتبه الحيدريه ومطبعتها/ النجف الأشرف.

العمده: ابن البطريق/ ۱۴۰۷ه-/ مؤسسه النشر الإسلامى/ قم.

عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق/ ت حسين الأعلمى/ ۱۴۰۴ه-/ مؤسسه الأعلمى/ بيروت.

الغيبه: الشيخ الطوسى/ ط ۱/ ۱۴۱۱ه-/ مؤسسه المعارف الإسلاميّه/ قم.

الغيبه: النعمانى/ ت فارس حسّون كريم/ ط ۱/ ۱۴۲۲ه-/ مط مهر/ أنوار الهدى.

الكافى: الشيخ الكلينى/ ت على أكبر الغفارى/ ط ۵/ ۱۳۶۳ش/ مط حيدرى/ دار الكتب الإسلاميّه/ طهران.

كمال الدين: الشيخ الصدوق/ ۱۴۰۵ه-/ مؤسسه النشر الإسلامى/ قم.

كنز العمّال: المتّقى الهندى/ ت بكرى حيانى/ ۱۴۰۹ه-/ مؤسسه الرساله/ بيروت.

مجمع الزوائد: الهيثمى/ ۱۴۰۸ه-/ دار الكتب العلميه/ بيروت.

المحاسن: البرقى/ ت المحدّث/ ۱۳۷۰ه-/ دار الكتب الإسلاميّه/ طهران.

مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلّی/ ط ۱/ ۱۳۷۰ه-/ منشورات المطبعه الحیدریه/ النجف الأشرف.

المراجعات: السیّد شرف الدین/ ت حسین الراضی/ ط ۲/ ۱۴۰۲ه- .

المزار: ابن المشهدی/ ت جواد القیّومی/ ط ۱/ ۱۴۱۹ه-/ نشر القیّوم/ قم.

المستدرک: الحاکم النیسابوری/ إشراف یوسف عبد الرحمن المرعشلی.

مسند أحمد: أحمد بن حنبل/ دار الصادر/ بیروت.

مصباح المتهجّد: الشیخ الطوسی/ ط ۱/ ۱۴۱۱ه-/ مؤسسه فقه الشیعه/ بیروت.

معانی الأخبار: الشیخ الصدوق/ ۱۳۷۹ه-/ مؤسسه النشر الإسلامی/ قم.

المعجم الکبیر: الطبرانی/ ت حمدی عبد المجید السلفی/ ط ۲ مزیَّده ومنقَّحه/ دار إحیاء التراث العربی.

من لا یحضره الفقیه: الشیخ الصدوق/ ت علی أکبر الغفاری/ ط ۲/ مؤسسه النشر الإسلامی/ قم.

مناقب آل أبی طالب: ابن شهر آشوب/ ت لجنه من أساتذه النجف/ ۱۳۷۶ه-/ المکتبه الحیدریه/ النجف.

منیه المرید: الشهید الثانی/ ت رضا المختاری/ ط ۱/ ۱۴۰۹ه-/ مکتب الإعلام الإسلامی.

نهج البلاغه: الشریف الرضی/ شرح محمّد عبده/ ط ۱/ ۱۴۱۲ه-/ مط النهضه/ دار الذخائر/ قم.

الهدایه الکبری: الخصیبی/ ط ۴/ ۱۴۱۱ه-/ مؤسسه البلاغ/ بیروت.

ینابیع المودّه: القندوزی/ ط ۱/ ۱۴۱۶ه-/ دار الأسوه.

* * *

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹